

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101007637620

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*



٤٢٠٥

al-Yashrutiyah al-Hasamiyah, Fatimah

فاطمة البشريطية الحسنية

هدية المؤلفه واصله بواسطة
والدة المؤلفه
الرفيق عبد فرحان
تونس

Rihlah ila al-hagg

رِحْلَةٌ إِلَى الْحَقِّ

في

مناقب حضرة والدي وشيخي القطب الغوث الاكبر والوارث
المحمدي الاعظم شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة
علم المهتمدين ومربي السالكين سيدنا ومولانا
الشيخ علي نور الدين البشريطي
الحسني الحسيني الشاذلي
التونسي المغربي قدس
الله سره
العالى

24.5.66



2276
9678

Y3

.377

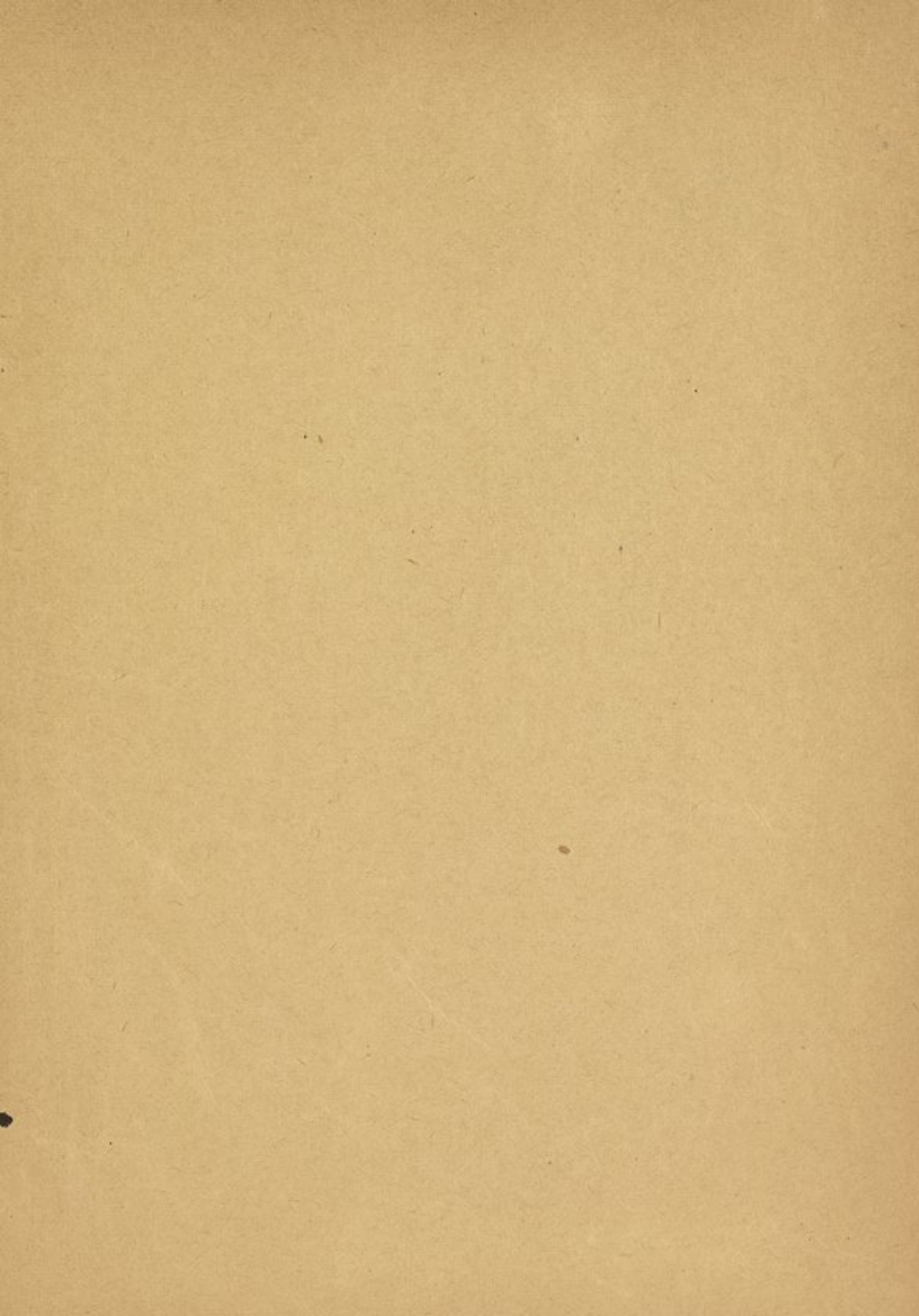
مکتبہ اسلامیہ
کراچی

اهداء الكتاب

الى النور الذي أضاء قلبي . بلايقان . والاحسان . وسرت على
هديه في مقامات الشهود والعرفان .

الى امي

2-14-67 1985



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ،
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)
(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ)

قرآن کریم

لُدُّ بِالْعَلِيِّ الْيَشْرَطِيِّ فَإِنَّهُ بَابُ الْعُلُومِ وَكَعْبَةُ التَّحْقِيقِ

الشيخ مصطفى ابى زيشه

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على منبع أُمّار العارفين ومصدر
أنوار أهل حق اليقين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الأخيار
واصحابه الأبرار اجمعين . آمين

أما بعد فقد طلب مني بعض إخواني بالله ، تأليف كتاب عن سيدي
الوالد قدس الله سره ، وعن حياتنا و حياة الفقراء في زاويته الشريفة في
عكا^١ ، وقد تريت قبل البدء في الكتابة لعلمي ألا سبيل الى وضع ترجمة
كاملة شاملة ، إذ الأمر يحتاج الى تأليف عديدة وإني لأعجز عن القيام
بذلك الواجب المقدس .

هذا وقد وُضعت التراجم لأهل الله للتعريف بمراتب الولاية ، ومن
عُرُفت مرتبته كانت الترجمة له تكلفاً . ومراتب أقطاب السلسلة الشريفة
معروفة عند القوم لا تحتاج إلى تعريف . وإنما القصد من تأليف هذا الكتاب
هو تعميم النفع لـ إخواني في طريقتنا الشاذلية البشراطية ، بذكر بعض

(١) اعني حياتنا و حياة الفقراء في الزاوية في زمن والدي فالكتاب اختص بذلك العصر الذهبي
للطريق بوجوده الشريف قدس الله سره .

مناقب وشمائل سيدي الوالد رضي الله عنه ، وحديث موجز عن اخذه الطريق ورحلته وانتقاله من المغرب الى المشرق .

وليس غريباً عني تأليف مثل هذا الكتاب فقد منّ الله عليّ فولدتُ في « بَيْتِ يَذْكَرُ فِيهِ اسْمُ اللَّهِ وَيُسَبَّحُ لَهُ فِيهِ بِالْغَدْوِ وَالْأَصَالِ » ، وقد درجت ونشأت على محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ومحبة اهل الله في ذلك البيت الكريم في الحمى الشاذلي في - عكا - بين يدي والدي وشيخي القطب الربّاني والغوث الأكبر الصّداني ، صاحب الرقت مرشدنا وسيدنا الشيخ علي نور الدين البشريطي الحسيني الشاذلي التونسي المغربي قدّس الله سرّه ، فهو من الذين انعم الله عليهم بالولاية الكبرى والصدّيقية العظمى ، وهو الفرد الكامل خاتم اقطاب سلسلة الطريقة الشاذلية الشريفة ، الطريقة المبنية على سلوك اخلاق الأنبياء والأصفياء . فقد اختصه الله عزّ وجلّ بشرف الدعاء اليه وجعله مظهراً من مظاهر الرحمة والهداية والكمال بالوراثة المحمّدية (والعلماء ورثة الأنبياء) .
نفعنا الله به وأفاض علينا من بركاته آمين .

وأعترف اني لست بالكاتبة الأصيلّة المتعمّقة بعلوم اللّغة وفنونها وإلّا انا فقيرة الى الله سبحانه ، سائرة في طريقه القويم ، أضع كتابي هذا بالهمة والحال بنفحة من نفحات الطريق .

وكنتُ قرأتُ أبياتاً معدودات ، للشيخ الأكبر سيدي محي الدين ابن عربي رضي الله عنه ، سمّاها رحلة الى الحقّ ، فأعجبت بتلك التسمية وممّيت كتابي بها مقتدياً به .

* * *

وكان لا بد لي ، من كتابة بعض فصول في التصفّو والطريق لزيادة الايضاح ، فيما يحتاج اليه السالك في الطريق وطالب المعرفة والتحقيق ، وقد اعتمدت في كتابي هذا على آراء وأقوال جماعة من أئمة السادة الصوفية ؛

(١) حديث نبوي شريف أخرجه الاربعة .

أخذتها عن مؤلفاتهم القيّمة ، والتي هي من امهات كتب التصوّف إما نقلًا عنها او اقتباساً او تلخيصاً ، ولا عجب في اعتمادي على هؤلاء السادة الكرام ، فهم أئمة فحول جمعوا بين العلم في الشريعة والحقيقة ، بالفروع والاصول ، في الفقه والحديث والتفسير والاصول والمنطق ، وغيرها من العلوم . فإن علوم اهل هذا الشأن 'تشارك باقي العلوم في العقل والنقل ، وتميّز عنها بالذوق والوجد ' ، والمنازلة . وقد ألف جماعة منهم كتباً ذكروا فيها الاسانيد ، فعلوا ذلك ردّاً على من يقول : إن هذا العلم لم يردّ به الكتاب والسنة ، فاشتغلوا بما اشتغل به علماء الظاهر بعلم الاسناد ، ولكنهم فاتوهم بما لم يصل اليه فهمهم من علم القرب والوداد .^٢

(وقد نصّ جماعة منهم حيث ذكروا حدّ الفقه ، على ان ابواب التصوف من الفقه ؛ ووافقهم ابن السبكي في - جامع الجوامع - وضمّ إليه مسائل اصول الدين ، التي يجب إعتقادها فقال : هي عندي فقه) .

وقال الشعراني والسيوطي وجماعة من أئمة التصوف : (إن التصوف فقه بلا شك ، فإن اكثره تكاليف واجبة ومندوبة ، ومنها محرّمة ومكروهة . وقالوا : التصوف زُبدة عمل العبد ، إذا خلا عمله من العلل وحفظ النفس ، كما ان علم المعاني والبيان زبدة علم النحو ، بل هو سرّه ولطائفه ؛ فمن جعل علم التصوف مستقلاً فهو صادق ، ومن جعله من عين احكام الشرع فهو صادق)^٣ .

ويحدثنا الشعراني في طبقات الأولياء ، والفُشيري في رسالته ، عن إذعان الشافعي لشييان الراعي حين طلب الامام احمد ابن حنبل من شييان ، يسأله عمّن نسي صلاة لا يدري اي صلاة هي ، وإذعان الامام احمد ابن

(١) الذوق لطف من الارواح يبرزه معنى اللسان بما في القلب من حكم

قوانين الاشراف للشيخ ابي المواهب ص ٧٥ .

(٢) كتاب تأييد الحقيقة العلية بنشيد الشاذلية تأليف الحافظ الكبير الإمام السيوطي ص ٣٦ .

(٣) طبقات الاولياء تأليف الشيخ عبد الوهاب الشعراني ، ص ٤ ص ٥ وكتاب تأييد الحقيقة

العلية تأليف السيوطي ص ٢١ .

حنبل ، حين قال شيبان : (هذا رجل غفل عن الله فجزاؤه ان يؤدّب) وكذلك إذعان الامام احمد ابن حنبل لأبي حمزة البغدادي ، واعتقاده حين كان يرسل اليه دقائق المسائل ويقول : (ما تقول في هذا يا صوفي ؟) ثم يحدّثنا الشعراني عن إذعان ابي عمران للشبلي حين امتحنه بمسائل ، وأفاده بسبع مقالات لم تكن عند ابي عمران ١

وذكر الامام جلال الدين السيوطي في كتابه تأييد الحقيقة العلية ، فقال (كان إمام الشافعية ابو العباس ابن سريج احد اصحاب وجوه الفضل على جميع الاصحاب حتى قيل انه افضل من المزني « كذا » . ذكره الشيخ ابو اسحق الشيرازي في ترجمته ، يحضر مجلس الجنيد ، ويسمع كلامه فيقول (أشهد ان لهذا الكلام صولة ليست بصولة رجل مبطل) وعن ابن سريج انه تكلم يوماً فأعجب به بعض الحاضرين فقال : (هذا ببركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد) ٢ .

وحكى ابن السبكي في طبقاته عن السّمعاني انه روى : (ان ابا القاسم القشيري حجّ في سنة من السنين ، وقد حج اربعمائة من المسلمين من اقطار البلاد وأقاصي الأرض ، فأرادوا ان يتكلم واحد منهم في حرم الله ، فاتفق على الاستاذ القشيري ، فتكلم هو باتفاق منهم ، وكان ولده ابو النصر يحضر مجلسه الاثمة ، قال ابن السبكي : لزم الاثمة مثل الامام ابي اسحق الشيرازي الذي هو فقيه العراق في وقته وعتبة منبره ، واطبقوا على انه لم يُر مثله في تبجّره ، يحضر مجلس ابي النصر ، ثم قال ابن السبكي : وأعظم ما عظم به ابو النصر ، ان إمام الحرمين ، وهو عصره ، نقل عنه في كتاب التوصية ، من النهاية ، وهذا فخار لا يعدله شيء ٣ .

(١) كتاب طبقات الاولياء للشعراني ص ٥ الرسالة القشيرية ص ٢٤ .

(٢) تأييد الحقيقة العلية بتشييد الطريقة الشاذلية للسيوطي ص ٦٧ .

(٣) تأييد الحقيقة العلية بتشييد الطريقة الشاذلية للسيوطي ص ٦٨ .

تعريف الجنيد رضي الله عنه من كبار ائمة القوم وساداتهم ، بل هو شيخ الصوفية على الاطلاق ، كان من ائمة الفقه يفتي الناس على مذهب ابي ثور صاحب الامام الشافعي رضي الله عنه وراوي مذهبه

قال السيوطي : « ونقل عنه النَّوَوِي والرافعي ، وكان ابو الحسن الشاذلي يحضر عنده الأئمة مثل سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد ، هذا مع ما صح عن ابن دقيق العيد من تشديد التَّكْبِير على الاتحادية ، فلورأى في كلام الشاذلي ذرة من ذلك لكان اول مبادر الى انكارها ، قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري في لطائف المنن : (سمعت الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يقول : ما رأيت أعرف بالله من الشيخ ابى الحسن الشاذلي ؛ ثم قال : واخبرني الشيخ مكين الدين الأسمر قال : حضرت بالمنصورة في خيمة فيها الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ مجد الدين بن علي بن وهب القشيري ، والشيخ محيي الدين الاخميسي ، والشيخ ابى الحسن الشاذلي ، ورسالة القشيري تقرأ عليهم ، وهم يتكلمون ، والشيخ ابو الحسن صامت الى ان فرغ كلامهم ، فقالوا : نريد ان نسمع كلامك . فقال : انتم سادات الوقت وكبرأؤه ، وقد تكلمتم ، فقالوا : لا بد ان نسمع منك ؛ فسكت الشيخ ابو الحسن ساعة ، ثم تكلم بالأسرار العجيبة ، والعلوم الجليلة ، فقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وقد خرج من الخيمة وفارق موضعه : اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله ، قال السيوطي : (وكان الشيخ ابو العباس المرسي يحضر

القديم ، كان يفتي الناس في حلقاته وهو ابن عشرين عاماً ، اخذ التصوف عن خاله السري السقطي ، وصحبه وصحب الحرث الخاسي ، وقد ترجمه واثني عليه كثير من العلماء ، منهم الشيرازي والسبكي والقشيري والمناوي والنووي والسيوطي والشمراني وغيرهم ، اذ لا يخلو كتاب من كتب الطبقات من ترجمة له ، قال المناوي : (الجنيد ابو القاسم بن محمد البغدادي هو بالاتفاق شيخ الصوفية على الاطلاق واذا قيل سيد الطائفة فهو المراد) وقد كتب عنه بعض العلماء المستشرقين فقد عنى المستشرقون بترجمة جماعة من السادة الصوفية الاعلام وبدراسة كتبهم ومذاهبهم ، والاشعار الصوفية ، ونقلوا الشيء الكثير من كتب الصوفية واشعارهم الى اللغات الاجنبية من هؤلاء المستشرقين : رينولد نيكلسون ، ولويس ما سينيون ، وآسين يلاس ، وفون كريمير ، وجولد سيبر ، وادوارد جرنفيل ، وماكس هورتن ، ودوزي ، وربنشارد هايتان ، ومرغريت سيث ، وليوبولد فايس ، الذي اسلم وتسمي باسم محمد اسد ، وتوفي سيدي الجنيد في عام ٢٩٧ هجرية في مدينة بغداد ودفن فيها وضرجه بزار . (١) تأييد الحقيقة العلية بتشييد الشاذلية للسيوطي ص ٦٨ لطائف المنن للشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري .

مجلة الأئمة . قال تلميذه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري ، في لطائف المنن : كان علماء الزمن يسلمون له هذا الشأن ، حتى كان شيخنا العلامة شمس الدين الأيبي ، والأصفهاني ، يجلسان بين يديه جلوس المستفيد ، آخذين عنه ومتلقيين ما يُبديه) وكان الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري ^١ يحضر مجلس وعظه الأئمة ، مثل الشيخ تقي الدين السبكي امام

(١) مولانا الشيخ تاج الدين احمد بن محمد بن عطاء الله الاسكندري، احد اقطاب سلسلة طريقتنا الشريفة ورث القطبانية عن شيخه مولانا ابي العباس المرسي رضي الله عنها .

كان الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري من اكابر ائمة عصره في التفسير والحديث والفقه والاصول ، والكلام والمنقول والمقول ، وعلوم اللغة وفنونها ، اخذ عنه المجتهد الكبير الشيخ تقي الدين السبكي ، واستوطن القاهرة ، وكان له كرسي في الازهر الشريف يجلس عليه ليشرح آثار السلف ، وله تأليف عديدة (الحكم العطائية ، لطائف المنن في مناقب ابي العباس وشيخه ابي الحسن ، التنوير في اسقاط التدبير ، تاج العروس ، مفتاح الفلاح ومصباح الارواح) وقد توفي في المدرسة المنصورية بالقاهرة سنة ٧٠٩ . وقد ذكره واثى عليه وترجمه في كتب الطبقات وغيرها جماعة من الكبراء الفضلاء منهم مولانا الشيخ احمد زروق رضي الله عنه ، والسبكي ، والسيوطي ، وابن عجيبة ، وابن عباد والشعراني ، وغيرهم من الائمة الذين جمعوا بين العلم في الظاهر والباطن واهتم بعض المستشرقين بكتاب الحكم وكتبوا عنه .

ولما صنف حكمه عرضها على شيخه ابي العباس المرسي فنأملها وقال : « لقد اتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الاحياء وزيادة ، قال في كشف الظنون : ولذلك تمسقتها ارباب الذوق لما رق لهم من معانيها وراق ، وبسطوا فيها القول وشرحوها » ولحكم شروح كثيرة منها شرح الشيخ ابن عجيبة ، وشرح الشيخ ابن عباد ، ومما من ائمة العلم في الظاهر والباطن ، وشرحت الحكم العطائية باللغة التركية واللغة المالوية ، انظر معجم سر كيس ، وفهرست دار الكتب المصرية ، وانظر ما كتب عنه - اي - عن الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله في دائرة المعارف الاسلامية .

وقد تحدث الدكتور زكي مبارك في كتابه التصوف الاسلامي في الآداب والاخلاق عن الحكم العطائية فقال : في ص ١٣٨ « يوجد في الكلام البليغ صور و اشارات تتفاوت في ادراكها المعقول ، وقد يكون النص البليغ واضعاً في لفظه ومعناه ، ومع ذلك بظل كالحسن الفائق لا تجتملى فتنه بنظرة ولا بنظرتين وانما تطالع فيه العين كل يوم باباً من ابواب الفتون ، كالبحر تعرف هوله وجلاله ثم ترى فيه كلها واجهته ضروباً جديدة من الهول والجلال ، وقال في ص ١٥٩ ولو اضفنا الى ذلك ما خلفت به الحكم العطائية من الشرح والتفسير وما اوحى الى الناس من مختلف المعاني لرأينا كيف كانت قيمتها من الوجهة الادبية والفلسفية ، ولا يفرض من الحكم انها خلقت بحجولة في التاريخ الادبي ، لأن مؤرخي الادب غفلوا عن امثال هذه الفرائد ، فلم يكن لها من عنايتهم نصيب . وقد قلنا في غير

وقته تفسيراً وحديثاً وفقهاً وكلاماً ومنقولاً ومعقولاً ، بل المجتهد الذي لم يأت بعده مثله ولا قبله من دهر طويل ، وقد ذكر السبكي في بعض كتبه ، أخذه عن الشيخ تاج الدين وحضوره مجلسه ، ونقل عنه انه متكلم الصوفية على طريق الشاذلية ^١ .

قال السيوطي « في المعجم للسبكي : انه قرأ عنه كتاب الحكم وذكر فيه قطعة منه 'قرأت عنه واتصلت لنا بالسند' . وقال ابن السبكي : « ان طريقة الجنيد مقومة خالية من البدع ، وطريق الشاذلية في المتأخرين ، هي طريقة الجنيد ، دائرة مع الكتاب والسنة ، وافقة مع الشرع الشريف ، زاجرة عن الخواطر التي لم توزن بميزان الشريعة » ^٢ .

وإيضاح ذلك انهم كلهم ائمة عدول اختارهم الله لدينه ، فمن دقق النظر علم انه لا يخرج شيء من علوم اهل الله عن الشريعة ، وكيف يخرج علومهم عن الشريعة والشريعة هي التي اوصلتهم الى الله .

قال القطب القسطلاني رضي الله عنه ، في علوم هذه الطائفة : « مواجيد ترد عليهم من سوابق اعمال صححوها حصلت لديهم ، واحوال ورثوها عن اعمال صححوها ، فلا يرث الاعمال إلا من صحح الاحوال ، واول

موطن من هذا الكتاب : ان رجال الادب شغلوا بأسرى الحواس ولم يهتموا بأسرى القلوب ، ولعل هذا الفصل يذكر رجال الادب بجملة ذلك الاديب المجهول فا نقل كلماته في الادب مع الله عن كلمات ابن المقفع في الادب مع السلاطين . وقال في ص ١٤٣ : نظرة ابن عطاء الله الى الاعمال الدنيوية ادق وأصح من نظرة الغزالي الذي يدعو في مواطن كثيرة الى ترك العلوم الظاهرة ، وينصح بالتجريد المطلق ، ويبقى ما يتصل بالجاه في اعمال الناس ، وعلى ذلك يكون الاهتمام بالعمران وبالمعاش وبالجمتمع مما لا ينافي ادب المريد في نظر ابن عطاء الله وانما يشترط لذلك ان يعرف المريد انه يقف حيث اقامه الله وان لا غرض له من التثبت باعمال المعاش . - انتهى كلام زكي مبارك -

قال شيخنا ابن عطاء الله في كتابه اسقاط التدبير ص ٥٥ « من استرسل من اطلاق التوحيد ورأى ان الملك لله وان لا ملك لغيره ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف به في بحر الزندقة ، وعاد حاله وبالاً عليه ، ولكن الشأن ان يكون بالحقيقة مؤيداً وبالشرعية مقيداً » .

(١) تأييد الحقيقة العلية بتشييد الشاذلية للسيوطي ص ٦٥ لطائف المنن للشيخ تاج الدين بن عطاء

الله الاسكندر ص ١١٠ المفاخر العلية بالمآثر الشاذلية للشيخ ابن عباد ص ٤٩ .

(٢) تأييد الحقيقة العلية للسيوطي ص ٦٩ .

ذلك علوم الشريعة المتعین عليها من علم الفقه واصول الدين ، على طريق الكتاب والسنة والسلف الصالح « ١ .

فالاولياء رضي الله عنهم . علماء مجتهدون ، لم يأتوا بشرع جديد لكنهم يأتون بالفهم الجديد ، في الكتاب والسنة ، وليس ايجاب مجتهد باجتهاده ، شيئاً لم تصرح الشريعة بوجوبه ، أولى من ايجاب ولي الله حكماً في الطريق لم تصرح الشريعة بوجوبه .

قال مولانا وشيخنا سيدي احمد زرّوق ، قدس الله سرّه : « نسبة التصوف من الدين نسبة الروح من الجسد ، لانه مقام الاحسان الذي فسرّه رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ، حين سأله عن الاحسان فقال : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » ٢ . وشروط الدخول في مقام الاحسان عند القوم سبعة ، وهي : التوبة ، والانابة ، والزهد ، والتفويض ، والرضا ، والاخلاص ، والتوكل . وهي ليست اجنبية عن الاسلام ولا دخيلة عليه ، فأصول التصوف الاسلامي موجود في القرآن ، والحديث ، والعقيدة الاسلامية ، وشعائر الدين الحنيف . وكل علم لا يؤيده الكتاب والسنة لا يعمل به عند اهل هذه الطائفة .

هذا والاصل في التسمية التي أطلقوها على انفسهم ، وعلى من يدخل في طريقهم ويسلك مسلكهم ، وهي الفقراء : آيات بينات ، واحاديث ، جاء ذكرها فيها ، قال الله تعالى في كتابه العزيز « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ » ٣ وقال جلّ وعلا على لسان نبيّه موسى عليه الصلاة والسلام « رَبِّي إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » ٤ ومعنى الفقر عندهم

(١) تأييد الحقيقة العلمية للسوطي ص ٨٣ .

(٢) شرح ابن عجيبة على الحكم العطائية ص ٨ . الحديث اخرجه مسلم وواقفه البخاري على روايته من حديث ابي هريرة ورواه البخاري في خلق افعال العباد والبراز عن انس باسناد حسنه الحافظ ورواه احمد عن ابن عباس واني عامر الاشعري باسناد حسن .

(٣) سورة فاطر .

(٤) سورة القصص .

ليس من هو في حاجة الى المال ، او الى معونة الغير ، بل معناها ، الفقير الى الله المستغني به عمن سواه . قال احد الكبراء من اهل المعرفة :
 إن الفقير هو الفقيه وإنما راء الفقير تجمعت أطرافها
 وقد اختلف في اصل كلمتي : صوفية ، وصوفي : فقد اطلقت
 الأولى على هذا العلم الشريف والثانية على المتحقق به ^١ .

(١) حديث ملخص عن كتاب الحياة الروحية في الاسلام تأليف الدكتور محمد مصطفى حلمي مدرس الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب في جامعة فؤاد الاول ، قال في ص ٩ (مما لا شك فيه ان التصوف جزء من الاجزاء التي يتألف منها التراث الديني والعقلي والشعوري) ثم هو يرد التصوف الى تحت النبي صلى الله عليه وسلم - في غار حراء - في الجاهلية أولاً ، ونفسية الرسول صلى الله عليه وسلم وحياته في الاسلام ونسك الصحابة والخلفاء الراشدين واهل الصفة . وبعد ان أفاض بجديته عن تحت النبي عليه الصلاة والسلام ، قال في ص ١٣ : « فهذه الحياة التي كان يحياها محمد والتي كانت سبيله الى هبوط الملك عليه ، وسبيل قلبه الى اشراق نور الوحي فيه ، اذا امعنا النظر فيها ، ووازنا بينها وبين حياة العباد والزهاد والصوفية ، رأينا ان التصوف وهو الاسم الجامع لطوائف اولئك وهؤلاء ، وتعاليمهم ، وما يعمدون اليه من رياضات ومجاهدات ، وما يصطنعون في تهذيب نفوسهم من محاسبة ومراقبة ، وما ينتهون اليه بعد هذا كله من الهام مشرق ، ليس من شك في انه وجد بذوره الاولى في هذه الحياة الروحية ، التي كان قوامها عند محمد ذلك التحنن ، والذي كانت ثمرته لديه هذا الوحي المتألق بآيات النبوة : وحقائق التوحيد ، ودقائق العرفان ، فحياة محمد صورة اولي للحياة التي يحياها الزهاد والعباد والصوفية ، بعد ذلك . ويتساءل ، فيقول : « اليس هذا التأمل الذي كان يمن فيه محمد وينيب فيه عن كل شيء حتى عن نفسه ، اساساً لهذه الاذواق والمواجيد الصوفية ؟ وعلى الجملة ، اليس التصوف هو رياضة ومجاهدة ، وذوق ووجد ، وكشف ومشاهدة ، واتصال بالمصدر الاول الذي صدر عنه الكون ، وكل ما في الكون ، من آيات الحق والخير والجمال ؟) . ويمضي بجديته فيقول : (بلى ان محمداً وجد في تحتته ما يجده الصوفية في مجاهداتهم ورياضاتهم الخ) . وقال في ص ١٥ : « ولو سلطنا جدلاً مع المعارضين بأن رد هذه الحياة الروحية الاسلامية الى هذا التحنن الذي جعل منه محمد رياضة لنفسه معناه ، رد هذه الحياة الى اصل جاهلي لا اسلامي ، فاننا واجدون مع ذلك في حياة محمد النبي الذي تحققت نبوته ، وتمت رسالته عنصراً نفسياً ، يصح ان نتخذ منه اساساً لاذواق الصوفية ومصدراً اول لمواجيدهم ، وقال في ص ٢٤ بعد ان استشهد بالاسراء والمعراج ، وافاض بجديته عنها قال : (يتبي بنا هذا كله الى ان الحياة الروحية الاسلامية ، وجدت بدايتها في تحت محمد العربي ، الجاهلي ، اولاً ، وفي حياة محمد النبي المرسل ثانياً ، وفي نسك الصحابة وزهدهم بعد هذا وذاك ، فحياة الزهاد والعباد والصوفية ومنازعتهم في السلوك ومذاهبهم التي عبروا عنها في اقوال مننورة تارة واشعار منظومة تارة اخرى ، كل اولئك ليس في الحقيقة الا ترديداً لهذا اللحن الرائع الذي تغناه محمد لأول مرة في

واستعملت ، كلمة تصوّف ، للدلالة على السلوك ، وكلمة متصوّف ،
للدلالة على السالك في الطريق ، وقد اختلف في اصل اشتقاقها ، قيل انها
مشتقة من الصوف ، لأن الصوفي مع الله ، كالصوفة المطروحة في الهواء التي
لا تدبير لها ، وقيل : انها الصفة إذ جملته انصاف بالمحامد وترك الأوصاف
المذمومة ، وقيل : انها من صفة المسجد النبوي الشريف ، الذي كان منزلاً
لأهل الصفة اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، لأن الصوفي تابع لهم
فما أثبتته الله عنهم من الوصف ، حيث قال عزّ شأنه (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ
مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) ١ .

وذكر مولانا الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري رضي الله عنه
في كتابه لطائف المنن ، عن شيخه سيدنا ابي العباس المرسي قدس الله سرّه
انه قال : « الصوفيّ منسوب لفعل الله به ، اي صافاه الله فصوفي ، قال
وسمعه رضي الله عنه يقول : « الصوفي مركب من حروف اربعة : الصاد ،
والواو ، والفاء ، والياء ، فالصاد صبره وصدقه وصفائه ، والواو ، وجده

تاريخ الاسلام ورتله معه الصحابة هذا الترتيل الجميل ، الذي كان له صداد القوي في نفوس من
استمع اليه واستجاب له) .

وقال المستشرق الانجليزي الاستاذ نيكولسون ، في دائرة المعارف الاسلامية مادة تصوف :
« ان اطلاق الحكم بان التصوف دخيل في الاسلام غير مقبول ، فالحق اننا نلاحظ منذ ظهور
الاسلام ان الانظار التي اخص بها متصوفة المسلمين ، نشأت في قلب الجماعة الاسلامية نفسها ابان
عكوف المسلمين على تلاوة القرآن والحديث وتقرئها ، وتأثرت بما اصاب هذه الجماعة من احداث
وبما حل بها من نوازل) ١٥ .

وقال ابن خلدون في مقدمته : (ان التصوف علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة الاسلامية ،
وان اصله يرجع الى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، ومن بدم من اتباع طريق
الهداية ، واصلها المكوف على العبادة ، والاتقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا
وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ، ومال ، وجاه ، والافراد في خلوة لعبادة) ١٥ .
(١) ايقاظ الهمم لابن عجيبة ص ٦ سورة الكهف .

وقال بعض الادباء وجماعه من المستشرقين : « ان كلمة صوفية مشتقة من كلمة تيوصوفية اليونانية
بمعنى الحكمة الربانية . فالصوفي هو الحكيم الالهي ، وقيل : انها مشتقة من الصوف ، لان شعار
السادة الصوفية لبس الصوف .

ووده ووفائوه ، والفاء فقده ، وفقره وفناؤه ، والياء ، ياء النسبة ، إذا تكمل فيه ذلك اضيف الى حضرته « ١ » .

وقال الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه « التصوف صافاك الله امره عجيب وشأنه غريب وسره لطيف ، ليس يُمنح إلا لصاحب عناية وقدم صدق ٢ » وقد صحح هذا كثير من الفضلاء فقال الشيخ ابو الفتح البُستي رضي الله عنه :

تنازع الناس في الصوفي واختلقوا جهلاً وظنوه مشتقاً من الصوف
ولستُ اُمنح هذا الاسم غير فتى صافى فصوفي حتى سمي الصوفي ٣

(١) لطائف المتن للشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري ص ٢١ .

(٢) التدبيرات الالهية بالملكة الانسانية للشيخ محي الدين بن عربي . عن نسخة قديمة خط

يد ص ٩ .

(٣) ايقاظ الهمم في شرح الحكم للشيخ ابن عجيبة ص ٦ لطائف المتن للشيخ تاج الدين بن عطاء الله

الاسكندري ص ٢١٠ .

تلخيص : عن بعض ما جاء في المحاضرة التي القاها الدكتور احمد غلوش ، رئيس جمعية منع المسكرات في مصر ، والحاصل على درجات عليية شرفية من الجامعات الاوروبية والاميركية صوفي ، منسوب الى الطريقة الخطوية ، وقد لقي المحاضرة باللغة الانجليزية عن التصوف الاسلامي ، بالجامعة الاميركية بالقاهرة بدعوة من عميد الجامعة ، وقد ترجمت المحاضرة الى اللغة العربية ونشرت في مجلة المقتطف في الجزء الثاني من المجلد الثالث والتسعين ، قال :

بنو ائمة الصوفية الاولون اصول طريقتهم على ما ثبت في تاريخ الاسلام نقلًا عن الثقات ، انه حدث في العام الاول للهجرة ، ان اجتمع بضعة عشر رجلاً من المهاجرين ، ومثل ذلك من الانصار من اهل المدينة ، وتقاسموا بينهم ان يزهدوا في الدنيا ونعيمها الزائل ، ويقولوا على الله ، ويشغلوا اوقاتهم سوا اوقات السحر والنسق بصنوف العبادات حياً بالله واقتداء برسوله ، فكان هذا بمنزلة قسم قطعوه على انفسهم ، وذلك ما يسمى بالهد عند اهل الطريق ، وكان اساس زهدهم في الدنيا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الفقر فخري) ومن هنا جاءت التسمية بالفقراء .

قال « ويروى ان ابا بكر الصديق اول الخلفاء ، كان يقود فريقاً من اولئك الفقراء . كما ان علياً ابن ابي طالب وابن عم النبي ورابع الخلفاء كان يقود فريقاً آخر ، وبعد وفاة ابي بكر خلفه على طريقته سلمان الفارسي احد اكابر الصحابة من اهل فارس ، وبعد وفاة علي تولى خلافة طريقته الحسن البصري ، وكان كل منها يتسمى خليفة ولهذا صار اسم الخليفة يطلق على كل شيخ من مشايخ الطرق « الصوفية » قال : ويتمسك المتصوفون في اقبالهم على الله بالهمة وصدق العبودية ، بما جاء في

واختلف اهل الطريق في كلمتي ، الفقر والتصوّف ، وهل هما سواء او ان احدهما أتم من الآخر فقال قوم : هما سواء ، وقيل الفقر أعلى لان الكتاب والسنة نطقا به ، واسم التصوّف محدث ، لم يكن في السلف الصالح اطلاقه ، على ان الذي عليه أئمة هذا الشأن ورجّحه السهروردي الشهاب ، ان اسم التصوّف والصوفي أعلى مرتبة وأولى وأخص بالمعنى والمراد ١ .

ويتساءل الكثيرون عن السبب في عدم ظهور الدعوة الى التصوّف في العصر الأول إلا بعد عهد الصحابة والتابعين وفي عدم تسمية الصحابة صوفيّين ، والجواب على هذا انهم رضوان الله عليهم كانوا بحكم شرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاقتران به اهل ورع وتقوى وارباب مجاهدة وفناء في حب الله ورسوله ، وكان شرف الصحبة والانتفاء اليها أفضل وأشرف من جميع ما يسمّى به ٢ .

ولما كان المراد من التصوف التضحية في سبيل القيام بحقوق العبودية لله تعالى والاتصاف بالأوصاف المحمدية ، والاقبال على الله بالعبادات والطاعات ، وبذل النفس والنفيس في سبيل الجهاد الأكبر والأصغر ، في سبيل الله عزّ وجلّ ٣ والتفاني في حب الله وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم صوفيّين

القرآن وهو قوله تعالى « قل ان كان آباؤكم وابناؤكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقتربتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) ولهذا اوجب الفقهاء المتصوفون على انفسهم ان يكونوا في جميع الحالات على الاستعداد للتضحية بهذه المصالح الدنيوية في سبيل القيام بحقوق العبودية » . قال وقد تطور التصوف على مدى الاجيال ، حتى صار علماً قائماً بذاته يسترشد به ، وقد بدأ بتدوين هذا العلم ، وهتفت حواشيه ونظمت مبادئه حوالي نصف القرن الثاني من الهجرة وكان تأسيس اول طريقتة نظامية في سنة ١٤٩ هجرية وبعد ذلك توالى انشاء الطرق الاخرى ٥ .

(١) ذكر هذا في معظم كتب التصوف .

(٢) الرسالة القشيرية ص ٧ الى ص ٨ .

(٣) الجهاد الاكبر جهاد النفس ، والجهاد الاصغر جهاد الحرب .

وإن لم يطلق عليهم اسم صوفية ١ .

وأما التابعون ، فلقرّب عهدهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا أهل عبادة واجتهاد ورياضة ، فلم يكونوا بحاجة لتلقيهم علماء يرشدهم الى امرهم قائمون به ، ولكن بعد ان مضى عهد هؤلاء السادة الكرام ، كانت الدعوة الى التصوف ضرورة ، بعد فترة اصبحت فيها يتناسون الاقبال على الله ، بالالتفات الى الدنيا ، واستيلاء الغفلة على نفوسهم ، بما دعا أئمة هذا الشأن ، الى الدعوة اليه . وكذلك كان الحال في امر تدوين علمه ، واثبات شرفه ، في عصر قام فيه كل فريق من العلماء والفقهاء ، وغيرهم بتدوين العلم او الفن ، الذي يجيده اكثر من غيره من العلوم .

لقد كان جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، ثم نشأ في الصدر الاول بعد تدوين النحو علم الفقه ، وعلم التوحيد وعلوم الحديث واصول الدين وغيرها ، وكان تدوين علم التصوف ايضاً ، كما يجب ان يكون ، من ارباب الهمة والرياسة والزهد والاقبال على الله ، لحاجات النفوس اليه ، تعاوناً على البر والتقوى بالارشاد الى سبيل الله تعالى .

قال شيخنا سيدي احمد زرّوق نفعنا الله به وبأقواله : (لا متّبع إلا المعصوم لانتفاء الخطأ عنه ، او من شهد له بالفضل ، لان مركب العدل عدل ، وقد شهد رسول الله عليه الصلاة والسلام بان خير القرون قرنه ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، فصحت فضلهم على الترتيب والاقتران بهم كذلك . لكن الصحابة تفرقوا في البلاد ، ومع كل واحد منهم علم ، كما قاله مالك رضي الله عنه ، فلعل مع احدهم ناسخ ومع الآخر ما هو منسوخ ، ومع واحد مطلق ، ومع الآخر مقيد ، ومع بعضهم عام ، وعند الآخر مخصص ، كما وجد كثيراً ؛ فإلزام الانتقال لمن

(١) مقتبس من كتاب قواعد التصوف لشيخنا سيدي احمد زرّوق .

بعدهم ، إذ جمعوا المتفرق من ذلك وضبطوا الروايات فيما هنالك ، لكنهم لم يستوعبوه وإن وقع لهم بعض ذلك ، فازم الانتقال للثالث إذ جمع ذلك وضبطه وتفقه فيه فتم حفظاً وضبطاً وتفقهاً ، فلم يبق لاحد غير العمل بما استنبطوه ، وقبول ما أصّوه واعتمدوه ، ولكل علم في القرن ، أئمة مشهود فضلهم ، علماء وورعاً ، كإلك والشافعي واحمد والنُّعمان للفقه ، وكالجنيد ومعروف وبشر للتصوف ، وكالحاسبي لذلك ، وللاعتقادات ؛ إذ هو اول من تكلم في اثبات الصفات كما ذكره ابن الاثير ١ .

قال : (ولما كان علم التصوف علماً وعملاً ، كان اخذ العلم عن المشايخ اتمّ من اخذه دونهم (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ آمَنُوا) فازمت المشيخة سيما والصحابة رضي الله عنهم اخذوا عنه عليه الصلاة والسلام ، وهو اخذ عن جبريل عليه السلام ، واتبع اشارته في ان يكون عبداً ونبياً ، واخذ التابعون عن الصحابة ، فكان لكلّ اتباع يختصون به كأبن سيرين ، وابن المسيّب والاعرج في ابي هريرة ، وطاووس ووهب ومجاهد لابن عباس وغيره . فالعلم والعمل اخذه جلي فيما ذكر كما ذكروا) .

قال : وأما الافادة بالحال والهمة ، فقد اشار اليها أنس بقوله : ما نفضا التراب عن ايدينا من دفنه عليه الصلاة والسلام ، حتى انكرنا قلوبنا ، فأبان ان رؤية وجهه الكريم كانت نافعة لهم في قلوبهم ، إذ من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها ، فلذلك امر بصحبة الصالحين ، ونهى صحبة الفاسقين .

وهنا امور لا بد من شرحها ، ولذلك وجدتي اكتبها في ثلاثة فصول : الاول ، في ماهية التصوف ، الثاني ، في العقيدة التي اجمع

(١) قواعد التصوف لسبدي الشيخ احمد زروق . ص ٣١/٣٣/٣٤ . قرآن كريم الآية ، سورة المنكوت .

عليها السادة الصوفية ؛ الثالث ، في الطريق ، والطريقة الشاذلية وكلمة
موجزة عن شيخنا ومولانا الامام عليّ ابي الحسن الشاذلي قدس الله
سره ، فإن حصل التوفيق بتأليف هذا الكتاب ، فهذا من فضل ربي ،
ولا فمن عجزني وضعفي ، راجيةً من الله سبحانه ان يمد لي يد المعونة
فهو نعم المولى ، ونعم النصير ، وهو ولي التوفيق .

الفقرة اليه سبحانه

فاطمة الزهراء الشريفة الحسينية

فآحة الكئاب

في

١ - ماهية التصوف

٢ - العقيدة التي أجمع عليها السادة الصوفية

٣ - الطريق والطريقة الشاذلية

ماهية التصوف

لقد اجمع ساداتنا الصوفية رضي الله عنهم ، على ان التصوف ، هو الحكمة التي تعطي سعادة الدارين ، بالمعارف الالهية . قال تعالى (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ^١) وقال جل وعلا (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ^٢) ولا بد لمن يريد الحصول على شيء من الحكمة الالهية ، من أن يتأدب بآداب الشرع ، وآداب الباطن الذي هو مراقبة الحواطر ، وتمييز الصحيح منها من الفاسد ، والمدح من المذموم ، وتصفية القلب من حظوظ النفس والعِلل ، وتطهيرها ؛ فإذا تركت النفس وانجلت مرآة القلب تنعكس فيها انوار العظمة الالهية والمعارف القدسية ، فتنبثق في ذلك القلب انوار المعارف اللدنية ، وتتفجر ينبيع الحكمة الالهية . قال مولانا ابن عطاء الله الاسكندري في الحكيم : (ربما وردت الانوار فوجدت القلب مشحوناً بالآثار ، فارتحلت من حيث أتت ، فرغ قلبك من الأغيار ، ملاءة بالأسرار والآنوار ^٣) .

فخلاصُ النفس والظفر بمعرفة الله ؛ ميراث التزكية . وقالوا : (إن

(١) سورة البقرة .

(٢) سورة الجمعة .

(٣) كتاب الحكيم العطائبة لسبدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري .

علم التصوف أشرف العلوم وأفضلها على الإطلاق (١) لأن موضوعه معرفة الله تبارك وتعالى ، بأسمائه وصفاته وأفعاله . والعلم يشرف بشرف المعلوم وبشمراته ؛ فالعلم بالله أشرف من العلم بكل معلوم ، من جهة ان متعلقه أشرف المعلومات وأكملها ، ولأن ثماره أفضل الثمرات ، فإن معرفة كل صفة من الصفات ، توجب حالاً عليه ، وينشأ عن تلك الحال ملبسة اخلاق سنية ، ولهذا كان العلم بما يتعلق بالله تعالى من صفات الفعل وصفات الذات ، كما أثبت بذلك السادة الصوفية ، يرقى بصاحبه الى التخلُّق بأخلاق الصفات ، فيتخلق من الرحمة باسمه الرحيم ، ومن الاحسان باسمه المحسن ، ومن نفع العباد باسمه النافع ، ومن المضرة باسمه الضار ، وكذلك باقي الأسماء ، يتخلق فيها فيما هو لائق ، فإذا حصل ذلك يرقى الى تأثيرها في الموجودات وسريان اسرارها في الأكوان ، ثم الى الفناء في شهود الذات الصادر عنها انواع المبدعات .

وهذا معنى الايمان بالذوق والوجدان ، وعدم الوقوف عند حد التصديق واليقين وقد اثبت الحق عز وجل تفاوت درجات الايمان بقوله تعالى في كتابه العزيز (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَيَسِّرَ اللَّهُ لَهُمْ أَيْمَانَهُمْ) ٢ فقد ينقص الايمان الى حد ان يكون ظناً ، وقد يتزايد الى ان يكون قريباً ووصلاً إذ ما من كمال إلا وعند الله أكمل منه .

ويدور علم الباطن على أصليين : علم بالله وبمعرفة تجلياته بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعلم بالنفوس ومراتبها وتامها ونقصها ومحاسنها ومعاييبها ، لأن مفتاح معرفة الله عند القوم ، معرفة النفس ، وكيف يعرف ربه من لا يعرف نفسه ؟ (فمن عرف نفسه فقد عرف ربه) .

وقال الله تعالى « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ

(١) هذا ما اجمع عليه السادة الصوفية .

(٢) سورة الفتح .

لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ . » وقال : « وفي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » ١ .
ثم هناك معرفة حقيقة الدنيا ، ومعرفة احوال الآخرة ، ومراقبة
النفس وإيثار حب الله على كل شيء . ويتفرع من هذه المعارف الالهية
ابحاث عامة واسعة النطاق ترجع كلها الى صدق التوجه الى الله . قال
مولانا الشيخ زروق : « قد حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو
الألفي باب ترجع كلها الى صدق التوجه الى الله ، وإنما هي وجوه
فيه » ثم قال : « الاختلاف في الحقيقة الواحدة ان كثير دل على بعد
ادراك جملتها ، ثم هو ان رجوع لأصل واحد يتضمن جملة ما قيل فيها ،
كانت العبارة عنه بحسب ما فهم منه ، وجملة الاقوال واقعة على
تفاصيله ، واعتبار كل واحد على حسب مثاله علماً او عملاً او حالاً او
ذوقاً ، وغير ذلك والاختلاف في التصوف من ذلك » ٢ .

فمن ثم ألحق الحافظ ابو نعيم رحمه الله بغالب اهل حليته عند تحلية
كل شخص ، قولاً من اقواله يناسب حاله قائلاً : وقيل « إن التصوف
كذا) فاشعر أن من له نصيب من صدق التوجه ، له نصيب من
التصوف ، وأن تصوف كل احد صدق توجهه ؛ فافهم » ٣ .

وقال ابو نعيم : (قاعدة صدق التوجه مشروطة بكونه من حيث
يرضاه الحق وبما يرضاه . ولا يصح مشروط بدون شرطه . وقال : فلا
تصوَّف إلا بفقهِ إذ لا تُعرف احكام الله تعالى الظاهرة إلا منه ولا فقهِ
إلا بتصوف إذ لا عمل إلا بصدق توجهه ، ولا هما إلا بإيمان ؛ إذ لا
يصح واحد منهما بدونه ، فإزم الجمع لتلازمهما في الحكم كتلازم الأرواح
للأجساد ، إذ لا فرق إلا فيها ، كما لا كمال لها - أي للأشباح -

(١) سورة فصلت .

(٢) قواعد التصوف لسبدي احمد زروق ص ٢ ص ٣ ايقاظ الهمم على شرح الحكم للشيخ ابن

عجيبه ص ٤ ص ٥ .

(٣) قواعد التصوف لسبدي الشيخ احمد زروق ص ٢ .

إلا بها ١ .

والاعمال عند اهل الفن على ثلاثة اقسام : عمل الشريعة ، وعمل الطريقة ، وعمل الحقيقة . او تقول : عمل الاسلام ، وعمل الايمان ، وعمل الاحسان . او تقول : عمل العبادة ، وعمل العبودية ، وعمل العبودة ٢ . او تقول : عمل اهل البداية ، وعمل اهل الوسط ، وعمل اهل النهاية . فالشريعة ان تعبد ، والطريقة ان تقصده ، والحقيقة ان تشهده . والكلام هنا على الاعمال التي توجب التصفية والتطهير . إذ العلم عند الناس كثير ، والعمل به قليل ، وعلى تقدير وجود العمل ، لا يخلو من طلب الحظوظ وقصد الحروف ، وذلك مناف للاخلاص ٣ .

قال ابن عجيبة (وقد أشكل على بعض الفضلاء قوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) ٤ مع قوله صلى الله عليه وسلم : (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله) . ثم ذكر الشيخ اجوبة كثيرة عن هذا الاشكال ، أذكر منها قوله : إن الله سبحانه لما دعى الناس الى التوحيد والطاعة على أنهم يدخلون فيه من غير طمع فوعدهم بالجزاء على العمل .

فلما رسخت أقدامهم في الاسلام ، اخرجهم عليه الصلاة والسلام من ذلك الحرف ورقّاهم الى اخلاص العبودية والتحقيق ، بمقام الاخلاص ؛ فقال : (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله) . والله اعلم ٥ .

(١) قواعد التصوف لسيدى الشيخ احمد زروق ص ٢ .

(٢) العبودة . من شاهد نفسه في مقام العبودية لربه . اصطلاحات الصوفية للشيخ عمى الدين بن عربي نشرت في ذيل تعريفات الجرجاني ص ١١ .

(٣) شرح الحكم لابن عجيبة ص ١٠ .

(٤) سورة النحل .

(٥) شرح الحكم لابن عجيبة ص ١٢ و ص ١٣ وفي رواية ثانية (لن ينجي احداً منكم عمله) رواه البخاري .

والصوفي العارف الواصل ، لا يقوم بالعبادة لطلب ثواب ، او خوفاً
عقاب ، بل تقرباً لله ، واحتساباً لوجهه الكريم ، وامتناناً لأمره . فقد
رُوي عن السيدة العابدة العارفة بالله ورسوله رابعة العدوية رضي الله
عنها ، انها كانت تصلّي في كل ليلة مائة ركعة ، ثم تخاطب الحق عزّ
وجلّ قائلة : « لا خوفاً من نارك ولا طمعاً بجنّتك ، بل ابتغاء وجهك
الكريم) ، ومن اقوالهم الماثورة « ان تكلم العارف فيالله ، وان سمع
فمن الله ، وان تحرك فبأمر الله ، وان سكن فمع الله ، فهو يعيش بالله
ولله ومع الله) .

العقيدة

التي اجمع عليها السادة الصوفية

أورد الامام السيوطي في كتاب « تأييد الحقيقة العلية بتشييد الطريقة الشاذلية » عن صاحب - التعرف ١ - انه قال :

« أجمعت الصوفية على ان الله تعالى واحد أحد ، فرد صمد ، قديم ، عالم ، قادر ، حق ، صميع ، بصير ، إله ، سيد ، مالك ، رب ، رحمن ، رحيم ، مُريد ، حكيم ، متكلم ، خالق ، رازق ، موصوف بكل ما وصف به نفسه ، مسمى بكل ما سمي به نفسه ، لم يزل قديماً بأسمائه وصفاته ، غير مشبه بالخلق بوجه من الوجوه ، لا تشبه ذاته الذوات ، ولا صفته الصفات ، ولا يجري عليه شيء من سمات المخلوقين ، لم يزل سابقاً متقدماً المحدثات ، موجوداً قبل كل شيء ، لا قديم غيره ، ليس بجسم ولا بشبح ، ولا شخص ولا صورة ، ولا جوهر ولا عرض ، ولا اجتماع له ولا افتراق ، ولا يتحرك ولا يسكن ، ولا يزداد ولا ينقص ، ليس بذئ أبعاد ولا اجزاء ، ولا جوارح ولا اعضاء ولا بذئ جهات ، لا تجري عليه الآفات ، ولا تأخذة السمات ، ولا تداوله الاوقات ، ولا تعينه الاشارات ، ولا يحويه مكان ، ولا يجري عليه زمان ، لا تجوز عليه المماسة ، ولا

(١) كتاب التعرف الى مذاهب اهل التصوف ص ٥١ ص ٥٢ تأليف الامام العارف (ابو بكر محمد بن اسحق البخاري الكلاباذي المتوفي ٥٣٨٠-٩٩٠م) نشر لأول مرة بتصحيح واهتمام الاستاذ ارثر جون اوبري زميل كلية بيمبروك في جامعة كمبرج سابقاً ومدرس الادب اللاتيني واليوناني في جامعة مصر ، سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م ص ١٣ ص ١٤ . تأييد الحقيقة العلية للامام السيوطي ص ٥١ و ٥٢ .

العزلة ، ولا الحلول ، ولا تحييط به الأفكار ، ولا تحجبه الأستار ، ولا تدركه الابصار ، لم يسبقه قبل ، ولم يقطعه بعد ، ولا يفادره من ، ولا يوافقه عن ، ولا يُظله فوق ، ولا يُقله تحت ، ولا يقابله حد ، ولا يزاحمه عند ، ولا يأخذه خلف ، ولا يحده امام ، ولا يُظهره قبل ، ولا يقيدّه بعد ، ولا يجمعه كل ، ولا يوجدّه كان ، ولا يفقده ليس ، ولا يستره خفاء ، تقدّم الحدوث قدمه ، والقدم وجوده ، والغاية أزله ، إن قلت متى ؟ فقد سبق الوقت كونه ، وإن قلت كيف ؟ لا يجتمع صفتان متضادتان لغيره إقناعاً بذلك ان يشبهوه . فعله من غير مباشرة ، وتفهمه من غير ملاقاته ، وهدايتيه من غير إيجاد ، لا تُتازعه المهم ، ولا تخالطه الافكار ، ليس لذاته تكييف ، ولا لفعله تكييف .

واجمعوا انه لا تدركه العيون ولا تهجم عليه الظنون ، لا تتغير صفاته ولا تتبدل اسماؤه لم يزل كذلك ولا يزال ، هو الاول والآخر ، والظاهر ، والباطن ، وهو بكل شيء عليم (ليس كمثله شيء) وهو السميع البصير)^١ .

وقال ايضاً : (وأجمعوا ، على انه تعالى لا يرى في الدنيا بالأبصار ولا بالقلوب الا من جهة الأيقان - أي - الأيقان بوجوده تعالى ، لأنه غاية الكرامة وفضل النعم^٢ . ثم ترح قول الصوفية على التخلق بالصفات فقال : « ربما ظن ان المتخلق انصف بصفات الله حقيقة ، وهذا محال ، انما اخذ الاسم فقط ، لا المعنى الذي وصف به البارئ فالرحيم مثلاً يطلق على الله ، وعلى غيره ، لكن معناه في حق العبد ، رقة القلب ، وهو محال على الله ، فالرحمة في حقه سبحانه ، ارادة إيصال الخير او فعله ، على الخلاف في كونها صفة ذات او صفة فعل » .

(١) سورة الشورى .

(٢) تأييد الحقيقة العلية للامام السيوطي ص ٥٢ كتاب التعرف ص ١٤ .

وأورد السيوطي قول الغزالي في الاحياء فقال : « الأسامي كلها ،
إذا أطلقت على الله وعلى غير الله ، لم تطلق عليهما بمعنى واحد أصلاً ،
حتى ان اسم الموجود الذي هو اعظم الاسماء اشتراكاً ، لا يشمل الخالق
والخلق بوجه واحد ، بل كل ما سوى الله فوجوده تابع لوجوده ،
والوجود التابع لا يكون مساوياً لوجود المتبوع وانما الاستواء نظيره
اشتراك العرس والشجر في الجنس وليسا متشابهين في الجنسية ، وهذا
التباعد في سائر الاسماء اظهر ، كالعلم والارادة والقدرة وغيرها ، وكل
ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق ١ ، ١ هـ .

فإن قيل كيف هذا وقد جاء في اقوال بعض السادة الصوفية
المعتبرين عبارات عن الرؤية كقول عمر بن الفارض :

وإذا سألتك ان اراك حقيقةً فاصبح ولا تجعل جوابي لن ترى
والجواب على هذا ، تأويل لسيدى الشيخ علاء الدين القونوي احد ائمة
الشافعية ، وسأرح الخاوي فقيه اصولي متكلم علامته محقق في كتابه
- شرح التعرف - لمذاهب اهل التصوف للكلاباذي وقد خص واورد
هذا التأويل الامام السيوطي في كتابه - التأييد - ٢ .

واعتمده وزاد عليه فقال : قال الشيخ علاء الدين : « التأويل ،
فأمور ، احدها ان العبارة عن المعاني المدركة بالوجدان ، على ما هي
عليه تعسر جداً ، الا ترى ان الشخص لو اراد ان يصف حلاوة قصب
السُّكَّر لمن لم يذقه بعبارة توصل ذلك الى فهمه عن حقيقته لم يستطع
ذلك ابداً . ومن الأمور المقررة في العقول ان البديهيات والضروريات ،
لا يمكن حدها ؛ وقد قال الامام فخر الدين : « ان العلم لا يُحد
لأنه ضروري » وقال إمام الحرمين : « انه نظري عسير الحد فيه »
قال : وللعارف منهم معنى بقلبه فيريد التعبير عنه فلا يمكنه عبارة

(١) تأييد الحقيقة العلية للامام السيوطي ص ٥٣ كتاب التعرف ص ٢١ :

(٢) تأييد الحقيقة ص ٧٢ و ٧٨ .

تعطيه ، فيأتي بعبارة موهمة كما قال الغزالي في الفناء : « ان العلماء به قصرت عباراتهم عن إيضاحه وبيانه ، بعبارة مفهومة موصلة للغرض الى الافهام » ، وكما قال ابن عباد ، في مراتب الشهود : « ان التفرقة بين حقائقها على ما هي عليه ، تعسر العبارة عنها وقد زلت بسبب ذلك أقدام كثير من الناس ، وقال صاحب التعرف : « مشاهدات القلوب ومشاهدات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق ، بل تعلم بالمنازلات والمواجيد ، ولا يعرفها إلا من نازل تلك الاحوال » وزاد القونوي في شرحه ، « ونظير ذلك حال المسرور والمهموم ، ومن اتصف بالسرور والمهموم ، قال : « وقد يجد الانسان في نفسه اموراً يتحققها وتضيق عنها العبارة ، وتقتصر عن تعريفها الاشارة » .

الثاني ، أن يكون من استعمال اللفظ في معنى آخر غير المشهور على ألسنة العلماء ، تواضعاً منهم او اصطلاحاً بينهم ، كلفظ الاتحاد ، فإنه يُطلق على المعنى المرادف للحلول ، كما جمع بينها الغزالي والبيضاوي . وذلك كفر . ويطلق بمعنى التوحيد وإفراد الامر كله لله ، وقد نبه على ذلك من أئمة التحقيق الشيخ سعد الدين التفتازاني ^١ . ولهذا قال شيخنا . - علي وفا - في قصيدة :

وظنوا بي حلولاً واتحاداً وقلبي من سوى التوحيد خال
فتبرأ من الاتحاد بمعنى الحلول ، وقال في أبيات أخر :
وعلمك أن كل الأمر عندي هو المعنى المسمى بالاتحاد
فذكر أن المعنى الذي يريدونه بالاتحاد اذا اطلقوا ، هو تسليم الأمر لله وترك الارادة معه والاختيار والجري على مواضع اقداره من غير اعتراض ، وترك رؤية الخلق وسعة العطاء والمنع اليهم ، وقال ابو ايوب : الخالص من الاعمال ، ما لم يعلم به ملك فيكتبه ، ولا عدو يفسده ، ولا النفس فتعجب به ، قال صاحب التعرف : « معناه انقطاع العبد

(١) تأييد الحقيقة العلية للسيوطي ص ٧٢/٧٣/٧٤ .

والرجوع اليه من فعله ، قال : القونوي « إذا كُمل انقطاع العبد الى الله وفناؤه عن فعله يصير فعله كلاً فعل ، فكأنه لم يفعل شيئاً فلا الملك يكتبه ، ولا العدو يفسده ، ولا النفس تعجب به ^١ أي على سبيل التشبيه والتقدير ، إذ التقدير اعطى الموجود حكم المعدم او بالعكس ، قال واكثر ما يقع في كلام هذه الطائفة من الاشارات ، محمول على هذا النوع من الاستعارات ، ومن حملها على ظاهرها أشكلت عليه معانيها فأساء الظن بهم . »

الثالث ، ان يكون ما وقع في الفاظهم مضافاً الى انفسهم ، وهو بما لا يضاف الا الى الله تعالى ، فانهم يقصدون به حكاية عن الله ، فان الكلام ينقسم الى ما يحكيه المتكلم عن نفسه ، وعن غيره ، وان لم يصرح بالاضافة اليه ، كحديث البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ أَحْتَسِبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ) انما قاله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه ، وان لم يصرح به ، وقال : (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) ^٢ فهذا على لسان الملائكة ، وقال : (وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) ^٣ فهذا على لسان جبريل ، وهذا نوع لطيف حررت الكلام فيه - في الاتقان - ^٤ ومثاله قول مولانا الشيخ - علي وفا - :

كإلك طاعتي في كل حال ونقصك ان تعاند في مرادي
فان هذا قاله على لسان الحقيقة ، وكذا قول ابن الفارض رضي

(١) - اي - اعمال الخير والافعال التي تقرب الى الله تعالى كالطاعات والعبادات والبذل في سبيل

الله ورسوله .

(٢) سورة الصافات .

(٣) سورة مريم .

(٤) كتاب الاتقان في علوم القرآن ، للامام السيوطي صفحة ٧٤ من كتاب تأييد الحقيقة

العالية للسيوطي .

الله عنه :

وان عبد النار المجوس وما انظفت كما جاء في الأخبار في الف حجة
فما عبدوا غيري وما كانت قصدم سواي وان لم يضمروا عقد نيّتي
قاله ايضاً على لسان الحقيقة مشيراً به الى عبادة الكفار ، وسجودهم
لنار والصنم والوثن ، واقع في الحقيقة لله تعالى ، لأن المذكورات ،
أقل من ان تُعبد ويسجد لها ، فتقع السجدة لله على رغم انف الساجد
وهو كافر بنية السجود لغير الله ، وهذا معنى قوله تعالى (وَبِاللهِ يَسْجُدُ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ^١) . أخرج ابن حاتم
في تفسيره عن قتادة في الآية قال : المؤمن يسجد لله طائِعاً ، والكافر
يسجد لله كرهاً . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن حاتم بسند صحيح
قال : (عِبَادَتُهُمْ لِي أَجْمَعِينَ طَوْعاً وَكَرْهاً) . وقال الفاكهي : وهو
احد أئمة المالكية وأحد المتصوفة وأحد اصحاب سيدنا الشيخ ابي العباس
المرسى في حديث - كنت سمعته - فهو فيما يظهر لي على حذف مضاف ،
والتقدير كنت حافظ سمعته الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحلّ سماعه ،
وحافظ بصره كذلك ، الى آخره قال : ويحتمل معنى آخر أدق من
الذي قبله وهو ان يكون معنى سمعته مسموعه لأن المصدر قد جاء بمعنى
المفعول . مثل ، فلان امني ، والمعنى انه لا يسمع إلا ذكري ، ولا
يلتذ إلا في عجائب ملكوتي ، فلا يمد يده إلا الى ما فيه رضي ،
ورجله كذلك ، نقل هذين التأويلين عنه الحافظ ابن حجر ، في شرح
البخاري ، ثم قال : وأسند البيهقي في الزهد عن ابن عثمان الجيزي احد
أئمة الطريق قال ما معناه : اسرع الى قضاء حوائج من سمعته في الاسماع
وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي . ^٢

قال السيوطي : (وهذا تأويل حسن سائغ وهو لامام صوفي) .

(١) الآية سورة الرعد . كتاب تأييد الحقيقة العلية للسيوطي ص ٧٤ .

(٢) تأييد الحقيقة العلية للسيوطي ص ٦٦ .

ثم قال : قال الحافظ ابن حجر هـ وحمله بعض المتأخرين الصوفية على ما يذكرون من مقام الفناء والمحو ، وأنه الغاية التي لا شيء وراءها ، هو ان يكون قائماً باقامة الله له ، محباً بمحبته له ، ناظراً بنظره له من غير ان يبقى معه بقية تناط باسم ، او تقف على رسم او تتعلق بأمر او توصف بوصف ، قال : ومعنى هذا الكلام انه يشهد إقامة الحق له ، حتى قام ، ومحبته له حتى احبه ونظره الى عبده ، حتى اقبل ناظراً اليه بقلبه ، ولا إشكال في هذا المعنى ^١

وأختم هذا البحث ، بقول شيخنا ومولانا الشيخ احمد زرّوق قدس الله سره في كتابه - قواعد التصوف - قال : (لا بد من تحقيق اصول الدين وإجرائه على قواعده عند الأئمة المهتدين لأن مذهب الصوفي تابع لمذاهب السلف في الاثبات والنفي ، وفصول الاعتقاد ثلاثة : اولها ما يُعتقد في جانب الربوبية ، وليس عندهم إلا التنزيه ، ونفي التشبيه مع تفويض ما اشكل بعد نفي الوجه المحال ، اذ ليس ثم الحن من صاحب الحجة بحجته .

الثاني ، ما يُعتقد في جانب النبوة ، وليس الا إثباتها وتنزيها عن كل علم وعمل وحال ، لا يليق بكما لها مع تفويض ما اشكل بعد الوجه المنقص ، اذ للسيد ان يقول لعبده ما شاء ، وللاعب ان ينسب لنفسه ما يريد تواضعاً مع ربه ، وعلينا ان نتأدب مع العبد ، ونعرف مقدار نسبته ^٢ .

الثالث ، ما يُعتقد في جانب الدار الآخرة ، وما يجري مجراها من الحيرات ، وليس إلا اعتقاد صدق ما جاء من ذلك على الوجه الذي جاء عليه ، من غير خوض في تفاصيله الا بما صح وانضح . والقول الفصل في كل مشكل . ذلك ما قاله الشافعي رضي الله عنه اذ قال : آمناً بما

(١) تأييد الحقيقة العلية للسيوطي ص ٦٦ و ٦٧ .

(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله .

جاءَ من عند الله على مراد الله ، وبما جاء عن رسول الله على مرادِ
رسول الله . وقال مالك رضي الله عنه : الاستِواء معلوم ، والكيفُ
غير معقول ، والايان واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وهو جوابٌ عن
كل ما اشكل من نوعه في جانب الرُّبُوبِيَّة .
« وهذا مذهب الصوفية في كل صفة سمعية »^١ .



(١) قواعد التصوف لسيدى احمد زروق ص ٢٥ .

الطريق

والطريقة الساذية

المراد بالطريق هنا ، طريق السلوك الى الله ، وهي طريق السادة الصوفية . ولها ظاهر وباطن ، فظاهرها ما يتعلق باصلاح الجوارح ، وباطنها ، ما يتعلق باصلاح العوالم الباطنية ، فلاهل هذه الطريقة الخاصة ، كمال المعرفة والمراقبة للحق سبحانه في الحركات والسكنات والانفاس والاحظات ، حتى يستوي سلطان الحق على القلوب ، فيضمحل ما تعلقت به او سكنت اليه من احوال الدنيا وخطوبها ، كما قال الغزالي في تعريف منازل الطريق في جواهر القرآن قال : (مقاصد القرآن ستة : سادسها تعريف منازل الطريق واليه الاشارة بقوله سبحانه في سورة الفاتحة : (**اِيَّاكَ نَعْبُدُ** و **اِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) وقال الطيبي في - حاشية الكشاف - : (العلوم التي هي مناط الدين اربعة ، كلها في الفاتحة ، علم الاصول ، وعلم الفروع ، وعلم القصص ، وعلم ما يحصل به الكمال ، وهو علم الاخلاق واجلته الوصول الى الحضرة الصمدانية ، والاتجاه الى جناب الفردانية ، والسلوك لطريقه ، والاستقامة فيها ، واليه الاشارة بقوله : (**وايَّاكَ نَسْتَعِينُ** ، اهدنا الصراط المستقيم) ؛ ويؤخذ من بقية السورة بطريق الاشارة ان ثم طرقاً اخرى متشعبة خارجة عن سنن الاستقامة ؛ فليحذر منها ، وهي طريق المغضوب عليهم والضالين) انتهى .

وقد اثبت جماعة من السادة الصوفية ، ان ليس التصوف في قراءة الكتب المؤلفة فيه ، وانما هو السعي في اصلاح القلب وتطهيره من

الامراض الحبيثة ، وتمذيب النفس وتفقد عيوبها وارجاعها الى جوهرها
الاصلي كما قال تعالى : « يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَىٰ
رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً » . ١

والطريق مهما كثرت وتنوعت ، فهي ترجع الى العلم والعمل ، قال
مولانا وشيخنا احمد زروق رضي عنه ، في قواعد التصوف : (تعدد
وجوه الحسن يقضي بتعدد وجوه الاستحسان ، ومن ثم كان لكل فريق
طريق ، فلعامي تصوف حوته كتب المحاسبي ، ومن نحا نحوه ، وللفقيه
تصوف رامة ابن الحاج في مدخله ، وللمحدث تصوف ، حام حوله ابن
عربي في - سراج - وللعابد تصوف ، دار عليه الغزالي في
- منهاجه - ؛ وللمتريِّض تصوف نبَّه عليه القشيري في رسالته ،
وللناسك تصوف ، حواه القوت والاحياء ، وللحكيم تصوف ، أدخله
الحاتمي في كتبه ، وللمنطقي تصوف ، نحا اليه ابن سبعين في تأليفه ،
وللطبايعي تصوف ، جاء به البوني في - أصراره - وللأصولي تصوف ،
قام الشاذلي بتحقيقه فليعتبر كل بأصله من محله) ٢٥١ .

والسر الأعظم في طريق الارادة قوله سبحانه (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمُ
أُولُو الْأَلْبَابِ ٣) وعرف الطريق الشيخ ابو بكر الطمستاني فقال :
« الطريق واضح ، والكتاب والسنة بين أظهرنا ، وفضل الصحابة معلوم
بسبقهم الى الهجرة وصحبهم ، فمن صحب الكتاب والسنة وتغرب عن
نفسه والخلق وهاجر بقلبه الى الله فهو الصادق المصيب » ٤ .
وقد قسم الطريق سيدي الشيخ ابن عباد الشاذلي رضي الله عنه ، في

(١) سورة الفجر .

(٢) قواعد التصوف لسيدي احمد زروق ص ٢٠ .

(٣) سورة الزمر .

(٤) الرسالة القشيرية للامام الشيخ عبدالكريم ابو القاسم القشيري ص ٢٩ .

كتابه المفاخر العلية ، الى قسمين ، والسائرين فيه الى فرقتين : الفرقة الأولى ، اهل طريقة الجلاء والأشراق ، وهي طريقة استعمال الرياضيات ، وتركيبه الاخلاق ، والفرقة الثانية اهل طريقة البحث والاستغال بالعلوم ، مع السعي في اصلاح القلب وتهذيب النفس .

ثم اورد ما ذكره شيخنا سيدي احمد زرّوق رضي الله عنه احد اقطاب الطريقة الشاذلية في - شرح المباحث الاصلية - وقد رأيت ان انتقل هذا البحث كما هو لكتابي هذا ، لما فيه - اي - في البحث من فوائد لأبناء الطريق .

قال عن الفريق الاول .

(إن النفس في اصل نشأتها ، كالمرآة الصقيلة النظيفة ، يتجلى فيها كل شيء يقابلها من ماضي الوجود ، والآتي منه ، لكنها متعوقة في ذلك بأحد امرين ، اما صدورها بصور الاكوان شهوداً واعتماداً واستناداً ، او انصرافها عن المقصود بالتوجه الى غيره من العلوم والعمليات ، وغيرها مما يصرفها عن المقصود بانطباعه فيها .

فلو انجلى في الأمر الأول لأبصرت ، لرفع حجابها . ولو توجهت في الثاني لرأت ، لنفي احتجابها . وما دامت معلقة بأحدهما ، فهي مصروفة عن المقصود ، ولا يمكنها الوصول اليه ، ولهذا قال في الحكم : « كيف يشرق قلب ، صور الاكوان منطبعة في مرآته ؟ ، أم كيف يرتحل الى الله وهو مكبّل بشهواته ؟ أم كيف يطمع ان يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من غفلاته ؟ أم كيف يرجو ان يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته ، !! »

وكما ان هذه الطائفة مثلوا النفس بالمرآة ، فكذلك مثلوها بعين الماء ، وشبهوا ما يكون في النفس من المعارف والعلوم ، بما يكون في عين الماء ، وقالوا : إن العين قد تغور ، وإنما يخرج ماءها الحفر ،

(١) الحكم العطائية للشيخ تاج الدين ابن عطاء الله الاسكندراني .

وتمثيلهم النفس بالعين صحيح ، فان النفس فيما يتجلى لها من الحقائق والعلوم يوم الميثاق قد يذهلها عنه ما هي به من الأوهام والأسباب ، فيغور منها كما يغور الماء من العين ، فيحتاج الحفر عنه بفأس المجاهدة ومسحاة الرياضة حتى تفور كما كانت او احسن ، وهذا الفريق ، هم اهل طريقة الجلاء وتسمى طريقة الاشراق واجمعوا ان علاج الأصل - اي - علل النفس هو أقرب للبرء لأن بانقطاع الأصل تنقطع فروعه بخلاف من يعالج فرعاً ، والعلاج هو محاولة الدواء ، ولذلك لا يصح إلا بعد معرفة العلة . والعلة إن لم يُعرف سببها وأصلها لم يقف عندها في أصلها . وإن افاد في وجه المداواة ، فإما ان يبطل برؤها بذلك ، او لا يتفق او يكون على غير قياس وهو غرير .

فاعلم اصل علتك ، تظفر ببرئها في أقرب مدة بأدنى معالجة مع الأمن من هيجانها بعد .

وأصل كل داء جسماني ، هو فساد المزاج الى ان يصير فعلها وانفعالها على غير المجرى الطبيعي ، وأصل كل داء قلبي ، إنما هو فساد القصد الذي عنوانه الرضا عن النفس حتى يصير فعلها وانفعالها على غير المجرى الشرعي والحقيقي . بل على وفق الهوى والأوهام الباطلة التي شأنها ضَعْف اليقين ورقة الديانة . وعلاج النفس هو كفها عما تريد من النقائص والغفلات حتى لا تقع فيه ، وتطهيرها عما وقعت فيه حتى يزول اولاً بالتقوى والاستقامة ، حتى لا تزال فيها ، وثانياً ، بالتوبة والانابة حتى تنصبغ بلوازمها من التقوى والاستقامة ونحوها .

قال : وهذه الطريقة التي هي طريقة الاشراق والجلاء ، كانت قديمة حتى انها كانت في غير زمن الشريعة لأنها إنما هي صقل لمراة النفس من غير زائد وهي ايضاً باقية ما بقي الزمان لا ترتفع ، لكنها تارة تجري بالاصطلاح من الحلوات والترتيبات ونحوها وتارة بحفظ الاصول فقط ، وتارة بحفظ الحرمة ليس إلا ، وتارة بمجرد التلقي واللقاء . وهذه الامور لا

تقول أئمة الدين ، غير ان الاصطلاح قد انقضى في هذه الأزمنة وارتفع
انتاجه حسبما دلت عليه العلامات وشهد به الاستقراء . قال بعض مشايخنا
رضي الله عنهم : ارتفعت التريبية بالاصطلاح في سنة اربع وعشرين
وثمانمائة ، ولم يبق غير الافادة بالهبة والحال .
فعليناكم باتباع السنة من غير زيادة ولا نقصان ، يعني الجادة مع التزام
الصدق وبالله التوفيق .

اما الفريق الثاني . اهل طريقة البحث والاشتغال بالعلوم ، فانهم
قالوا : ان الاكتساب من خارج أرقى ، فأشركوا العلوم في اصطلاح
طريقتهم ولا غناء لئباب عن مفتاحه ، وعالجوا النفس بطريق العلم والعمل ،
ذلك لأن ما فيها من الانوار يتعاقد بما يرد عليه من خارج فينفي ما
عرض من الظلمة أصلاً وفرعاً بقوته . وهذه الطريقة أتت في تحصيل
الكمال . لأن الأولى ، غايتها الوصول الى ما في النفس من الكمال دون
زائد بخلاف هذه ، فانها تحصيل المكتسب مع ما اتصل اليه من المدخر
وهذا معنى كونها ارفع .

وقالت هذه الطائفة ان العلم مفتاح العمل . لقوله صلى الله عليه وسلم :
« العلم إمام العمل ، والعمل تابعه ، ومن يطلب الخير يؤتته ،
ومن يتق الشر يؤتته » ، ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لا
يعلم » ، والعلوم التي يحتاج اليها اربعة هي :

علم الذات والصفات ،

وعلم الفقه

وعلم التفسير والحديث

وعلم الحالات والمنازلات ،

فأما علم الذات والصفات يعني التوحيد . وطريق اخذه ان يحقق
ترجمة عقيدة مهبذة كعقيدة الامام ابي حامد الغزالي ، ويأخذ براهينها
يأي وجه امكنه دون تعرض للشبه والاشكالات ، مع تشوفه لمواد ذلك

من الكتاب والسنة وشواهد الوجود ودلائل الضع وغيره ، ويجعل ذلك نصب عينيه حتى تنصب حقيقته به انصباعاً يقتضي له ثبوت اليقين بوجه يجد لذته ، فاذا حصل له ذلك استمرت في الجولات فيها نفسه الى حد ما قسم لها من غير توقف وسار بذلك سيراً مباركاً يعرفه عند توجهه فلا حاجة الى وصفه .

واما علم الفقه ، فطريقه فيه ان يأخذ مسلماً عن أئمة المعتبرين فيه في وقته طالباً صورته من غير زائد حتى يتصور جملة الابواب وعقدها من غير زائد ، لان الزيادة مشتتة للذهن ، حتى اذا عرف ذلك تشوف للوجود والنظائر بوجه خفيف للتعاليل والحكم ، ومن يعرف مواد الوجود ووجوهه وتصرف الحق فيه تكلفاً وتعريفاً لان اجدهما مرتب على الآخر فيطلع افق القلب طالع التعظيم والاجلال لمن هو اهل له بان يجعل القلب في ذلك لا فيما لا يعني ولا يقتصر على متعلقات المسائل ، فانها مع ذلك مشقة ، لا سيما لمن لا همة له .

اما علم الحديث يعني فقهه لا صورة الاداء وكيفيته ، ويستدعي ذلك العلم بالتفسير وهما الذات تظهر بهما حقائق الانوار مع العلمين الاولين ، لكن لمن اتبع نظره الى حد يفقه موارد الحكم والحكمة ، ولا يخرج عن حقائق الائمة بل يرجع اليهم لا لمن لا يتقيد بالمنقول ، ولا يتصرف بالمعقول ويستخف بالمنقول ، ولكن كما قيل ، قف حيث وقفوا ثم فسر . ومن اخذه من نصوص الكتاب والسنة ، كان كذلك ان كان محقاً والا فالحديث لغير العالم مذلة ، ومن فاته الاقتداء فاته الاهتداء . ولذلك لا تجد اماماً يهمل اقوال السلف ، بل يتبع آثارهم ومن خالط الكتاب والسنة وفقهها عرف ما قلناه ، وهذا الحرف هو الذي نبه عليه سيدي الشيخ ابو عبد الله ابن عباد في رسائله ايضاً عند ذكر البدعة والتقليد فانظره وبالله التوفيق .

واما علم الاحوال والتنزلات ، وما يجري فيها من آداب

ومعاملات ، وذلك الذي اختص به اهل هذا الشأن ، وفيه طريقان :
 رؤية الحق من اول قدم ، والعمل على ذلك بالاجاء اليه ، وهو طريق
 الشاذلية ومن نحا نحوهم ، وطريق رؤية النفس ، واطلاع الحق عليها والعمل
 على ذلك ، وهي طريق الغزالي ومن جرى مجراه ، وكل منهم مستند
 للحديث أن تعبد الله كأنك تراه ، وهذا للأولين ، أي الشاذلية ، فإن
 لم تكن تراه فانه يراك ، وهذا للآخرين ، وطريق الاستغفال بالعلم وعلاج
 النفس به ، وما اشتملت عليه يقال لها : طريق البرهان ، لأن ليس
 لأحد فيها مطعن ولا للضلال فيها مدخل ، ولكن لا يقدر عليها غير
 فحول الرجال . اما سلوك العائتي بها فبأن يصحح اعتقاده على عالم يشق
 بدياته ويسأل عن علم حاله بوجه يشفيه ، وتطمئن نفسه اليه ، ويلزم
 التقوى والاستقامة بغاية جهده ، بعد التبصر فيما يتعلق بحاله ولا يدخل
 فيه احتمال ولا تأويل ، ولا دخل من قول إمام معتبر غير إمامه ثم
 يستند في احواله لشيخ ناصح او اخ صالح جرّب الامور ، فيأخذ معه في
 كل ما يأتي او يدبر هذا إذا لم يجد شيخاً ، وإلا فانشيخ أبصر بحاله
 يسلكه على ما يليق به ، أما على الطريق الأول ، او على هذا ،
 ووقف فيه موقف الآداب او ما ظهر من ذلك (اه) ١ .

هذا والطريقة الشاذلية من امهات الطرق الصوفية ، فهي تجمع بين
 العلم والعمل والمهمة والحال . وهي طريقة البرهان ، واهلها اهل البحث
 والاستغفال بالعلوم والمعارف ، وقد اشتملت على الجذب الالهي ، في
 حالة الصحو التام والمجاهدة والعناية ، واحتوت على الادب والرعاية
 والتسليم ، وشيّدت بالعلمين الظاهر والباطن ، فلا سكر يؤدي إلى تعدي
 حدود الأدب ولا صحو يفضي الى البعد والحجاب ، فقد قرنت بصفات
 الكمال شريعة وحقيقة ، فاستوت بتوفيق الله تعالى في نقطة الاعتدال ،

(١) كتاب المفاخر العلية في المآثر الشاذلية من ص ٥٧ الى ص ٦١ للشيخ الكبير المعارف ابن عباد .
 - الشيخ ابن عباد احد ائمة التصوف . واحد ائمة الفقه وأحد ائمة الحديث ، وله مؤلفات عديدة في
 علم التصوف وغيره .

وظفرت بهداية الله بوصف التوسط ، وبنيت على الجمع على الله في موقف العبودية بالمشاهدة وعدم التفرقة وملازمة الخلوة والذكر في حدود الشريعة . وهي طريقة الشكر التي كان عليها قلوب الانبياء والاصفياء ، من الصحابة وغيرهم ، وهي عبادته تعالى على إخلاص العبودية والبراءة من جميع الحظوظ ، مع الاعتراف بالعجز والتقصير مدارها على الشكر والفرح بالله من اول وهلة ، وفي حين البداية ، وليس فيها عظيم مشقة وصاحبها يصوم ويفطر ، ويقوم وينام ويقارب نساءه ، ويأتي بسائر وظائف الشرع الشريف التي تضاد رياضة الابدان ، لأن مبناها على الكتاب والسنة وترك المعاصي وفعل الواجبات واتباع السنن المأثورة وكثرة الذكر مع الحضور . وقد تمت كلمة الاجماع ، على استحسان طريقة مولانا الامام علي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وشكر حالته . وقد ذكر سيدي الشيخ بن عباد رضي الله عنه في كتابه - المفاخر العلية ، في المآثر الشاذلية - كلاماً طويلاً في فضائل سيدي ابي الحسن قدس الله سره ، وفضائل طريقته الشريفة . ونقل عن سيدي شمس الدين الحنفي ، رضي الله عنه ، « ان الشاذلية خُصت بثلاث لم تحصل لأحد قبلهم ولا بعدهم ، الاول ، انهم يختارون من اللوح المحفوظ ، الثاني ، المجذوب منهم يرجع الى الصحو ؛ الثالث ، أن القطب منهم » .

وذكر سيدي الشيخ محمود ابو الشامات الدمشقي ، في شرح الوظيفة فقال : قال سيدنا ابو الحسن الشاذلي : (سألت ربي ان يكون قطب الغوث مني الى يوم القيامة ، فسمعت النداء ، يا عليُّ قد استجيب لك) ، وقد ترجمه سيدنا الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري في كتابه - لطائف المنن - وأثنى عليه الثناء الكثير . وترجمه الشعراني في - طبقاته الكبرى - وقال : (إن شيخ الاسلام تقي الدين بن)

(١) قال السيد الجرجاني في تعريفاته : القطب الغوث ، هو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ص ١١٩ .

دقيق العيد كان يقول : ما رأيت أعرف بالله من الشيخ ابي الحسن الشاذلي (.

وقد أورد سيدي الشيخ مصطفى نجما ، مفتي بيروت الأكبر ، في كتابه - كشف الأسرار - فقال : (وذكره الشيخ قطب الدين القسطلاني ، وأثنى عليه ، وذكره الشيخ عبد الله بن النعمان ، وشهد له بالقطبانية ، وذكره الشيخ عبد الغفار بن نوح ، في كتابه - التوحيد - وأثنى عليه الشيخ ابو عبد الله الحاج ، والشيخ ابو زكريا يحيى البليسي) .

قال : « ومن ذكره وأثنى عليه ، الشيخ سراج الدين بن الملقن في طبقات الأولياء - والشيخ جلال الدين السيوطي في - حسن المحاضرة - والشيخ المناوي في - الكواكب الدرية - والشيخ عبد الوهاب الشعرائي في - طبقاته الكبرى - وذكره غير هؤلاء . وتخرج بصحبته جماعة من الأكبر ، مثل ابي العباس المرسي ، وأبي الحسن الصقلي ، وعبد الله الحبيبي ، وأبي العزائم ماضي ابي سلطان ، والشيخ عبد الحليم ، والشيخ شرف الدين البوني ، والشيخ مكين الدين الأسمر . وغيرهم من اعيان الله تعالى » .

قال : « وكان يحضر مجلسه اكابر العلماء من اهل عصره ، مثل شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، والشيخ عبد العظيم المنذري ، وابن الصلاح ، وابن الحاجب ، والشيخ جمال الدين بن عصفور ، والشيخ نبيه الدين بن عوف . قال الشيخ مصطفى نجما مفتي بيروت : « وهؤلاء سلاطين علماء الدين شرقاً وغرباً في عصرهم » . فكانوا يحضرون ميعاده بالمدرسة الكاملة في مصر ملتزمين الأدب بين يديه » (هـ) ١ .

ولم يدخل شيخنا الامام علي ابو الحسن الشاذلي قدس الله سره في

(١) كشف الاسرار للشيخ مصطفى نجما مفتي بيروت ص ١٨ .

طريق الله ، حتى كان يجلس للمناظرة في العلوم الظاهرة ، فقد كان عارفاً
جامعاً لدقائق فنونها .

وقد ولد رضي الله عنه بقرية - غمارة - ، من افريقية وهي قرية من
مدينة - سبته - في المغرب الاقصى في سنة ٥٩٣ هجرية ، وقد تلقى
الطريقة الشاذلية وورث القطبانية الكبرى والصدقية العظمى ، عن شيخه
الامام ابي عبد الله عبد السلام بن مشيش^١ قدس الله سره ، وبعد
اخذة الطريق امره شيخه ان يرحل الى بلد تسمى ساذلة بالقرب من مدينة
تونس الغرب ، فكان فيها مبدأ ظهوره ، واليهما تنسب السياحات
والمنازلات ، ثم انتقل الى تونس ومنها الى بلاد المشرق ، وحج حجرات
كثيرة ، وتوفي في طريق الحج ، سنة ٦٥٦ هجرية ، ودفن في القصير
على شاطئ البحر الاحمر ، في قرية - حميترة - ، وضريحه الشريف
يزار ، وتخرج اليه الوفود من سائر الاقطار واقاصي الارض .

وكان رضي الله عنه قبل اخذه عن شيخه مولانا عبد السلام بن
مشيش رضي الله عنه قد اخذ عن الشيخ ابي عبد الله محمد بن الشيخ علي
المعروف بالحرازمي ، ولهذا الشيخ الجليل سند في اخذ علم الباطن يصل
الى الجنيد رضي الله عنه ، ثم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على
ان شيخنا ابا الحسن ، كان قد خرج عن كل شيء قبل اخذه عن الشيخ
عبد السلام ، بن مشيش ، ودخل عليه فقيراً خلياً من علمه وعمله ،
حيث قال رضي الله عنه : « كنت اطلب القطب ، فلما دخلت

(١) وقد اختلف في كلمة بشيش ، او مشيش ، قال الشيخ ابن عباد في المآثر العلية ص ٩ :
« ابن بشيش ، وقد اشتهر في بلاد المغرب ، بابن مشيش ، وهو ابدال الحرف باخيه ، وقال الشيخ
محي الدين بن عبد القادر الحسني الشاذلي في كتابه - الكواكب الزاهرة - ابن بشيش بالباء الموحدة بن
منصور بن ابراهيم الحسني الادريسي رضي الله عنه ، ومقامه في بلاد المغرب ، كالتشافي رضي الله عنه
بمصر » اه .

وشيخنا ابو الحسن ، وشيخه عبد السلام بن مشيش ، من اقطاب السلسلة الشريفة قدس الله امرارها
وامدنا بمدد اهل الله جميعاً انه سمع الدعاء .

العراق ، اجتمعت بالشيخ الصالح ابي الفتح الواسطي ، فما رأيت في العراق مثله ، وكان فيها شيوخ كثيرة ، فقال لي تطلب القطب وهو في بلادك؟! فرجعت الى بلاد المغرب الى ان اجتمعت باستاذي الولي العارف الصديق القطب الغوث ، الشيخ ابي عبد الله عبد السلام بن مشيش الشريف الحسيني قدس الله سره ، قال : « لما قدمت عليه ، وهو ساكن في مغارة برباطه في رأس الجبل ، اغتسلت في عين ماء في اسفل الجبل ، وخرجت عن علمي وعملي ، وطلعت اليه فقيراً ، واذا به هابط عليّ ، قال مرحباً بعلي بن عبد الله بن عبد الجبار ، ثم ذكر نسبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاخذني منه الدهش ، واقمت عنده اياماً الى ان فتح الله علي بصيرتي . »

وبعد اخذه الطريق عنه ، كان اليه ينتسب اذا سئل عن شيخه ، ثم قال له شيخه : (يا علي ارتحل الى بلد تسمى شاذلة فان الله يسميك الشاذلي ، ثم تنتقل الى مدينة تونس ، وبعدها الى بلاد المشرق وفيها ترث القطبانية) فكان ذلك . وقد تسمت الطريقة الشاذلية ، باسمه الشريف نفعا الله به وافاض علينا من بركاته آمين .

وهذه ابيات نظم الشيخ شرف الدين البوصيري الشاذلي صاحب البردة في مدح سيدنا ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه :

اما الامامُ الشاذلي طريقه	في الفضلِ واضحةٌ لعين المهتدي
فانقلْ ولو قدماً على آثاره	فاذا فعلت فذاك اخذٌ باليدِ
أفندي علياً بالوجود وكلنا	بوجوده من كل سوء نفتدي
قطبُ الزمانِ وغوثه وإمامه	بين الوجودِ لسانِ سرِّ الموجدِ
سادَ الرجالِ ، فقصرت عن شأوه	هممُ المآربِ للعلى والسؤددِ
فتلقُ ما يُبقي اليك فنطقه	نطقُ بروح القدسِ نعم مؤيدِ
وإذا مررت على مكانِ ضريحه	وشممت ربح الندى من توبِ ندي
ورأيت أرضاً في الفلاةِ بخضرةٍ	مختصةً منها بقاع الفرقدِ

والوحش آمنة لديه كأنها حُشرتْ إلى حرم بأولِ مسجدِ
ووجدت تعظيماً بقلبك لو سرى في جامدِ سجدِ الوري للجمدِ
فقل السلام عليك يا بجرَ الندى الطامي وبجرَ العلم بل والمرشدِ ١

(١) الايات من كتاب المفاخر العلية في المآثر الشاذلية للشيخ ابن عباد ص ٨ .



الانسان الكامل

مولانا

الشيخ علي نور الدين البشرطي

الحسني الحسيني التازلي

قدس الله سره

وهذه أبيات للشيخ نصوح الجابري ، من قصيدة مطولة على نهج
البردة يمدح بها الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ؛ مطلعها :

بارن الحقاء وبارت بانه العلم ترمي بلحظ يروم الفتك في العلم
فاكظم رجاءك في ارجاء كاظمة واسلم فديتك لا تطمع بذي سلم
ومنها :

مدح الرسول شفاء المستجير به فابر السقام به يا بارىء النسم
نور قديم لعلم الله ابرزه من نوره قبل خلق اللوح والقلم
ومنها :

محمد في ثنا الدارين مظهره وعند اعدائه الحمود بالرغم
له المحامد طراً حيث ما تليت وكل حمد بدا من حمده العسم
كان النبي وبين الماء او حمأ قد كان آدم خالي الروح والادم
لما استوى ساطعاً من نور جبهته كان السجود له فرضاً على الذمم
ثم يخلص الى مدح سيدي الوالد وآل البيت ، رضي الله عنهم فيقول :
لي عندكم يا ملوك الحي واسطة من آلکم ودخيل الآل لم يضم
وصيستم في حمى هذا الزمان ومن له الولاية في الارشاد والحكم
سمي ذلك ابي السبطين حيدرة علي اسماً وقدرأ صاحب الحشم
الشرطي ونور الدين سيدنا قل نور علم ودع ناراً على علم
من كان واسطة الايقان مظهره شكر الوسائط مفروض على الذمم
ذو النسبتين الى المختار وارثه في الرتبتين له التحقيق بالقدم
من آل بيت آله الخلق طهرهم وسن جهم فرضاً على الامم
لا زال منهم امام بعد صاحبه في حفظ دين قويم غير منقصم

كعقد درّ حوى من كل جوهرة
منهم فريدتهم منها هم انتظموا
هم سدرة المنتهى تدني الفصون الى
فصل رجائي بهم دنياً وآخرة
واشغل مدحني بهم عن مدح غيرهم
فعن ثنائي اغنيني بحبهم
لكن مدحتهم فقراً لجاههم
يتيمة مالها كفؤ من القيم
وجوهر الحسن فيهم غير منقسم
هدى النجاة فيا طوبى لمستلم
وصن ولائي لهم ربي عن اللثم
واجعله بالقلب يا مولاي لا يفهم
هم الغنيون عن نثر ومنتظم
ارجو به كشف ضرتي وانجلا غم



مولد

سيدي الوالد رضي الله عنه

ولد والدي وشيخي القطب الرباني ، والغوث الاكبر الصمداني ،
إمامنا الاعظم ، والوارث المحمدي الذاتي المعظم ، سيدنا ومولانا الشيخ
علي نور الدين البشرطي ، الحسيني نسباً واصلاً ، الشاذلي طريقةً ومشرباً ،
التونسي المغربي مولداً ومنشئاً ، قدس الله سره ، في عام - ثمانية ومائتين
بعد الالف - للهجرة ، بمدينة - بنزرت - من اعمال تونس الغرب في شمالي
إفريقية .

وانتقل الى جوار ربّه في عام - ستة عشر وثلاثمائة بعد الالف - للهجرة ،
في مدينة - عكا - في فلسطين ، ودفن في زاويته بتلك المدينة ، وضرجه
مشهور تحجّج اليه وفود الزائرين من سائر الاقطار الاسلامية .

وقد انحدر رضي الله عنه من أرومة عريقة في الجاه والحسب ، يرتفع
نسبها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان ابوه السيد محمد بن نور
الدين البشرطي الحسيني ، عميد آل بشرط وأحد وجوه مدينة - بنزرت -
وسراتها ، اصحاب المكانة في الهيئة الاجتماعية . وكان صالحاً تقياً ورعاً
ذا شخصية قوية بارزة وثقافة اسلامية عالية .

اشتغل بالسياسة وبادارة املاكه ومزارعه ، وتولى عدة مناصب رفيعة
في الدولة ، منها منصب القائد الكبير للجيش التونسي ، في إيالة تونس

(١) ويكنى سيدي الوالد بابي عمي الدين .

الغرب ، التي كانت آنذاك تابعة للحكم التركي العثماني .
أما والدته رضي الله عنه ، فقد كانت سيدة فاضلة نالت قسطاً وافراً
من الثقافة الاسلامية العالية ، في عصر قلّ فيه تعلّم المرأة ؛ فهي السيدة
مريم تاجرية^١ كريمة السيد عبد الله الحسيني المراكشي . من اهل مدينة
تونس الغرب .

كانت السيّدّة مريم ، على جانب عظيم من قوة التفكير وحدّة
الذكاء ، وكان والدها متضلّعاً في علوم اللغة العربية شغوفاً بالبحث
والاستقراء ، رغم كونه من ارباب الأعمال والتجارة ، وقد أتاحت لها
الظروف اسباب التعلم فكانت الابنة الوحيدة لأبويها بين إخوتها الذكور ،
وقد بلغ تعلّق والدها بها حدّاً جعله يعلمها القراءة والكتابة ، ومبادئ
علوم اللغة العربية بنفسه ، لكنها وهي النابهة لم تقف عند ذلك الحد ،
بل عكفت على الدرس والتحصيل بإشراف والدها الشيخ الى أن أتمت
علومها ؛ فلما بنى بها السيد محمد بن بشرط ، ظفرت باحترامه وتقديره ،
لعلمها وفضلها وجمالها ، وكثيراً ما كان يطمئن لرأيها لاعتقاده بنفاذ
بصيرتها .

وقد وهبها الله أولاداً ذكوراً وإناثاً ، مات منهم ثلاثة في سن
الطفولة وعاش اربعة الى أن بلغوا سن الشباب ، ثم ذهبوا ضحية الوباء
الجارف (الريح الأصفر) في اسبوع واحد .

وكانت السيدة مريم اذ ذاك ، قد بلغت سن الكهولة او تكاد ،
وحتى بعد هذا اليأس وانقطاع النسل والأمل ، لم يفكر السيد محمد بن
بشرط بالزواج من امرأة اخرى ولؤود ، او باقتناء بعض الجوّاري ملك
اليمن ، بل ازداد تعلقه بزوجه ، الأمر الذي اثار غضب آله وذويه
الذين كانوا يعتزّون بكثرة النسل .

أما هي ، فقد أذهلتها الفاجعة وكاد الحزن واليأس يقضيان عليها لولا

(١) اسم تاجرية نسبة لتجارة والدها الواسعة .

أن تداركها الله برحمته فحملت بشيخنا العظيم ، بعد ان بُشّرت به من قبل أهل الله تعالى . فلما وضعته دعتة بالاسم الذي اختاره له الوليُّ الصالح سيدي الشيخ محمد جلّول رضي الله عنه ، قبل حمل والدته به أي والدته سيدي الوالد ، وبقدوم هذا الطفل العزيز أذهب الله عن والديه الحزن وأعاد لها السعادة والهناء .

براية امره قبل الحمل به

البشرى الاولى

قلت إن جدّتي رحمها الله بُشّرت بوالدي قبل الحمل به ؛ فقد قابلها احد اولياء الله الصالحين ، في بلاد المغرب وقال لها : سيهب الله لك غلاماً ذكياً ، تاريخ ولادته في آية من القرآن الكريم . قال لها هذا ، قبل ان تحمل بوالدي بأعوام فلما وَضَعْتَهُ رضي الله عنه ، كان تاريخ ولادته في الآية الكريمة - وأبونا شيخٌ كبير - (١٢٠٨) .

البشرى الثانية

وقد تحدّث والدي رضي الله عنه ، في مدينة - عكا - إلى بعض صحبه عن أمه ، فذكر البشري الثانية التي بُشّرت بها ، فقال : كانت رحمها الله محبة لأهل الله ، فبعد وفاة اولادها جميعاً ، عزفت نفسها عن الدنيا ، وأقبلت على الله ، لكنها كانت تذهب لزيارة قبور بنينا . وبينما هي ذات يوم في البيت ، على أثر عودتها من إحدى تلك الزيارات ، إذ بالولي الصالح ، سيدي الشيخ محمد جلّول ، المعروف والمشهور في مدينة - بنزرت - ، والذي هو في حالته الروحية بمقام سيدي الشيخ علي سويلم ،^١

(١) هو الولي الصالح الذي كان يسكن في عكا في زمن والدي وهو معروف ومشهور في تلك المدينة وضواحيها ،

يقرع الباب ويدخل مسلماً ويقول لها : يا مريم ستحملين وتضعين غلاماً
فسمه - علي نور الدين - وقد رأته بمد يده ويقدم اليها حصاة صغيرة ثم
يقول : احفظي هذه ، وعندما يبلغ الغلام سن الرشد قدمها اليه هدية
مني وبلغه تحيتي ، ثم رأته يعود ادراجه ويمضي في سبيله .

قال والدي رضي الله عنه : انظروا قوة ايمانها بالله وبأهل الله . لقد
كانت تعلم علم اليقين ، ان الحصاة حجر لا يضر ولا ينفع ، ولكنها
بقيت محتفظة بهدية الشيخ بعد انتقاله الى رحمة الله ، فقد توفاه الله وانا
لا أزال طفلاً صغيراً ، الى ان سلمتها إليّ بعد ان بلغت مبلغ الشباب
وبلغتني تحية الشيخ وكلماته ؛ لقد فعلت هذا تيمناً ببركة الشيخ ، ولأنها
كانت محلصة لأهل الله .

ومن اعجب ما حدث انه لم يسبق ان كان ثمة معرفة او مودة بين
جدتي وزوجها ، وبين سيدي الشيخ محمد جلول رضي الله عنه قبل ذلك
اليوم قطعاً ، فهي لم تذهب اليه وهو بدوره لم يكن يزور احداً من الناس
كائناً من كان ، على كثرة زيارتهم له . ولهذا كانت جدتي رحمها الله
جيد مؤمنة بتلك البشرية الروحية ، وبان سيدي الشيخ محمد جلول كان
مُلهماً من الله ، فسكنت نفسها واطمأنت بالأمل بعد اليأس . لكنها لم
تكن تعلم آنذاك ، ان لولدها القادم شأناً عظيماً واي شأن عند اهل الله
جميعاً في ذلك العصر الذهبي المبارك ، على انها ما عتمت ان لمست ذلك
بعد ولادته رضي الله عنه . فقد بدأت مناقبه وشماله الروحية تظهر منذ
طفولته الاولى في هذه النشأة الروحية المباركة .

تخصيص

من لطائف المتن على مرشدنا الكامل قدس الله سره ، انه نشأ في بيئة
صالحة وتربى تربية صالحة ، وكان ابواه من اهل النشاط الذهني ورجاحة
العقل . ولكن لم تكن في اسرتي ابويه مشيخة طريفة ، وكان العلماء

فيهما من علماء الظاهر اهل الرسوم والاحكام .

وقد اختص الله سبحانه سيدي الوالد رضي الله عنه ، فجعله مظهراً من مظاهر الكمال المحمدي . فجمع بين العلم في الشريعة والحقيقة ، لتلازم الظاهر والباطن ، في مراتب الكمال لأهل الله الذين يتولى الحق عز وجل رعايتهم بالتأييد ويمدهم بروح من عنده ، ويجعل علومهم وآدابهم من ذلك الأثر النبوي الشريف ، الموروث عنه صلى الله عليه وسلم لقوله : « العلماء ورثة الأنبياء » ، قال امامنا ومولانا الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري : (وهل ينتقل الموروث من الموروث عنه ، الا بالصفة التي كان عليها عند الموروث عنه) ؟!

ومن لطائف المنن عليه رضي الله عنه ، انه كان وحيداً لأبويه محوطاً بالعناية والرعاية ، يغمره الحب والحنان الأبوي . ولما كان حسن الأدب في الظاهر عنوان ادب الباطن ، وما استودعه الله في القلوب تظهر آثاره على الجوارح ، لذلك لم يسخر رضي الله عنه ذلك العطف الأبوي لرغبات الطفولة ولم يولد في نفسه الطمع والاثرة والانانية . فقد كان في طفولته جميلاً رقيق الحاشية متحلياً بالصدق والاخلاص والنزاهة مغرماً بالعبادة مقبلاً على التأمل في آثار صنع الله ، ولسانه رطب بذكر الله . فكان وهو في الربيع الخامس لا يلهو مع اترابه الاطفال ، ولا يلعب ، وكثيراً ما كان يفرّ من والدته فتجده جالساً فوق جزع شجرة كبيرة في الدار معتكفاً على ذكر الله ، فإذا نادته بقولها : اي بني اهبط الينا ، أجابها : اتركوني اذكر على روعي .^٢

ومن نعم الله عليه رضي الله عنه ، ان اقامه في مرتبة العبودية منذ ان كان طفلاً صغيراً ، وجعله ممثلاً لأمره تعالى في إطاعة الوالدين بما يرضي الله ورسوله ، عاملاً بحكم الآية الكريمة (وَأخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ

(١) لقد ذكرت هذا الحديث الشريف في المقدمة .

(٢) كلمة مغربية دارجة .

أذللّ من الرّحمّة ، وقلّ ربّ أرّحمهما كما ربّيا في صغيراً (١) ،
يقدر ما يبذلان في سبيل راحته وهنائه ، متمسكاً بتعقله وحكمته التي
أوجدها الله فيه ، فقد كان إنساناً كاملاً مطبوعاً على الشفقة والرحمة
والتضحية ، ومحبة مخلوقات الله جميعاً ، تلك المحبة الانسانية الرفيعة التي
تغمر الوجود بأسره من إنسان وحيوان .

ومن رعاية الحق له ، انه كان كثير البذل في سبيل البر والأحسان
مقتراً على نفسه ، يتصدق بكل ما يمنحه إياه والده من النقود في وجوه
الخير ، وكان كثير العطف على الخدم في البيت ، يعاملهم معاملة التّد
للتّد ، ويعاونهم في الخدمة ويوزّع عليهم ما تخصه به والدته من طعام
ولباس على قدم المساواة ؛ ويهرع لمواساة الفقراء والمساكين على قدر
حاله ، وما استطاع الى ذلك سبيلاً ، ويتلطف بمحادثاته معهم ، ويسرع
لقضاء حوائجهم وبشاطرهم شعورهم . وكان يتألم من ظلم الانسان لأخيه
الانسان ، ومن ظلم الانسان للطير والحيوان ، فهو لا يرى حيواناً
يقسو عليه صاحبه إلا ويرجو ذلك الرجل ان يترفق بذلك المخلوق الضعيف ،
ولا يرى طيراً في قفص إلا واعتقه . وكان يطوف في الشوارع يبتاع العصفور
الصغيرة التي يلهو بها الاطفال ، ليحررها ويطلق سراحها لتعود محلقة
في الفضاء .

وكذلك كان يفتدي الحيوانات الصغيرة التي يقتنيها الاولاد بالمال
ليحررها . وهكذا فإن الرحمة الالهية قد تجلت في ذلك القلب الكبير
المتلي بالايان والرافة منذ البداية . وفي الحكيم العطائية : (شروق الانوار
على قدر صفاء الاسرار ، ومن اشرفت بدايته اشرفت نهايته) .

وكان رضي الله عنه وهو في العاشرة من عمره ، منقطعاً اليه تعالى ،
فقد سما به الفكر الى الانفراد والعزلة ، ثم اخذ يختلف الى المساجد لطلب
العلم ويداوم على تأدية الصلوات الخمس جماعة في المسجد ، ويجلس في
(١) سورة الاسراء .

حلقات الدرس ومجالس الوعظ جلسة المستفيد ، ويقوم بخدمة اهل الصلاح والفلاح ، والغرباء المقيمين في بيوت الله ، ويتفقد احوالهم فيتوسط لدى والديه واصدقائها لاغاثة كل منهم ، وكان لا يخرج من المنزل إلا الى المسجد للصلاة وطلب العلم او لغاية نبيلة ، او لزيارة مريض او لصلة ذي رحيم او للرياضة ، فيسير على قدميه مسافات بعيدة في الهواء الطلق .

وكان والده مستقيم السيرة والسريرة ، ورغم ما كان عليه من الاستقامة والأوصاف الحميدة كان رضي الله عنه لا يرافقه إلا الى زيارة عالم كبير ، او شيخ بصير ، او لعيادة مريض ، او لصلة ذي قربي . وقد أُلح والده مرة في ان يصطحبه معه الى بيت احد الحكام لحفلة زفاف ، وهم والدي رضي الله عنه ان يفعل ذلك ، فارتدى ثيابه وهبط الشارع ، وإذ به يسمع هاتفاً ذاتياً يناديه قائلاً : ليس هذا لمثلك يا علي ، فارتد راجعاً الى البيت .

وكان لوالده صديق حميم من العلماء المتشدين ، ومن أمراء العائلة المالكة ، وكان له ولد حبيب الى نفسه يخشى عليه رفقاء السوء ، فطلب من جدي رحمه الله ، ان يكون والدي صديقاً لولده نظراً لما اتصف به والدي من محاسن الأخلاق ، وردّ والدي على ابيه بقوله : لن أبيع نفسي ابدأ هؤلاء الحكام .

لقد كان عبداً لربه لا يتقيد إلا بأمره ونهيه ، فأغناه بفضله عن سواه وحفظه من ظلمة الأغنياء ، ومنحه حضرة قربه ، فلا عجب إن رأيناه لا يتقرب الى الحكام في جميع مراحل حياته ، ولا يزور احداً منهم كأننا ممن كان ، رغم كونه ، كان يقوم بخدمة الفقراء والمساكين بنفسه .

وهكذا لم تكن لسيدي الوالد رضي الله عنه ، طفولة بالمعنى الصحيح ، إلا من حيث النمو الجسماني ، فقد قام بالواجب الروحي الانساني في كل عمل نبيل ، ومعنى جميل ، يرضي الله ورسوله في مثل هذه السن المبكرة . وكان والداه يكبران فيه الشرائع الروحية ، ويستجيبان لرغباته

الإنسانية ، دون أقل مراجعة ، ويتفاهلان بإشاراته وعباراته وتظهر لهما خوارق العادات من الكرامات وغيرها ، منها انه إذا تحدّث عن شيء قبل وقوعه لا بد من ظهور ذلك الشيء في عالم الوجود عياناً ، ويكون حقاً وصدقاً ، فلما انتقل والده الى رحمة الله تعالى ، كان سيدي الوالد رضي الله عنه دون سن الرشد تحت وصاية أمه الرؤم المتفانية في سبيل راحته وهنائه وسعادته ، فبعد ان ظهرت مناقبه الروحية ، كانت تعلم علم اليقين أنه من اهل الله ، وأنه ينظر بنور الله ، وأن الله سبحانه اختصه بشرف الدعاء اليه ، ثم هو في جميع مراحل حياته ترعاه عين الله ، وتشمله الرعاية والعناية الالهية من الولادة الى الوفاة .

لطيفة

أما حبّه لأهل الله وشغفه بهم ، فقد كان منذ نشأته الأولى ، إذ لم يكن له عمل دنيوي قط ، فجعل شغله مودّة اهل الله ، وقد وقعت له معهم حوادث طريفة ، لا يتسع المقال لذكرها كلها ؛ منها انه كان يتردد على مسجد يعيش فيه رجل صالح من اولياء الله ، كان والدي رضي الله عنه يودّه ، وفي مساء ذات يوم ذهب اليه يحمل على يديه طعاماً ، وكان الوقت بعد صلاة العشاء الأخيرة ، فوجده معتكفاً في غرفته في المسجد قائماً في الصلاة ، فوقف والدي في الباب ينتظر ، ولكن ما كاد الشيخ يتم صلاته حتى بدأ بالتوجه بالذكر ، دون ان يلتفت ، فلم ير والدي . وبقي على تلك الحالة الى مطلع الفجر ، وأبي واقف خاشع لله - والشيخ في حالة استغراق كليّ يذكر الله - فلما أذن الصبح ، نهض الشيخ والتفت فرأى ما أدهشه ، رأى والدي حيث كان واقفاً بحالة خشوع واحترام ، فأقبل عليه يسأله : متى جئت يا عليّ؟ قال : في المساء ، قال : أو ما تزال واقفاً؟ فأطرق والدي ، وهناك رفع الشيخ

يديه مبتهلاً الى الله يدعو له ١ ، ثم سأله عن حاجته وعما يريده ، فقال -
والذي : « أريد ان تسدي إليّ نصيحة تنفعني في ديني » . قال : « لا
تصحب إلا الصادق » قال والذي : كل الناس يدعون الصدق . قال
الشيخ : « سأعطيك الميزان الذي تعرف به الصادق من الكاذب ، فمن
دلتك على الله فهو الصادق ، ومن دلتك على الدنيا فهو الكاذب . »

نور المعرفة

تلقى سيدي الوالد رضي الله عنه علومه ، في - بنزرت - وتونس - فكان
ذا سمت بهي في العلم والعمل ، والهيبة والورع ، حيث كان على قدم
بالعبادة والصوم ، وقيام الليل والتجهد وذكر الله ، وكان مضرب المثل
في العفة والصيانة والامانة والاستقامة ، في ريعان الشباب وزهرة العمر ،
وكان هذا شأنه دائماً ، فقد كان رضي الله عنه صوفياً بفطرته ، يستضيء
بنور المعرفة واليقين ، فهو من الذين انعم الله عليهم بحكم الآية الكريمة
« وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ
الدَّمْعِ بِمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ » ٢ .

لقد تراءى له محبوبه من عالم الغيب فازداد هيامه واستغراقه في حبه
فكان حاله كما قال الشيخ البستي رضي الله عنه في هذا المعنى :
ومن عجب اني احس اليهم واسأل شوقاً عنهم وهم معي
فتبكيهم عيني وهم في سوادها ويشكو النوى قلبي وهم بين اضلعي ٣
ولم يكن لسيدي الوالد مطلب دنيوي قط ، فكان مطلبه مطلب
مولاه منه في صدق العبودية ، والقيام بوظائف الربوبية ، وهو مطلب
العارفين ٤ .

(١) قال والذي فكان ، (اي قد استجيب دعاء الشيخ) .

(٢) سورة المائدة .

(٣) قوانين الاشراف ، للشيخ جلال الدين اني المواهب الشاذلي ص ٢٣ .

(٤) القيام بوظائف الربوبية ، اي بأوامر الله تعالى .

وقد تحقق لديه رضي الله عنه ، انه لن يحصل له الفتح المبين ، إلا على يد مرشد كامل أكمل ، صاحب وقته ، وقطب زمانه فكان دائم البحث عنه ، وقد صحب كثيراً ، من العلماء والفقهاء ، والفضلاء والاشياع ، ورجال الله ، وكان يجلس في حلقات كل من هؤلاء وهؤلاء ، وإذا ذكر امامه عالم كبير ، او شيخ بصير ، او رجل من اهل الله ، كان لا بد من ان يقصده ويتصل به . وقد اخذ عدة طرق صوفية ، فكان يصل الى مقام الشيخ ، الذي يأخذ عنه ، فيطلب منه ان يزيد من فضل الله ، فيقول الشيخ : « لا يوجد عندي اكثر مما اخذت » .

هنالك كان سيدي الوالد يتركه ويذهب يبحث عن غيره ، ومن هذه الطرق التي عمل بها ، طريقة الشيخ ابن عيسى ، فبعد ان قضى شهراً يتلو اورادها رأى الشيخ ابن عيسى في الرؤيا ، فتقدم اليه والذي ، وقال : لقد تلوت الأوراد ، فلم احصل على شيء ما . قال الشيخ : انت رجل طيب يا علي ، أو ما تزال تسأل ؟ قال : نعم ، فإن كان عندك شيء زدني منه ، قال : انك لتعلم اني في البرزخ وليس بيدي شيء ، لكني ، سأدلك على واحد يعطيك السر الذي اعطاه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

واصبح والذي رضي الله عنه ، منشراح الصدر من تلك البشرية ، وبعد ايام ذكر له شيخه سيدنا ومولانا الشيخ محمد بن حمزة ظافر المدني قدس الله سره ، فأخذ الطريقة المدنية الشاذلية عنه ؛ وكان ينتسب اليه اذا سئل عن شيخه ، وقد حصل له الفتح على يديه ، وورث القطبانية الكبرى والصدقية العظمى بالمرتبة الفردية عنه ، واوتي الحكمة (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) ، فجمع بين العلم في الشريعة والحقيقة ، وانقادت لحكمه ووصاياه وعلومه ومعارفه واساراته وعباراته اهل الحق والتحقيق ، اكرمهم الله تعالى بالانتساب اليه ، فهو

(١) سورة البقرة .

شمس الطريقة ومعدن الحقيقة الامام الذي تقدي به الهداة وتأتّم ، امدّنا
الله بمدده الشريف وافاض علينا من بركاته ، آمين .

وقد تعرف رضي الله عنه الى شيخه بواسطة سيدي الشيخ أحمد عبد
الوارث ، وهو من انساب شيخ والدي ، واحد مرديه العارفين
المخلصين ، فلما التقى بوالدي في مدينة تونس الغرب ، اعجب والدي
بعلمه وفضله ، واكبر فيه سعة الاطلاع والمعرفة والتحقيق ، وثبت لديه
انه من الواصلين المقربين الى الله ، بعد ان لمس ما كان ينشده ويبحث
عنه ، وعلم ان هذا الفيض الاقدس من فضل شيخه الاكبر الوارث
المحمدي الذاتي سيدنا ومولانا الشيخ ابي عبد الله محمد بن حمزة ظافر
المدني ، قدس الله سره صاحب الوقت وفرد الزمان المقيم في مدينة
- مصراطة - من اعمال طرابلس الغرب .

تحقيق

تتمرفه بأخذ الطريقة المردنية الساذلية

رضي الله عنه



وكان والدي وشيخه رضي الله عنها ، من كُمل ورثته صلى الله عليه وسلم في مقام إرشاد الخلق إلى الحق ، وإيصالهم إلى حضرة القرب ؛ وكان كل منها إمام عصره وفرد زمانه ، فوالدي هو الذي ورت القطبانية الكبرى بعد شيخة ، لذلك كانت الصلة الروحية بين الشيخ ومريده ازلية من عالم الارواح ، وكان اجتماعها على الدرّة البيضاء ^١ ، لا يحتاج إلى واسطة يتعرف بها والدي إلى شيخه ، أو تقول : إلى أبيه بالروح إلا من حيث الحكم الظاهر فقط ، إذ لا بد من ظهور هذا النسب الروحي والحسب السبُّوحي في عالم الاشباح كما هو في عالم الارواح ، فقد سبق التعارف الظهور ، لقوله عليه الصلاة والسلام : (الارواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، ما تَعَارَفَ مِنْهَا أُتْنَلَفَ ، وما تَنَافَرَ مِنْهَا أُخْتَلَفَ ^٢) ؛ ومن عرف هذا وكوشف به لا يرى

(١) الدرّة البيضاء هي النور المحمدي الذي هو اول صادر عن الله سبحانه وتعالى ، ولهذا النور المحمدي اساء متعددة عند العارفين ، منها : العقل الاول ، الدرّة البيضاء ، القلم الاعلى ، روح الارواح ، الاب الاكبر ، انسان عين الوجود ، الروح الكلبي ، وغيرها من الاسماء المعروفة والمشهورة عند السادة الصوفية .

(٢) حديث نبوي شريف اخرجه البخاري .

إلا الأرواح تكشفت بالقدرة وانحجبت بالحكمة .

أما من حيث حكم الظاهر فقد نادى سيدي الوالد رضي الله عنه عوارف المعارف : أن أقبل إلينا ، وجذبته رائحة العطر الحمدي فأقبل يسعى بعد أن صدر الأذن الإلهي بالرحيل إلى الجمي الشاذلي في - مصراطة - ؛ هنالك اعترضت سبيله والدته كيلا يعيش بعيداً عنها وعن وطنه ، وهناك بنو بشرط لا يوافقون على رحيله ، ويرون خطأ أن السادة الصوفية وخاصة شيوخ الطرق يجلبون أبناء العائلات الكريمة لمنافعهم الخاصة ، وقد قامت قيامة الأهل والأحباب والأصدقاء ؛ فقد كان والذي وحيداً لابويه وعزيراً على الجميع .

على أن همة شيخنا رضي الله عنه عالية بالله ، اخترقت تلك الحجب الدنيوية فهدمتها بالحكمة والموعظة الحسنة بأقناع والدته ، فخضعت لأمر الله تعالى وسلّمت تسليماً ، وعندها سكت المعارضون وتراجعوا . لقد شدّ سيدي الوالد الرحال إلى - مصراطة - مهاجراً إلى الله ورسوله (ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله)^١ وسبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه .^٢

وقبل أن يدخل والذي على شيخه تجرد من علمه وعمله ، ثم دخل عليه فقيراً خلياً من العلم والعمل ، فاستقبله شيخه بترحاب عظيم ، وبعد التحيات والدعوات الصالحات ، جلس والذي بين يدي شيخه وطلب منه أن يتلقى الطريقة المدنية الشاذلية عنه ، وأن ينتسب إليه ويقوم في الخدمة بين يديه . ثم قال : « إن كان لي عندك شيء ، فهذا من فضل ربي ، وإلا فإنني آخذُ عنك على سبيل التبرك » .

(١) حديث نبوي شريف للأربعة عن عمر ابن الخطاب ، أبو نعيم في الحلية ، الدار قطنية في غرائب مالك ، عن ابن سعيد ، ابن عساكر في أماليه ، عن انس ، الرشيد المطار في جزء من تخرجه ، عن أبي هريرة .

(٢) من كتاب الحكم العطائية ، لمولانا الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري قدس الله سره .

مطابقة

فأجابه شيخه (مرحباً بك يا عليّ ، سبحان الله ، اما اكتفيت بالرؤيا التي رأيتها منذ ايام) ؟ ! قال والدي : فكانت إشارته الى تلك الرؤيا تمكيناً منه لي ^١ .

ثم اعطاه شيخه الطريقة المدنية الشاذلية ، ولقته الاسم الاعظم ، وأمره بالذكر سرّاً وعلانية ؛ وأجازه بتلاوة اوراد الطريقة الشريفة ، وان يعطي الطريقة لمن يراه اهلاً لها ، وهكذا جعله مقدماً على الفقراء . وكان هذا بدء الفتح الالهي .

(١) هي الرؤيا التي كان قد رأى فيها الشيخ بن عيسى في ص ٦٤ .

السلسلة الشريفة

للقطاب الطريقة الشاذلية البشروطية قدس الله أسرارهم



شيخ والدي ، ومراكز الطريقة الشاذلية

في بلاد المغرب

تَمَسَّكَ بِحَبِّ الشاذلية تَلَقَّى مَا تَرَوَم ، وَحَقَّقَ ذَا الرَّجَاءِ وَحَصَّلَ
وَلَا تَعْدُونَ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ نَجْمٌ هَدَى فِي أَعْيُنِ الْمُتأملِ

لأحد ساداتنا القداماء

* * *

أخَذَ شَيْخَنَا (قَطْبُ دَهْرِهِ وَفَرْدُ عَصْرِهِ الْوَارِثُ الْمُحْمَدِيُّ الذَّاتِي
الْأَكْمَلُ ، سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا الشَّيْخُ عَلِيُّ نُورِ الدِّينِ الْبِشْرُطِيِّ الشَّرِيفِ الْحُسَيْنِيِّ
الْحُسَيْنِيِّ ، الطَّرِيقَةِ الشَّاذِلِيَّةِ ، وَوَرِثِ القُطْبَانِيَّةِ عَنِ شَيْخِهِ وَاسْتَاذِهِ الْجَلِيلِ
الْمُرْشِدِ الْأَكْمَلِ سَيِّدِي الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْزَةَ ظَافِرِ الْمَدِينِيِّ ،
عَنِ الشَّيْخِ الشَّرِيفِ الْحُسَيْنِيِّ أَبِي إِحْمَدَ الْعَرَبِيِّ الدَّرَقَاوِيِّ ، عَنِ الشَّيْخِ عَلِيِّ
الْعِمْرَانِ الْمَلْقَبِ بِالْجَمَلِ ، عَنِ الشَّيْخِ الْعَرَبِيِّ بْنِ إِحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ أَبِيهِ
الشَّيْخِ إِحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ الشَّيْخِ قَاسِمِ الْحِصَّاصِ ، عَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْقَاسِمِيِّ ، عَنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَبِيرِ وَالِدِ سَيِّدِنَا إِحْمَدَ ، عَنِ الشَّيْخِ
يُوسُفِ الْقَاسِمِيِّ ، عَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَجْذُوبِ ، عَنِ الشَّيْخِ عَلِيِّ الصَّنَهَاجِيِّ ،
عَنِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمِ الْفَحَّامِ ، عَنِ الشَّيْخِ إِحْمَدَ زَرْوَقِ ، عَنِ الشَّيْخِ إِحْمَدَ بْنِ
عُقْبَةَ الْحَضْرَمِيِّ ، عَنِ الشَّيْخِ يَحْيَى الْقَادِرِيِّ ، عَنِ الشَّيْخِ عَلِيِّ وَفَا ، عَنِ وَالِدِهِ
الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بَجْرِ الصَّفَا ، عَنِ الشَّيْخِ دَاوُدِ الْبَاخَلِيِّ ، عَنِ صَاحِبِ الْحُكْمِ
الشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ إِحْمَدَ بْنِ عَطَاءِ اللَّهِ الْإِسْكَانْدَرِيِّ ، عَنِ الشَّيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ
الْمُرْسِيِّ ، عَنِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ عَلِيِّ أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ ^١ ، عَنِ القُطْبِ الشَّيْخِ
عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مَشِيْشٍ ^٢ ، عَنِ الشَّيْخِ القُطْبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَدِينِيِّ الْمَشْهُورِ
بِالزِّيَّاتِ ، عَنِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ الفُقَيْرِيِّ (بِالتَّصْغِيرِ فِيهَا) ، عَنِ القُطْبِ

(١) هو الذي سمت الطريقة الشاذلية باسمه الشريف .

(٢) ذكر الشيخ مصطفي نجما في شرح الوظيفة ان الاصح بشيش لا مشيش (من البشاشة) .

فخر الدين ، عن القطب نور الدين ابي الحسن ، عن القطب تاج الدين ،
عن القطب شمس الدين السيواسي ، عن القطب زين الدين القزويني ، عن
القطب ابي اسحق ابراهيم البصري ، عن القطب ابي القاسم احمد المرواني ،
عن القطب ابي محمد سعيد ، عن القطب سعد ، عن القطب محمد فتح
السعود ، عن القطب سعيد القزويني ، عن القطب ابي محمد جابر ، عن
القطب اول الاقطاب امير المؤمنين الحسن بن فاطمة الزهراء ، عن ابيه
امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب ، رضي الله تعالى عنهم اجمعين ،
وهو عن سيد الاولين والآخرين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذه السلسلة تعرف بسلسلة الاقطاب ، وقد نظم بعض علماء الشريعة
الذين تلقوا الطريقة الشاذلية عن والدي رضي الله عنه اسماها اقطاب السلسلة
الشريفة قدس الله اسرارهم شعراً وتوسلاً بهم^١ ، وهذه القصيدة المطولة
نظم العلامة الكبير - الشيخ مصطفى نجا - مفتي بيروت الاكبر ، وقد طبعها
آنذاك وقدمها لأخواننا العلامة - الشيخ احمد عباس - الأزهري
البيروتي ، فقال :

بعد حمد واجب الوجود ، والصلاة على اشرف موجود ، يقول الفقير
الى الله تعالى ، احمد عباس الأزهري الشاذلي البشريطي : لما كانت من
الواجب على كل مرید ، ان يعرف آباءه في الطريق ، وكان رجال
السلسلة العلية الشاذلية اشهر من نار على علم ، وكان سيدي وشقيق
روحي العلامة الشيخ مصطفى نجا ، قد نظم اسماهم متوسلاً بهم الى صفوة
خلق الله نظماً خالصاً من سائبة التكلف والتضع ، رأيت من الواجب
طبعها ، ليعم نفعها ، فبادرت لذلك مستمداً من الله تعالى التوفيق ،

-تعريف- لمظلم اقطاب السلسلة الشريفة واشياخ الطريقة الشاذلية، تأليف عديدة، ولبعضهم دواوين
شعرية هذا عدا الادعية والاحزاب والصلوات ، حتى الامين منهم ساهموا بذلك . وقد ترجمهم واثني
عليهم عدد كبير من العلماء الاعلام في كتب الطبقات وغيرها ، منهم الشيرازي ، والسبكي ،
والناوي ، والنووي ، والسيوطي ، والشعراني ، والنجم الغزي ، وغيرهم . وعن بعض المستشرقين
بالكتابة عن رجال منهم .

والهداية الى اشرف طريق ، وراجيا منه جلّ وعلا ، ان يجعلها خالصة
لوجهه الكريم ، يجاه النبي عليه افضل الصلاة واتم التسليم ، ثم نشرها
الشيخ مصطفى نجا في كتابه كشف الاسرار .

بك يستجير العبد من هفواته يا واحداً في ذاته وصفاته
واليك يرفع راحة ما مدها لسواك يا مولاي في حاجاته
متوسلاً بمحمد خير الوري وملاذم بحياته ومماته
وبآله وبصحابه القوم الاولي وصلوا اليك بنور إرشاداته
وببابه السامي أبي الحسين من نفع الانام بيث معلوماته
وبنجله الحسن الكريم وصنوه هو سيد الشهداء في درجاته
وبجابر المكسور وارث فضله بسعيد قزوين ملاذ عفاته
وبسيدي فتح السعود وسعدم بحي الوجود بغيث إمداداته
بسعيدهم وبأحمد المرواني والبيصري إبراهيم في طاعاته
بالشيخ زين الدين ثم بشمه حامي حمى سيواس في عزماته
وبتاجه وبنوره وبفخره مستنقذ الملهوف من شداته
بإمامنا الشيخ الفقير من جلا سر الغنا للناس في مرآته
بالسيد الزيات من قبس الوري نور الهداية من سنا مشكاته
وبسيدي عبد السلام المجتني زهر الحقيقة من ذرى جناته
بالشاذلي قطب الهدى من نوره ملاً الوجود وعمّ كل جهاته
وبأحمد المرسي ابي العباس من وراث الخلافة منه بعد وفاته
وبصاحب الحكم الذي أهدى لنا درراً واين الدرّ من كلماته ! !
بالباخلي داود من هو مركز ال منطوق والمفهوم في اوقاته
بمحمد بحر الصفا وبنجله كنز الوفا المشهور في بركانه
وبسيدي يحيى الذي احيا القلوب ب بنوره وبفيض إحساناته
بالحزرمي من اقتدى بجنابه وجنى ثمار الفضل من حضراته
وبسيدي زرّوق القطب الذي هو للهدى كالبدر في حالاته

بإمامنا الفخام والضحاجي وإما
وبشيخنا المجدوب والفاسي إما
بمحمّد وبعباد الرحمن من
بالقاسم الحصاص ثم بأحمد
بعليّ العمران بالدرقاوي مؤ
بويّ نعمتنا عليّ القدر سا
بدر الكمالات ابن بشرط من زها
فهو الذي بالفضل خصت ذاته
للقوم كان تنمة^١ ولنا جرى
يا سعد من حطّ الرجال ببابهم
ما للفقير سواهم فيجاهم
وعلى صراط طريقهم ثبتته يا
واسلك به سبيل النجاح فإنه
وبهم أنه يا كريم رجاءه
حاشا يضام من النجا بجنابهم
وغدا يقول لسانه وجنانه
هم عدّتي ووسيلتي للمصطفى
وهو الوسيلة للجميع وكلهم
ما في الوجود سواه يرجى إن دجا
هو غوثنا وأمان كل من احتسى
ماذا يقول المادحون بمدحه
إني أناديه وقلبي طامع
يا من له أنقاد الوجود بأسره
بالباب عبد قد تعدّي واعتدى

(١) اي - خاتم اقطاب السلسلة الشريفة .

وأطاع امر النفس فيما تبتغي
 كم للخلاف تحركت أعضاؤه
 تبع الهوى ولربما هوي به
 وافاك والأوزار أحتت ظهره
 من ذا الذي يرجوه غيرك في الورى
 ما تم إلا أنت أنت فكمن له
 وعليه نجد بالقرب منك تكرماً
 واشفع به حالاً وسل مولاك تو
 ما لامرىء حول ولا يقوى على
 صلى عليك الله ما ركب سرى
 وعليك سلم ما صبا ، صب إلى
 وعلى جميع الآل والأصحاب ما
 او قال في بدء الدعاء وختمه
 ونظم العلامة الكبير الشيخ مصطفى ابو ريشة ، أسماء اقطاب السلسلة
 الشريفة في قصيدة مطولة ذكر فيها اوراد الطريق ؛ وهذه ابيات منها :
 فهناك طريق الله نرويه مسنداً
 وذلك الاستغفار ثم رديفه
 ويتبعه التوحيد مائة مرة
 وقل دائماً الله في كل حالة
 اخذناه عن استاذنا الشرطي السرى
 امام البرايا مرشد العصر من غدت
 يجد تلقاها فألقت وشاحها
 وانقاد بمتسلاً الى شهواته
 عفواً وكم سكنت الى حركاته
 إن لم تداركه الى دركاته
 وأتاك كي يرتاح من حملاته
 او يصطفيه وسيلة لنجاته
 عوناً على أخصامه وعداته
 وامن بمحو البعد في إثباته
 فيقاً يسير به الى مرضاته
 طاعاته إلا بتوفيقاته
 لمقامك المحمود خير صلاته
 قبر حواك وطاب من نفحاته
 وصل الفقير لمنتهى غاياته
 بك يستجير العبد من هفواته
 عن السادة الأفراد من اوضحوا السبلا
 صلاة وتسليم على المصطفى تتلى
 لكل مسأ صبحاً فهم بها شغلا
 تنل منه وصلاً لا ترى بعده فصلا
 علي نور دين الله من عمنا فضلا
 جميع المرابا من سنا سره تجلى
 عليه لدى ان حقيقته لها اهلا

(١) الوراثة المحمدية في القطبانية العظمى .

سَيِّغُ وَالِدِي

ومراكز الطريقة الشاذلية في بلاد المغرب

الطريقة الشاذلية من أمهات الطرق الصوفية ، وتسمى طريقة البرهان لأنها تجمع بين العلم والتحقيق ، والعبادة والمعرفة ، والهمة والحال .
أشياخها رضي الله عنهم أئمة في الفقه ، أئمة في الحديث والتفسير والعلوم الظاهرة ، أئمة في التصوف ؛ كانوا اهل اجتهاد في علوم الدراسة ، وزادهم الله شرفاً فمُنحوا علوم الوراثة ، وجمعوا بين العلم في الشريعة والحقيقة ؛ فعلمهم رضي الله عنهم تشارك باقي العلوم التي تقوم على النقل والعقل ، وتمتاز عنها بعلم الأسرار والانوار والمقامات والأحوال ، الذي هو علم السلوك وعلم الحقيقة ، المعبر عنه بالالهام ، المؤيد بالكتاب والسنة .

وقد كان من هؤلاء الأشياخ افراد كَمَل صَدِيقُونَ ، واولياء مقربون ، والقُطْبُ الغوث الأكبر الذي هو واحد في كل عصر وزمان .

والأقطاب الآحاد الكَمَل الذين خَصَّوْا بالانفراد ، هم أقطاب سلسلة الطريقة الشاذلية العلية ، الذين تلقوها واحد عن واحد ، وتتسلسل متابعتهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . اما اتباع الطريقة الشاذلية

والمنتسبون اليها فهم منتشرون في بقاع الأرض وقلّ ان تجد مدينةً
او قبيلة او قرية في الأقطار التي دخلها الاسلام تخلو من زاوية او جماعة
من المنتسبين الى هذه الطريقة الشريفة ، سواء كانوا من السائرين او الواصلين .
وقد كان شيخ والدي قدّس الله سره من أشياخ الطريقة الشاذلية
وأحد أقطاب السلسلة الشريفة التي تقدم الحديث عنها ؛ فهو الغوث
الأكبر ، والقطب الصمداني الأوحّد ، ملجأ السالكين ، ومرتبّي
الواصلين ، الوارث المحمدي الذاتي الأكمل ، سيدنا ومولانا الشيخ ابو
عبد الله محمد بن حمزة ظافر المدني رضي الله عنه وأمدنا بمده ، وهو
المعروف والمشهور باسم - الشيخ المداني - صاحب الاشارات العلية ،
والعبارات السنية ، والحقائق القدسية ، والأنوار المحمدية ، والأسرار
الربانية ، والالهامات الروحية ، شيخ الطريقة ، ومعدن الحقيقة ، العارف
بالله ، والدالّ على الله ، قدس الله سره ؛ فقد كان يقيم في مدينة
- مصراطة - من اعمال طرابلس الغرب ، ولا يزال ضريحه الشريف في
زاويته يُزار الى الآن .

وللطريقة الشاذلية في بلاد المغرب ثلاثة مراكز هامة وهي القيروان ،
ومراكش ، وطرابلس الغرب ؛ وتعرف في القيروان بالشاذلية ، وفي
مراكش بالدرقاوية - نسبة لاسم شيخنا القطب الأوحّد الشيخ ابي احمد
العربي الدرقاوي قدس الله سره ، وهو احد اقطاب السلسلة الشريفة - ،
وتسمى في بلاد طرابلس الغرب بالطريقة المدنية - نسبة الى شيخ والدي
رضي الله عنه - ، وقد كانت له في ذلك العهد عدة زوايا ١ منتشرة في

(١) في كتاب الأخوية الدينية الاسلامية تأليف (اوكتاف دوبون واكسافيه كوبولاني)
الافرنسيين ، في صحيفة - ٢١٩ - ، في ولاية طرابلس الغرب . اثني عشر زاوية مدنية تابعة للزاوية
الكبيرة ، ولها اربعة عشر مقداً ، وان في جهات بنغازي والكفرة ، ثلاث زوايا مدنية ، كما يوجد
غيرها في بلاد تونس الغرب ، واهمها زاوية صفاقس ، وفي الجزائر واوران ثلاث زوايا مدنية ،
واحد عشر وكيلاً ، وفي الحجاز ثلاث زوايا ، وزاوية في المدينة المنورة ؛ وقد انتشرت الطريقة
المدنية في بلاد مصر ولها زوايا هناك .

البلاد ، فيها عدد كبير من المريدين والاتباع . وكانت زاويته في
 - مصراطة - محلاً لاقامة شعائر الدين ، وهي عبارة عن مسجد للصلاة
 والعبادة واقامة الاذكار ، ومعهد لطلب العلم ، وزاوية لتهديب
 النفوس ، والانتطاع الى الله تعالى ، فقد كان قدس الله سره ونفعنا
 ببركاته احد ائمة الطريق ، واحد وجوه الفضل ، يجمع بين العلم في
 الشريعة والحقيقة ، وكان المريدون يؤمون زاويته للزيارة ، والتشرف
 بالمشول بين يديه ، ومنهم من كان يتجرد فيها .

مقام التجريد

لا بد للفقير الصوفي بعد أخذه الطريق ، إما ان يقيمه الحق عز
 وجل ، في الاسباب أي ان يقيه في اعماله الدنيوية ، اثناء سلوكه في
 الطريق أو يقيمه في التجريد بالانتطاع إليه تعالى . ومن لطائف المنن
 على سيدي الوالد رضي الله عنه ، أن أقامه الحق عز وجل في مقام
 التجريد ، منذ نشأته الاولى ، فقد اخذه منه ، بالانتطاع إليه ، ولم
 يكن له عمل دنيوي قط ، وبعد ان تشرف بالانتساب الى الطريقة المدنية
 الشاذلية ، تجرد في زاوية شيخه العظيم بين يديه ، في مدينة
 - مصراطة - ١ كذلك كان لا بد لي من شرح - مقام التجريد - بذكر
 بعض أقوال السادة الصوفية فيه كل بحسب شهوده ومقامه .

قال الشيخ ابن عجيبة رضي الله عنه : التجريد في اللغة ، التكشيط
 والازالة ، تقول جرّدت الثوب أي أزلته عني ، وتجرد فلان أي
 ازال ثوبه ، اما عند السادة الصوفية ، فهو على ثلاثة اقسام : تجريد
 الظاهر ، وهو ترك كل ما يشغل الجوارح عن الله ؛ وتجريد الباطن ، وهو
 كل ما يشغل القلب عن الله ، وتجريدهما ، وهو افراد القلب والقالب لله . ٢

(١) مصراطة من اعمال طرابلس الغرب راجع ص ٤٦ .

(٢) ايقاظ الهمم على شرح الحكم المطاوعة لابن عجيبة ص ١٣ .

وقال السيد الجرجاني : « التجريد إماطة السّوى والكون عن القلب والسر » ١ . وقال شيخ الاسلام الهروي : قال الله تعالى (فاخلع نعليك) فالتجريد الخلاع عن الشهود ، والشواهد ، وهو على ثلاثة درجات : الدرجة الاولى تجريد عين الكشف عن كسب اليقين ، الدرجة الثانية ، تجريد عين الجمع عن درك اليقين ، الدرجة الثالثة تجريد الخلاص عن شهود التجريد ٢ .

وبمناسبة حديثي عن التجريد ، واخلع النعلين ، في مقام الشهود ، أثبت هنا ابياتاً كان قد نظمها احد العارفين القدماء في هذا المعنى ، وهي :

ايها العاشق معنى حسناً	مهرنا غال لمن يخطبنا
جسد مضى وروح في العنا	وجفون لا تذوق الوثنا
وفؤاد ليس فيه غيرنا	واذا ما شئت أذ الثنا
فان ان شئت فناء سرمداً	فالفنا يدني الى ذاك الفنا
واخلع النعلين ان جئت الى	ذلك الحي ففيه قدسنا
وعن الكونين كن منخلعاً	وازل ما بيننا من بيننا
واذا ما قيل من تهوى فقل	انا من اهوى ومن اهوى انا ٣

وقال في هذا المعنى احد مريدي سيدي الوالد :

قام بي موسى على طور الفكر	يرقب الامر الذي منه صدر
خالع النعلين مسلوب الحشا	باسط الكفين محو الاثر
قال يا موسى تأمل من انا	انما تدري اذا الطور اندثر
واجتمعنا في انا واحد	وتفرقنا لتشكيل الصور
وانطوينا بين اكناف الحى	وانتشرنا حينما الحق ظهر
يا لقومي لاح لي من سرها	آدم الانثى وحواء الذكر

(١) التعريفات للسيد الجرجاني ص ٣٥ .

(٢) كتاب منازل السائرين للشيخ الهروي ص ٤٩ .

(٣) ايقاظ الهمم لابن عجيبة ص ١١ .

يا عزولاً كن علينا لا لنا ثمرات الارض تسقى بالمطر ١
والمتجرد ، والمتسبب ، عاملان لله ، كل واحد منهما حصل على
صدق التوجه الى الله ولكن صدق التوجه في المتجرد اقوى لقطع علاقته
كما هو معلوم .

قال شيخنا سيدي احمد زروق قدس الله سره : « كانت اهل الصفة
فقراء في اول امرهم ، وكانوا يعرفون باضياف الله ، ثم كان منهم الغني ،
والامير ، والمتسبب والفقير ، لكنهم شكروا عليها حين وجدت ، كما
صبروا عليها حين فقدت ، فلم يخرجهم الوجدان عما وصفهم مولاهم به من
انهم (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) كما انهم لم
يمدحوا بالفقدان ، بل بارادة وجه الله ، وذلك غير مقيد بفقر ولا بغنى
وبحسبه فلا يختص التصوف بفقر ولا بغنى اذا كان صاحبه يريد وجه الله » ٢ .

وقال شيخنا سيدي ابن عطاء الله الاسكندري قدس الله سره في الحكم
العطائية : (ارادتك التجريد مع إقامة الحق إياك في الاسباب ، من الشهوة
الحفية ، وارادتك الاسباب مع إقامة الحق إياك في التجريد ، انحطاط عن
الهمه العلية) وقد شرح هذه الحكمة سيدي الشيخ بن عباد . رضي الله
عنه فقال « الاسباب هنا ، عبارة عما يتوصل الى غرض ما ينال في الدنيا ،
والتجريد ، عبارة عن عدم تشاغله بتلك الاسباب ، فمن أقامه الحق تعالى
في الاسباب ، واراد هو الخروج منه ، فذلك من شهوته الحفية » .

وانما كانت من الشهوة ، لعدم وقوفه مع مراد الله تعالى ، في إقامته
إياه فيما أقامه ، وتطلعه إلى مقام رفيع لا يليق به ، وعلامة إقامته إياه
في الاسباب ان يدوم له ذلك ، وان تحصل له ثمرته ونتيجته . وذلك
بأن يجد عند تشاغله بالاسباب سلامة في دينه ، وقطعاً لمطمعه عن غيره ،
وحسن نية في صلة ذي رحم ، او اعانة فقير ، الى غير ذلك من فوائد

(١) مجموعة اناشيد اخواننا خط يد .

(٢) قواعد التصوف لسيدي احمد زروق ص ٥ الآية الكريمة من سورة الكهف .

المال المتعلقة بالدين . ومن اقامه الحق في التجريد ، واراد الخروج منه الى الاسباب ، فذلك من انحطاط همته ، وسوء ادبه ، وكان واقفاً مع شهوته الجلية ، لأن التجريد مقام رفيع اقام الحق فيه خواص عباده الموحدن العارفين ، فاذا اقامه الحق في مقام الخواص ، فلم ينحط عن رتبتهم ، الى منازل هي دون منازلهم » ١ .

وقال الحافظ الكبير المحدث الامام السيوطي رضي الله عنه في كتابه - التأييد - ، (وقد اجمع السادة الصوفية على إباحة المكاسب من الحِرْف والتجارة والحِرث وغير ذلك ، على نيقظ وتثبيت ، وتحريز من الشبهات ، وإنما تعمل للتعاون وحسم الاطماع ، والعود على الاغيار ، والعطف على الجار . وعندهم واجبة لمن له عيال ، مباحة للمنفرد ، واشتغاله بوظائف الحق اولى واحق) ٢ .

وقال سيدي الشيخ بن عباد رضي الله عنه في المفاخر العلية : ان السادة الشاذلية من أشد الناس حَمْتًا على عمل الحِرْفَة ، حتى كان شيخنا سيدي ابو العباس المرسي قدس الله سره يقول : « عليكم بالسبب ، وليجعل احدكم مكوّكه سُبْحته ، او تحريك اصابعه في الحياكة سبجته ، او الضفّر سبجته » ، وقال شيخنا سيدي ابو الحسن الشاذلي قدس الله سره : « ليس هذا الطريق بالرهبانية ، ولا بأكل النخالة والشعير ، وإنما هو بالصبر على الأوامر ، واليقين في الهداية ، قال تعالى (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بَيِّنَاتٍ يُوقِنُونَ) ٣ .

وأورد سيدي الشيخ بن عجيبة رضي الله عنه في شرح المباحث الاصلية قول بعض أهل المعاني في تفسير قوله تعالى : (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ

(١) شرح الحكم للشيخ بن عباد ص ٥ .

(٢) تأييد الحقيقة العلية للامام السيوطي ص ٥٤ ، كتاب التعرف لمذاهب اهل التصوف ،

للكلاباذي ص ٥٦ .

(٣) المفاخر العلية للشيخ ابن عباد ص ٦٦ ص ١٥٣ الآية الكريمة سورة طه .

يا موسى) يُقال للفقير : وما تلك بيمينك يا فقير . قال : هي دنيابي اعتمد عليها في قيام بُنيّتي ، وانفقُ منها على عيالي ، ولي فيها مآرب أخرى ، أنصدّق منها وأفعل بها وجوه الخير . فقال : القها من يدك ايها الفقير ، فألقاها فإذا هي حية تسعى ، كانت تلذعه في قلبه وتشغله عن شهود ربّه ؛ فلما فرّ منها وآس من نفعها ، قيل له : خذها ولا تخف ، لأنك غني بالله عنها ، فتأخذها بالله لا بنفسك وتدفعها لله .



(١) شرح المباحث الاصلية للشيخ ابن عجيبة ص ٢١٥ ، ولطائف المنن لسيدى تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري ص ١٦٥ ، الآية الكريمة سورة طه .

انوار

الحمدى الشاذلي في مصراطة

لقد اقام الله عزّ وجلّ والدي وشيخي رضي الله عنه ، في مقام التجريد ، منذ ان ظهر في عالم الوجود بإعراضه عن الخلق ، وإقباله على الحق ، حتى إذا بلغ زهرة العمر في شبابه ، اقتطعه ربّه اليه ، الى حيث أقامه بين يدي شيخه الجليل ، في حماه فقيراً متجرداً ، في بيت يُذكر فيه اسم الله . قال تعالى في كتابه العزيز (في بُيوتِ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ، لِيَجْزِيََهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ، وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ١ . وقال جلّ جلاله (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهُ قِيَامًا وَقُعُودًا ، وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ٢ .

فالعارفون إذا ارادوا الوصول الى الله تعالى ، ساروا اليه كالبرق الحاطف لا يلتفتون الى ما خرجوا عنه ، ولا يتوهّمون ما هم مقدمون

(١) سورة النور .

(٢) سورة آل عمران

عليه ، ولهذا كانت انوار التوجيه للساثرين ، يمتدون بها . اما الواصون
فلهم انوار المواجهة ، لأنهم لم يقفوا مع الأنوار ، بل نفذوا الى نور
الانوار ، ولذلك كان من السادة الصوفية ، المرید والمراد . قال
احد العارفين :

صحا المریدون منها بعدما سكروا والمرادين سكر عندها باقي^١
والمرید ، هو الفقير السالك ، الذي يرقى في المقامات والأحوال الى
ان يصل ، والمراد ، هو الذي تجذبه العناية الالهية ، لحضرة الله ، فيصل
الى الله بلا تعب ولا سعي ولا طلب ، لكنه يتدلى في مراتب الوجود
بالمقامات ، شكرآ لله^٢ الذي طوى له مشقة المسير ، واوصله اليه ،
فكان للمرید الترقى ، والمراد التدلي . وقد جذبت العناية الربانية شيخنا ،
قدس الله سره ، فأوصلته الى الله عز وجل . فهو بمن مملك فسلك ، لا
من سلك فملك ؛^٣ ثم هو يتدلى في مراتب الكمال ، في المقامات
والأحوال ، شكرآ لله الذي طوى له مشقة المسير اليه ؛ وهناك بين
يدي شيخه العظيم ، كان مبدأ ظهوره بالسياحات الكثيرة ، ؛ والمنازلات
الجليلة ، والمكاشفة ، والمشاهدة ، والمعينة . قال شيخنا سيدي ابو العباس
المرسي رضي الله عنه : (إنما الولي يكشف بالمثال ، كما يرى البدر في
الماء ، او بواسطة اخرى) . فالخائق الغيبية ، مجلوة ظاهرة في بصيرة
النبي صلى الله عليه وسلم عبانا ؛ والولي ، لقربه منه ، ولهدية بهديه ،
يكشف بمثال ذلك فيه .

(١) قانون الاشراف للشيخ جمال الدين ابي المواهب ص ٢٣ .

(٢) اي انه يعود فيؤدي العبادات ويدخل في تلك المجاهدات ، على انه ارتقى الى اعلى من
هذه المقامات .

(٣) نحن نقرأ في الوظيفة صباحا ومساء في كل يوم نقول : وايدني بك لك بتأييد من سلك
فلك ومن مملك فسلك اي انه غدا سلكنا وما لكأ لذلك الرقي الروحي .

(٤) السياحات ليست هي الرحلات الظاهرية التي يقوم بها شيوخ الطرق التبشير في الدين الاسلامي
فحسب ، وإنما تطلق ايضاً على السياحات بروح .

بمناسبة تعشق سيدي الوالد لشيخه وفناؤه فيه ، أثبت هذا النشيد الرائع
لشيخنا ومولانا الشيخ - علي وفا - قدس الله سره :

كان لي ظلٌ رسوم	فاستوت شمسي فزالا
عشت بالمحبوب حقاً	بعد ما كنت خيالاً
عاد محبوبي وجودي	فتجلى وتعالى
وتخفى عن عياني	في عزاً وجلالا
كل احوالي فيه	حركات تتوالى
حبذا سلمي ووجدي	فيه حالاً ومثالا
هكذا العشق والاء	كان والله افتعالا

وهذا الشعر منسوب الى سيدنا الشيخ تاج الدين بن عطاء الله
الاسكندري رضي الله عنه :

من فاته منك وصل حظه الندم	ومن تكن همّه تسمو به الهمم
وناظرٍ في سوى معناك حق له	يقتص من جفنه بالدمع وهو دم
والسمع ان جال فيه من يحدّته	سوى حديثك امسى وقره الصمم
في كل جارحة عين اراك بها	متبي وفي كل عضو للثناء فم
فان تكلمت لم انطق بغيركم	وان سكت فشغلي عنكم بكم
اخذتموني متبي في ملاطفة	ولست اعرف غيراً مذ عرفتم
نسيت كل طريق في محبتكم	الا طريقاً تؤديني لربكم

فناء والدي رضي الله عنه في شيخه

وانطباع طباع شيخه فيه

قضى سيدي الوالد رضي الله عنه ثلاثة عشر عاماً متجرداً بين يدي
شيخه في زاويته في - مصرطة - فكان يعيش تحت لواء محبته ، يسمع من
معارفه التي لا تعد ولا تحصى ؛ فشهد من علومه ومعارفه ، وشجائله

ولطائفه ، ما أفناه فيه ، أعني فناء والدي بشيخه ؛ فقد تخلق بأخلاقه ، وتحلى بسجاياه الحمديّة ، وتلقى عنه علومه ومعارفه ، وتكمّل بكماله ؛ فقد كان مختاراً من الله ؛ وكان شيخه على علم بأمر الله ، وان هذا الولد القلبي هو الوارث الحمدي من بعده ؛ فأدناه إليه ، واستخلصه لنفسه ، وأفاض عليه من بحر الحقائق والمعارف ، فعدت اقوال والدي وافعاله واحواله كلها حقائق حكمية ، ومعارف إلهية ، وفيوضات وإلهامات ربانيّة ، ومشاهد قدسية ، على عدد الأنفاس ، في كل مشاهدة لا تدرك بالعبارة ، ولا تلحقها الاشارة ؛ ولما كان مجازاً من شيخه باعطاء الطريق ، وتسليك المريدين ، وتكميل السائرين ، لذلك كان ينتقل بأمر شيخه من مكان الى آخر ، فيذهب الى المدن والقرى والقبائل في الصحراء ، يعلم الفقراء امور دينهم ، ويلقنهم الذكر ، ويربيهم التربية الصحيحة في كل ما يرضي الله ورسوله ؛ ثم هو لا يعطي الطريقة إلا لمن يراه اهلاً لها في الاستقامة ، والصبر على الاوامر .

على انه لم يخرج من بلاد المغرب قبل انتقال شيخه ، ووفاة امه قطعاً ؛ ولم يشتغل بالاسباب الدنيوية أصلاً ؛ فقد ترك له والده مورداً من ربيع املاكه ومزارعه ، ما يكفي لان يبذل منه الشيء الكثير في سبيل الله ورسوله ؛ وكان في خلال مدة تجريده في الزاوية ، يستأذن شيخه من وقت لآخر ، فيذهب الى - بنزرت - ، لزيارة امه واهله ، فيقيم هناك مدة من الزمن ، ثم يعود الى ذلك النور الحمدي ، الذي اهتدى بهديه ، الى حيث اقامه الله في رحاب شيخه .

من دقائق المشاهد

كان رضي الله عنه منذ أول تجريده ، صاحب رسوخ وتمكين ، لا يلتفت ابدأ ، بعد ان نقله الحق سبحانه ، من حياته المترفة الناعمة في بيت ابيه ، الى حياة الحشونة ، الى التقشف والزهد ، والورع والعبادة ،

وتأدية عمل خدمة الفقراء المتجردين والزائرين ؛ وقد حدثت له عدة حوادث كادت تقضي على حياته ، ففي ذات يوم كان يؤدي عملاً شاقاً للفقراء ، وكان الجو في ذلك اليوم لافحاً كثير السَّموم ؛ ولما لم يكن معتاداً على ذلك العمل ، سقط الثوب عن منكبه ، وتعرض للشمس ، فاحترق الجلد ، وتورم جسده كله ، وكان في حالة الخطر الشديد ، لكنه ما ازداد إلا ثبوتاً وتمكيناً في تلك الرياضة الروحية ، فيما أقامه الحق فيه .

وكان شيخه الجليل رضي الله عنه شديداً على من يغفل عن ذكر الله ؛ قال والدي : لقد جلسنا مرةً بين يدي شيخنا في حلقة المذاكرة ، نستمع إليه وهو يتكلم ، وإذا بأحد المرين يرفع رأسه وينظر الى فرع شجرةٍ صغير يتدلى فوق رأسه ، ثم يعود الى الاصغاء ؛ وفي اليوم الثاني ، أمر شيخنا سيدي المدني قدس الله سره ، بقطع ذلك الفرع ؛ على ان والدي رضي الله عنه ، لم يكن بحاجة لذلك التأديب في هجرته الى الله ورسوله ، بل كان من ابتداء أمره ملازماً حدود الأدب ، بامتنال الأوامر ، واجتناب النواهي والشواغل ، لهج اللسان والقلب بذكر الله ، في حالة استغراق كلي بشهود ذات الله ، مما جذب اليه قلوب الفقراء المتجردين والزائرين .

وكان بينه وبين سيدي الشيخ احمد عبد الوارث الحسني أخوة مودة ووصبة ومحبة في الله ، فقد كان ذلك الشيخ واسطة سيدي الوالد لأخذه الطريقة الشاذلية . وقد جلسا مرة في الزاوية يذكران الله تعالى ، وإذا بأحد الفقراء يدخل عليهما ، ويجلس بينهما ، فلم يشعر به إلا بعد الانتهاء من الذكر ، فالتفت والدي اليه وقال له : يا اخي لم ابعثني عن اخي بجلوسك بيننا وأرض الله واسعة ؟ فقال الفقير : لما دخلت الزاوية رأيتكما عمودين من نور ، فأحببت ان اقتبس من انواركما .

وكان رضي الله عنه بغاية التواضع مع الفقراء ، فكان يجلس في كثير من الاحيان في مجالس الوعظ والمذاكرة والارشاد بين يدي شيخه ، بجانب جماعة من اخواننا الزيتاين ، فسأله احد الفقراء بقوله : لم تجلس مع هؤلاء الزيتاين ، وفي ثيابهم بقع الزيت ، وربما تؤثر في ثيابك النظيفة ؟ فأجابه والدي « بتواضعه المشهور عنه » : سمعت من شيخنا (سيدي المدني قدس الله سره) ان الفقراء شموع تضيء من بعضها ، وقد وجدت شعبي مطفأة فأحييت ان اشعلها من انوار اخواننا .

لبس الرزي اى الخرفة في التجريد

ذلك لان والدي رضي الله عنه ، لم يغير ثيابه وزيه في مدة اقامته في زاوية شيخه في - مصراطة - ، فكان يلبس الملابس الثمينة النظيفة حسب عادته السابقة في بيت ابيه . فقد سار معظم اشياخ طريقتنا الشاذلية على قدم شيخنا ، سيدي ابي الحسن الشاذلي قدس الله سره ، الذي يقول بالاعراض عن لبس الزي والمرقعات ، التي كان يلبسها كثيرون من السادة الصوفية فيقول : « ان هذا اللباس ينادي على صاحبه انا فقير فاعطوني شيئاً ، وينادي على سر الفقير بالافشاء ، فمن لبس الزي فقد ادعى » ١ هـ .

قال سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه : « وليس مراد الشيخ ان يعيب على الفقراء لبس الرزي ، وانما مراده ان لا يلزم كل من له نصيب ما للقوم ان يلبس الفقراء ، فلا حرج على اللابس للخشن ، ولا على اللابس للناعم ، اذا كان من المحسنين ، وانما الاعمال بالنيات » ٢ هـ .

وارى ان كلام شيخنا سيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، لا

(١) لطائف المتن لسيدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري ص ٢٠٥ .

(٢) كشف الاسرار للشيخ مصطفى نجاشي ص ٢١٠ .

يحتاج الى تأويل ، فهو بمثابة التوجيه لاتباعه ومريديه ، بالاعراض عن لبس الزي قطعاً . اما تعليق سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعرائي رضي الله عنه ، على قول سيدنا ابي الحسن فهو رآه الخاص . ولذلك قيل عن سيدي ابي الحسن انه مسهل الطريقة على الخليفة .

زواجه رضي الله عنه وهو في مقام التجريد

يظن كثير من الناس ان التجريد كالرهبانية ، وهذا خطأ بين ، وقد ذكرت فيما تقدم بعض اقوال سيدنا الشيخ ابي الحسن رضي الله عنه حيث قال : (ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل النخالة والشعير الخ) ؛ اه .

وقد يتزوج الفقير المتجرد ، او يتجرد وهو متزوج ، او يتجرد سنين عديدة ، ثم ينقله الحق عز وجل الى الأسباب ، هذا من حيث ان إرادة الفقير الصوفي ، إرادة الحق فيه .

وقد تزوج سيدي الوالد رضي الله عنه وهو في مقام التجريد في بلاد المغرب . لقد تزوج في بيته في مدينة - بنزرت - اثناء تجريده في زاوية شيخه في - مصراطة - وكان رضي الله عنه من وقت لآخر يذهب الى - بنزرت - لزيارة والدته وأهله ، فيمكث هناك مدة قليلة ثم يعود الى الإقامة في الحى الشاذلي الأقدس في - مصراطة - .

ويوم اعترمت جدتي رحمها الله ان تزوج ولدها الوحيد اهتمت بتلك المناسبة السعيدة وكان المال موفوراً لديها ، فأعدت له جناحاً خاصاً في البيت ، وزينت غرفه بأنواع الزينة والرياش الفاخر الثمين ، ووضعت فيه الكماليات حسب طراز ذلك العصر ، واحتفلت بيوم الزفاف بعد ان دعت الأهل والأصحاب ؛ على ان والدي رضي الله عنه وهو العارف الرباني ، والمحقق الذي يعيش في حضرة القرب حيث لا أين ولا غيب ، كان في زاوية شيخه في بلاد طرابلس الغرب .

وكان المقرر ان يحضر في ذلك اليوم ، فلما دخل البيت كان ما يزال في ثياب السفر . وما ان رأى ما أعدته له والدته ، حتى وقف في الباب وأبى ان يدخل الجناح المختص به ، وغرفه على تلك الحالة من الزينة والزخرفة والامتع ، إذ لم تكن تلك المظاهر الدنيوية الخلابة لتؤثر فيه ، او لتجعله يخضع لحكمها ولو يوماً واحداً في حياته إكراماً لأمه الرؤوم .

ولقد توسل الى والدته ان تسمح له بان يكون زواجه في مخدع بسيط في البيت ؛ فيه فراش بسيط يأوي اليه مع زوجه وهكذا كان .

الطباع المرتبة الفردية فيه قبل انطواء بئرية شبنم

لقد باع والذي رضي الله عنه بعد زواجه ، تلك الرياش الفاخرة الثمينة وكل ما كان يزيد على الحاجات الضرورية من اثاث البيت الذي يخصه ، إذ لم يتعرض لحياة والدته المترفة التي كانت إذ ذاك تعيش كما كانت على عهد زوجها وابيها . فقد كان سيدي الوالد رضي الله عنه براً بها عطوفاً رحيماً ، شديد الحرص على سعادتها وهنائها ، ولم يتعرض لشؤونها الخاصة بأخذ اموالها او بيع شيء من املاكها التي ورثتها عن ابيها وزوجها . اما فيما يختص به ، فهو قد خرج عن معظم امواله واملاكه ومزارعه لله ، ولم يترك لاهله واولاده إلا التذر اليسير الذي عاش به اولاده بعد رحيله الى الشرق .

(١) قال رجل للشبلي رضي الله عنه : كم في خمس من الابل؟ قال: شاة في الواجب، فاما عندنا فكلمها لله . قال: فما اصلك في ذلك . قال ابو بكر الصديق حين خرج عن ماله كله لله ورسوله . فن خرج عن ماله كله فامامه ابو بكر ، ومن خرج عن شيء وابقى شيئاً فامامه عمر بن الخطاب ، ومن اخذ لله واعطى لله ، فامامه عثمان ، ومن ترك الدنيا لاهلها ، فامامه علي بن ابي طالب رضي الله عنهم . وكل علم لا يؤدي الى ترك الدنيا فليس بعلم) من كتاب شرح المباحث الاصلية لابن عجيبة ص ٢١٠ .
قال شيخنا سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : لا تشم رائحة الولاية وانت غير زاهد في الدنيا واهلها .

هذا وقد كان والدي رضي الله عنه يحمل الى شيخه ثمن تلك
 الكماليات ، وغيرها بما انعم الله به عليه ، ليُبذل في سبيل الله . وكان
 شيخه ينفق كل درهم يصل اليه من اموال الفقراء المُريدن على الزاوية ،
 وفي وجوه الخير ومصالح أبناء الطريق . فقد كان من الزاهدين في
 حُطام الدنيا ، فكانت الأذواق والميول والمشارب منسجمة بين الشيخ
 ومريده ، او تقول بين والدي وأبيه بالروح ، فكان التَّوادُّ والتعارف
 والتراحُم في هذه النسبة الابوية الروحية المقدسة في عروة وثقى لا أنفصام
 لها . قال شيخنا مولاي صاحب الحُكم العطائية قدس الله سره : (ما
 كان لله دام وأتصل ، وما كان لغير الله أنقطع وأنفصل) ١ فكان
 والدي رضي الله عنه متفانياً في حب شيخه ، يبذل النفس والنفيس في
 سبيل رضاه ، إذ لم يَبق عنده بقية - أي - عند والدي . وقد تحدث الى
 مريديه فيما بعد عن فئانه في شيخه فقال : (لما فقدت سمعي وجدت سمع
 شَيْخِي سَيِّدِي المَدِينِي ، ولما فقدت ذوقِي ، وجدت ذوق شَيْخِي سَيِّدِي
 المَدِينِي ، ولما فقدت عقلي وجدت عقل شَيْخِي سَيِّدِي المَدِينِي ، فصار قلبي
 شَيْخِي ، وزاويتي رأسي) . ومعلوم ان والدي بقي محتفظاً بقواه العقلية
 والجسدية ، وحواسه الخمس طوال ايام حياته ، ولم يفقد منها شيئاً
 أصلاً ، وإنما كان يعني بقوله هذا انطباع المرتبة الفردية فيه ، بعد ان
 غدا ذوقه ذوق شيخه وعقله عقله ، وهكذا في كل شيء . ولا عجب
 في هذا التفاني السُّكَلِي في شيخه . او تقول : في المرتبة الفردية وانطباعها
 فيه قبل انطواء بَشَرِيَّة شَيْخِهِ فَالْحُكْمُ للقادم . فقد كان رضي الله عنه
 الوارث المحمدي بعد شيخه المؤيد بروح من عند الله ، كما اشرت الى
 ذلك في بعض احاديث هذا الكتاب . قال شيخنا سيدي - علي وفا -
 قدس الله سره (تلميذهم استاذ كل زمان) .

(١) الحُكم العطائية لسَيِّدِي الشَيْخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندرِي .

اولياء الله

في مراتب الولاية

فدس الله اسرارهم

قال سيدي عبد الكريم الجبلي ، صاحب كتاب الانسان الكامل رضي
الله عنه في قصيدته العينية :

فشمّر ولد بالاولياء فانهم لهم من كتاب ألحق تلك الوقائع
هم الذخر للملوف والكنز والرجا ومنهم ينال الصب ما هو طامع
بهم يهتدي للعين من ضلّ في العمى بهم يجذب العشاق والرّبع شاسع
هم الناس فالزم إن عرفت جنباهم فففيهم لضرّ العالمين منافع^١

★

وقال شيخنا سيدي ابن عطاء الله الاسكندري رضي الله عنه :
أمرت قبّ النجوم من السماء نجوم الارض اهبى في الضياء
فتلك تبين وقتاً ثم تخفى وهذي لا تكدر بالخفاء
هداية تلك في ظلم الليالي هداية هذه كشف الغطاء^٢

بعض اقوال السادة الصوفية في الولاية ومراتبها

يرى كثير من الناس ، ان اعتقاد السادة الصوفية بالولاية ، اكبر
واعظم من النبوة ، وهذا ايسر بصحيح ، فالسادة الصوفية يرون ، ان
الولاية نور من انوار رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وقد اجمعوا
على ان الولاية ، دون النبوة ، وان الالهام ، دون الوحي ، وقد اغلق
الله باب الوحي بعد النبوة ، وفتح باب الالهام رحمة بعباده . فالمدد
الآلهي لا ينقطع ابداً ، لدوام حاجات النفوس الى تأكيد وتجديد
وتذكير ، لاستغراقها في الغفلة والشهوات ، فالتذكير والتنبيه هما ،

(١) ايقاظ الهمم للشيخ ابن عجيبة ص ١٩٧ .

(٢) لطائف المنن للشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري ص ٢٥ .

لارجاعها لجوهرها الاصيل^١ ، فالولي قط لا يأتي بشرع جديد ، لكنه يأتي بالفهم الجديد ، في كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لكل آية ظهر وبطن وحيد ومطلع)^٢ واخرج ابو نعيم عن ابن مسعود قال : القرآن أنزل على سبعة احرف ما منها حرف الا له ظهر وبطن ، وان علياً بن ابي طالب عنده علم الظاهر والباطن .

وقال الحافظ المحدث الكبير الامام جلال الدين السيوطي الشاذلي رضي الله عنه : « لقد اجمع السادة الصوفية بالاتفاق قطعاً ، ان الانبياء صلوات الله عليهم ، افضل البشر ، وليس في من يوازي الانبياء في الفضل ، لا صديق ولا ولي ولا غيره ، وإن جل قدره وعظم خطره وعلت رتبته^٣ . وقال مولانا الشيخ ابو العباس المرسي قدس الله سره : « جميع ما اخذ الاولياء بما اخذ الانبياء كزق مليء عسلًا رشحت منه رشحات ، فما في باطن الزق للانبياء ، وتلك الرشحات للاولياء » وقال ايضاً : « الانبياء يطالعون حقائق الاشياء ، والاولياء يطالعون مثالها لا هي . ولهذا قال حارثة لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه : « وكأني انظر الى الجنة ولم يقل نظرت »^٤ .

وقال مولانا الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري قدس الله سره : سمعت شيخنا ابا العباس يقول : والله ما كان اثنان من هذا العلم في زمن واحد قط ، إلا واحداً عن واحد الى الحسن . قال السيوطي

(١) الرسالة الدنية للامام الغزالي ص ٣٥ و ٣٦ .

(٢) اخرج القرطبي في تفسيره ، عن الحسن رضي الله عنه « لكل آية ظهر وبطن . قال ابن النقيب في تفسيره : ظهر الآية ما ظهر من معانيها لاهل العلم ، وبطنها ما تضمنته من الاسرار التي اطلع الله عليها ارباب الحقائق »

(٣) تأييد الحقيقة العلية بنسب الشاذلية للسيوطي ص ٨٧ .

(٤) لطائف المنن لسبدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري ص ١٩٣ ، حديث شريف رواه ابن المبارك في الزهر ، ورواه عبد الرزاق في التفسير ، ورواه الطبراني . واخرجه البزار والبيهقي في الشعب .

معنى قول سيدي ابي العباس ، اي ان القطب الغوث لا يكون إلا واحداً في كل زمان ، لان علم التصوف لا يكون إلا لواحد . ولكن القطب جامع لعلوم اولياء عصره ^١ . وقال احد العارفين : فإن قلت كيف يكون الحسن اول الاقطاب ، وقبله ابو بكر وعمر وعثمان وعلي !! قال السيوطي : (قلت ظهر لي ان يقال معناه ، ان الحسن اول من كانت له الخلافة الباطنة منفردة عن الظاهرة ، فإن القطب هو خليفة النبي صلى الله عليه وسلم ، ووارث الامر من بعده ، وكان الحسن لما ترك الخلافة الظاهرة ابتغاء وجه الله ، وحقن دماء المسلمين ، عوضه الله خيراً منها ، وهي الخلافة الباطنة ، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه . وأما الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم ، فكانت لهم الخلافتان الظاهرة والباطنة معاً ، ولم يجتمعا لأحد بعدهم) ^٢ ، ١ هـ .

قال بعض العارفين : (نهايات الأولياء بدايات الأنبياء) ^٣ أي أن نهايات الأولياء في مقامات الولاية لا النبوة هي بدايات الانبياء في مقام الولاية قبل النبوة . فقد أثبت الشيخ الاكبر سيدي - محيي الدين بن عربي - رضي الله عنه ، ونجبة من الائمة الصوفية أن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، لم يكونوا قبل النبوة اشخاصاً عاديين ، بل كانوا في مقام الولاية في التعبد والتحنُّث والبحث عن الحقائق وعن ذات الله .

فلما جاءتهم النبوة جمعوا بين مراتب الولاية والنبوة والرسالة . على أن ولاية الانبياء ليست كولاية الاولياء ، لأنها جامعة لكافة مراتب الولاية ، فهي أعظم وأفضل وأكمل وأعم من ولاية الولي ، فالولي إنما نال الولاية بالافتداء بالانبياء صلوات الله عليهم والاهتداء

(١) تأييد الحقيقة العلية بتشييد الشاذلية للسيوطي ص ٥٥ .

(٢) تأييد الحقيقة العلية بتشييد الشاذلية للسيوطي ص ٥٦ .

(٣) الرسالة القشيرية للامام القشيري ص ١١٨ .

بهدية .

قال مولانا الشيخ ابو الحسن الشاذلي قدس الله سره (ما من نبيّ أو رسول إلا له من هذه الامة وارث . وكل وارث على قدر إرثه من مورثه . قال عليه الصلاة والسلام (العلماء ورثة الانبياء) . ولا يكون وارث إلا وله نصيب من مورثه يقوم مقامه على سبيل إرث العلم والحكمة ، لا على سبيل التحقيق بالمقام والحال ، فإن مقامات الانبياء جلّت ان يلح حقائقها غيرهم . وكل وارث في المنزلة بقدر مورثه ، إذ يقول الله جل وعلا (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ)^١ . كذلك فضّل الاولياء بعضهم على بعض ، إذ الانبياء بعين الحق ، وكل عين مستمد منها على قدرها ، وكل وليّ له مادة مخصوصة فانقسم الاولياء على قسمين : قسم منهم أبدال الانبياء ، وقسم منهم أبدال المرسلين .

فأبدال الانبياء هم الصالحون ، وأبدال الرسل هم الصديقون ، فبين الصالحين والصديقين في التفضيل ، كما بين الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، غير ان من الاولياء طائفة انقردوا بالمادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل نبيّ ووليّ مادته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اه^٢ .

ومعنى قول الشيخ رضي الله عنه ، ان كل نبيّ ووليّ مادته من رسول الله صلى الله عليه وسلم - اي - انهم مستمدون من أنوار الحقيقة المحمدية التي هي أصل ما كان وما يكون ، وهي اول ما صدر عن الله سبحانه ، فقد خلق الله نور محمد من نوره ، وخلق منه كل شيء ، الحديث المروي عن جابر بن عبد الله الانصاري ، لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن اول شيء خلقه الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) سورة الاسراء .

(٢) المغاخر العلية في المآثر الشاذلية لسيدى الشيخ ابن عباد ص ١٣٦ .

« اول ما خلق الله نوري ومن نوري خلق كل شيء » .

ذكر سيدي - الشيخ مصطفى نجا - مفتي بيروت الاكبر ، في كتابه - كشف الاسرار - تفسير الآية الكريمة لبعض العارفين فقال : « الله نورُ السماوات والارض ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ » ١ .

الله نور السماوات والارض مثل نوره ، اي النور الثاني هو محمد صلى الله عليه وسلم ، من حيث انه اول مخلوق صدر عن الله تعالى ، كمشكاة ، هي الاكوان جميعها ، فيها مصباح اضاءت به - اي - ظهرت بعدما كانت مستورة ، والمصباح هو النور المحمدي ، مصباح الظلام العدمي ، والمراد انه صلى الله عليه وسلم ، منشأ جميع الانوار على كثرة تنوعاتها ، من فروعها وصفاتها الحسية والمعنوية ، فانوار النبوة والرسالة ، وانوار الهداية والولاية ، وانوار القلوب والابصار ، والانوار المشرقة في الليل والنهار ، والانوار المودعة في الاشجار والازهار ، وانوار الايمان والاحسان والايقان ، وانوار المحبة والشهود والعرفان ، وكل ما ظهر في الوجود او شوهد من المحاسن في اي حادث موجود ، فانه هو صلى الله عليه وسلم اصله وسببه ، وهو مقسمه ومفيضه بالرغم عن أهل الجحود ٢ .

وقال الشيخ مصطفى نجا في شرح الوظيفة الشاذلية (الله منه بدء الأمر) اي الشأن الكلي الجامع لكل الشئون ، وهو النور المحمدي الشريف ، وهو اول صادر عنه سبحانه ، وإنما سمي امرأ ، لان الله اوجده بأمر - كُنْ - من لا شيء بغير واسطة شيء ، وسمي بالقلم الاعلى ، وبالدرة البيضاء ، وبالعقل الاول ، وبروح الارواح ، وبالاب الاكبر ، وبإنسان عين الوجود ، وغير ذلك من الاسماء المشهورة عند العارفين ٣ ، ١٤٠ .

(١) الحديث الشريف في كشف الاسرار للشيخ مصطفى نجا ص ٦٣ . رسالة مشكاة الانوار للامام الغزالي ص ١٣٤ .

(٢) كشف الاسرار للشيخ مصطفى نجا ص ٨٠ الآية الكريمة سورة النور .

(٣) مشكاة الانوار للامام الغزالي ص ١٣٦ .

من هذا نعلم ان الاولياء الذين هم من ورثة الانبياء ، يأتهم المدد
 ايضاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانه الاصل يأتهم من النور
 المحمدي الذي منه انوار الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم . اما الذين
 انفردوا بالمادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأتهم المدد مباشرة
 منه إليهم ، وهؤلاء هم الخلفاء اصحاب الوراثة المحمدية ، ولايتهم الولاية
 الكبرى والصدقية العظمى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن
 الله يبعثُ على رأس كل مائة سنة من يجددُ لهذه الامة أمورَ
 دينها » .

وذكر مولانا سيدى ابن عطاء الله الاسكندري الشاذلي قدس الله
 سره ، في كتابه - لطائف المنن - في تفسير الحديث الشريف (العلماء
 ورتة الانبياء) ١ قال : « الانبياء ، لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ،
 انما أوتوا العلم » ، واستشهد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا
 ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله ، وما والاه ، او عالم
 او متعلم ، وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم) وقال الله جل
 وعلا في كتابه العزيز : (سَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَالْمَلَائِكَةُ
 وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) ٢ وقال سبحانه : (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) . قال : وحينما وقع العلم في كلام الله وكلام رسول
 الله ، فانما المراد به العلم النافع الخمد للهوى القاصع الذي تكتنفه
 الحشية ، وتكون معه الانابة ، قلل تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ
 عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) ٣ ، واستطرد الشيخ مجديته الى ان قال : فشاهد العلم
 الذي هو مطلوب الله الحشية ، وشاهد الحشية موافقة الامر ، والا ما
 علم تكون معه الرغبة في الدنيا والتعلق لاربابها وصرف الهمة الى

(١) حديث لاني داود ولحاكم .

(٢) سورة آل عمران .

(٣) سورة العنكبوت .

اكتسابها ، والجمع والادخار والمباهاة ، والاستكثار وطول الامل ونسيان الآخرة .

فما ابعد من هذا العلم علمه ، من ان يكون من ورثة الانبياء ، وهل ينتقل الشيء الموروث من الموروث عنه إلا بالصفة التي كان بها عند الموروث عنه ، ثم تحدث كثيراً الى ان قال : « إنما الفقيه من فقّه عن الله امره ونهيه » قال : « سمعت شيخنا سيدي ابا العباس المرسي الشاذلي قدس الله سره يقول : الفقيه من انفقأ الحجاب عن عين قلبه . وإذا قد عرفت ان الدعاء الى الله لا يزال ابدآ ، فاعلم ان الانوار الظاهرة في اولياء الله انما هي من اشراق نور النبوة عليهم ، فمثل الحقيقة المحمدية كالشمس ، وأنوار قلوب الاولياء كالأقمار ، وانما اضاء القمر لظهور نور الشمس فيه ، ومقابلته اياها ، فإذا الشمس منيرة نهاراً ومضيئة ليلاً لظهور نورها في القمر الممدود منها ؛ وإذا هي لا غروب فيها ، فقد فهمت من هذا انه يجب دوام انوار اوليائه لدوام ظهور نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فالاولياء آيات الله ، يتلوها على عباده باظهاره إياهم واحداً بعد واحد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من نأوهم إلى قيام الساعة) وبعد ان قسم الاولياء على اربعة اقسام فجعل منهم الحقي والظاهر والولي والصدّيق قال : « اعلم جعلك الله من خاصة عباده ، وعرفك لطائف وداده ، انه سواء منهم الحقي والظاهر ، والولي والصدّيق ، فساد الوقت لا يكدر صفاهم ، ولا يحط مقدارهم ، لانهم مع المؤقت لا مع الوقت » ، ثم ذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله عباداً يعذوهم برحمته يحييهم في عافية ، تممهم بهم ألفتين ، قطع الليل المظلم لا تضرهم) وقال صلى الله عليه وسلم : (يكون في أمتي فتن لا يسجدوا منها إلا من أحياه الله بالعلم) قال الترمزي : العلم بالله ، وقال بعض العارفين : ان لله

عباداً ، كلما اشتدت عليهم ظلمة الوقت ، كلما قويت انوارهم ، فمثلهم
كمثل الكواكب ، كلما قويت ظلمة الليل ، قوي إشراقها ، وأين انوار
الكواكب من انوار اولياء الله ، اه ١ .

وقال الامام القشيري في رسالته : « من شرط الولي ان يكون
محفوظاً ، كما من شرط النبي ان يكون معصوماً ، فكل من كان للشرع
عليه اعتراض ، فهو مغرور مخدوع » .

وقال الامام المجتهد ، والمحدث الكبير الحافظ ، الشيخ جلال الدين ،
السيوطي الشاذلي ، رضي الله عنه ، في مقدمة كتابه - الحبر الدال ، على
وجود القطب ، والاوتاد والنجباء والابدال - : (الحمد لله الذي فاوت بين
خلقه في المراتب وجعل في كل قرن سابقين بهم يحي ويميت وينزل الغمام
السالك ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، البدر المنير ، وعلى آله
 واصحابه ، الهداة الكواكب ، وبعد ، فقد بلغني عن بعض من لا علم عنده ،
إنكار ما اشتهر عن السادة الاولياء ، من ان منهم ، ابدالاً تقباء ،
ونجباء ، واوتاداً واقطاباً ، وقد وردت الاحاديث ، والآثار بإثبات
ذلك ، فجمعتها في هذا الجزء لتستفاد ، ولا يعول على إنكار اهل الفساد ،
وسميته - الحبر الدال - ، على وجود القطب والاوتاد ، والنجباء ،
والابدال ، والله الموفق ، فأقول : (ورد في ذلك ، مرفوعاً وموقوفاً ،
في حديث عمر بن الخطاب ، وعلي بن ابي طالب ، وأنس ، وحذيفة بن
اليان ، وعبادة بن الصامت ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد
الله بن مسعود ، وعون بن مالك ، ومُعَاذ بن جبل ، ووائلة بن
الاسقع ، وابي سعيد الخدري ، وابي هريرة ، وابي الدرداء ، وام سلمة
رضي الله عنهم ، ومن مرسل الحسن وعطاء وبكر وخنيس ، ومن

(١) لطائف المنن لسبدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله ص ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٤ و ٢٥ .

الآثار ، عن التابعين ، ومن بعدهم بما لا يحصى) اهـ ١ .
وأورد الشيخ السيوطي في كتاب - تأييد الحقيقة العلية بتشييد الشاذلية -
حديثاً ملخصاً عن كتاب - اقتداء العاقل بالعاقل - تأليف الشيخ قطب
الدين القسطلاني ٢ في مراتب الداعين الى الله . فقال :
« إن الله بحكمته ونعمته أقام في كل عصر من جعل له لساناً معبراً
عن عوارف المعارف ، مخبراً عن لطائف العواطف ، يقطع به ما اتصل
من الجهل ، ويحمد به ما اضطرب من رأى الهوى ، إلى ان قال : اما
رتبة داعي فإنها من اعلى الرتب ، وهي رتبة الانبياء والاولياء والحكماء
كما قال الله (اذعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة) ٣ فسعت هذه الطائفة الى الدعاء ، ورأت ان ذلك من باب
تكثير الخير في الوجود ، ثم تحدثت عن الاولياء الذين في مقام الحفاء ،
وقد اطال الشرح ، ولما كان موضوع حديثنا الآن عن الاولياء الداعين الى
الله ، رأيت ان اکتفي بحديثه عن هؤلاء الداعين ، حيث قال : وقد
حصل الجهل في زماننا هذا برتبة داعي ، والنظر في ذلك من الامر
المهم في الدين ، لكيلا يلتبس طريق المحققين بطريق المبطلين ، فأذن

(١) الشيخ الامام جلال الدين السيوطي الشاذلي ، من ائمة الاجتهاد وائمة الحديث الحفاظ ، وائمة
النسوف واكابر علماء التاريخ وله تأليف عديدة ، وقد ترجمه واثني عليه كثير من الفضلاء فمن اراد
الاطلاع على ترجمته فليرجع الى كتب الطبقات .

ملحوظة - يضيّق بي المقال ، عن ذكر الاحاديث المثبتة في كتاب الخبر الدال ، فمن شاء
الاطلاع عليها فليرجع الى ذلك الكتاب ليجدها فيه .
(٢) الشيخ قطب الدين ، محمد بن علي القسطلاني ، احد ائمة الشافعية ، واحد ائمة الحديث ،
واحد ائمة التصوف ، اخذ عن السهروردي ، صاحب كتاب عوارف المعارف لا السهروردي ،
الشهيد المقتول في (حلب) ، فهذا غير ذلك . وقد اجتمع الشيخ قطب الدين بالشاذلي ، وترجمه
الاسنوي في الطبقات فقال : كان ممن جمع العلم والعمل والهيبة والورع والكرم وطلب من مكة ،
وفوضت له مشيخة دار الحديث الكاملة في القاهرة ، الى ان مات بها في المحرم سنة « ست وثمانين
وسبائة » ذكر هذا السيوطي في كتابه - تأييد الحقيقة العلية - .
(٣) سورة النحل .

للتمييز بين الدعاة فائدة عظيمة في هذا الشأن ، ثم تحدّث عن الداعي بالله الى الله ، والداعي بالله الى سُنة الله ، والداعي بالله الى حكمة الله ، والداعي الى حظوظ نفسه بطريق الله ، وبين ان الاخير معلول لا خير فيه .

إلى ان قال : ان طريق القوم ، لما اندرس رسمه ، وبقي اسمه ، ذهب عصابته ، وصاروا آحاداً في البلاد ، وأفراداً بالجد والاجتهاد ، فهم خاصة الله من خلقه وُخلاصته المختارون في ارضه لاقامة حقه ، طهر اسرارهم ونور افكارهم ، فهم الداعون الى بابه ، المعرّفون بعليّ جنابه ، الموقفون على ما اشكل من علم الطريق على اربابه ، وقد حرس الله هذه عن امتداد يد التلاعب بما اقام لها من الرؤساء العاملين بها ، يذبّون عنها طغي الطاغى ، وجهل الجاهل ، ويميزون بين المنتطح ، والواصل ، ويُعرّفون سلوك الطريق لطالبه ، ويوقفون على الصواب من لم يهتد الى مذهبه ، لا يبالون عن اعتراض جاهل او عالم ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم .^١

وقال الشيخ الكلاباذي صاحب كتاب (التعرف الى مذاهب اهل التصوّف) في مقدمة كتابه مشيراً الى هذه الطائفة « جعل الله فيهم صفة اختياراً ، نجباء ابراراً ، سبقت لهم منه الحسنى والزمهم التقوى ، وعزّف بنفوسهم عن الدنيا . صدقت مجاهداتهم ، فنالوا علوم الدراسة وخلصت عليهم معاملاتهم فمُنحوا علوم الوراثة ، وصفت اسرارهم فأكرموا بصدق الفراسة ، ثبتت اقدامهم ، وزكت افهامهم ، ونارت اعلامهم ، قهّموا من الله ، وساروا الى الله ، واعرضوا عمّا سوى الله ، خرقت الحجب انوارهم ، وجالت حول العرش اسرارهم ، وجلّت عند العرش اخطارهم وعميت عمّا دون العرش ابصارهم .

اجسام روحانيّون في الارض ، مماويّون مع الخلق ، ربّانيّون

(١) تأييد الحقيقة العلية بتشييد الشاذلية للامام السيوطي ص ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ .

نظار، سكوت غيب حضار، تحت اطار، نزاع قبائل، واصحاب فضائل، وانوار دلائل، آذانهم واعية، واسرارهم صافية، ونعوتهم ضافية، صفوة صوفية نورية، ودائع الله بين خليفته، وصفوته في بريته ووصايه لنبيته ووصيته، هم في حياته اهل صفته، وبعد وفاته خيار امته . ١

اظهار الولي

قال شيخنا سيدي ابو العباس المرسي قدس الله سره : (اعلم ان من اراد الله به ان يكون داعياً اليه ، لا بد من اظهاره الى العباد ، اذ لا يكون الدعاء اليه تعالى ، إلا كذلك ، ثم لا بد من ان يكسوه كسوتي الجلالة والبهاء .

اما الجلالة فلتعظمه العباد ، فيقفوا على حدوده ، وبضع له في قلوبهم هيبة ينصره بها ، ليكون اذا امر ونهى مسموعاً امره ونهيه . وجعل هذه الهيبة في قلوب العباد من تمكين الحق له ، ليعينه على القيام بالنصرة ٢ ، قال تعالى : (الذين إن مكثناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) ٣ وهي من اعزاز الحق لعباده (والله العزّة ولرسوله وللمؤمنين) ٤ . وهذه الهيبة جعلها الله في قلوب العباد . سرت اليهم من انبساط جاه المتبوع عليهم ، البسهم الحق ملابس هيئته ، واظهر عليهم اجلال

(١) من مقدمة كتاب التعرف لمذاهب اهل التصوف للكلاباذي ص ٤ .

(٢) لطائف المنن لسيدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندراني ص ٤٩ و ٥٠ .

قال شيخنا سيدي ابو العباس المرسي قدس الله سره : قال ملك من الملوك لبعض العارفين ممن علي ، فقال ذاك العارف : الي تقول ولي عبدان ملكتهما وملكك وقهرتهما وقهراك ، وهما الشهوة والحرس فانت عبد عبدي فكيف اتنى علي عبد عبدي ، ا ٥ . لطائف المنن ص ٥٠ .

(٣) سورة الحج .

(٤) سورة المنافقون .

عظمته ، كلما نزلوا الى ارض العبودية ، ورفعهم الى سماء الخصوصية ، فهم الملوك ، وان لم تحقق عليهم البنود ، والاعزاء وان لم تسر امامهم الجنود . ثم قال : « والكسوة الثانية التي يكسوها الحق لاوليائه ، كسوة البهاء ليحلبهم في القلوب ، فينظرون بعين المنة والمحبة ، فيكون ذلك باعثاً لهم على الانقياد اليهم ، أفلا ترى كيف قال الله تعالى في شأن موسى عليه الصلاة والسلام : « وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي »^١ . وقال سبحانه : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًّا »^٢ فحلاهم تحلية التسمية ، ليحبهم العباد فيجرهم حبهم الى حب الله ، والحب في الله ، بوجب المحبة من الله ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « وَجَبَّتْ مَحَبَّتِي لِمَتَحَابِّينَ فِيَّ »^٣ وقال شيخنا سيدي ابو الحسن الشاذلي قدس الله سره : « من احب الله وأحب الله فقد تمت ولايته »^٤ .

هكذا كان والذي رضي الله عنه ، فقد كانت انوار ولايته الكبرى في الاكوان مشرقة عامة في مظهره الذاتي الاقدس الذي تشير سويدهاء القلب اليه ، وتنعكس السرائر عليه ، كيف لا وهو القطب الغوث الاكبر الجامع كالات الوجود ، ذو النسبتين الطاهرتين ، الروحية والجسدية ، في الوراثة المحمدية ، لقد انعم الله به على اهل الشهود ، ففتجرت ينبوع الحكمة والمعرفة من قلوبهم ، وظهرت الاسرار والانوار ، واستنارت الابصار . امدنا الله بمدده الشريف ، آمين .

(١) سورة طه .

(٢) سورة مريم .

(٣) لطائف المنن لسيدى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري ص ٥٠ و ٥١ .

(٤) لطائف المنن لسيدى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري ص ٥١ .

الوارث المحمدي

في الولاية الكبرى والصديقية العظيمة

بالارشاد الى -بئبب الله تعالى

الولاية الكبرى

ظهرت شمس العلاء في القمر حين غابت عينها في الاثر
وانجلت تحتال ما بين الوري تنفخ الروح بصور الصور

★

أضمرت في الكأس ناراً تحترق جعلتنا من شذاها تحت رق
وغدت في كل قلب تحترق حجب الوهم بسيف القدر

★

درر قد اشرفت في الصدف ودرار جليت في غرف
فهاهوا يا أهبل الشرف لدرار قد زهت مع درر

★

بعث روعي في هواها ولها وفؤادي ذاب فيها ولها
ما سلا قلبي ولا عنها لها كيف يساو وهي ملء النظر

★

صل يا رب على طه العلي مظهر السر المقدسي وعلى
آله والصحب من فيهم علا احمد الناظم بين البشر

* * *

(١) نظم العلامة الكبير ، الشيخ احمد عباس الازهري البيروتي ، الذي تلقى الطريقة الشاذلية عن والدي ، وقد مدحه بعدة قصائد وانشيد صوفية .

الوارث المحمدي

جمال له الاملاك تنقاد سجّداً وتشتاق للمعنى بحكم محمّد ١

* * *

كان والدي قدّس الله سره ، في غاية الجمال والكمال ، كان مديد القامة قويّ البناء ، ليس بالبادن ولا بالنعيف ، بعيد ما بين المنكبين ، أبيض اللون ، عريض الجبين ، مشرقاً ما بين الحاجبين ، اشهل العينين ، تحيط بها اهداب طويلة ، أفنى الانف ، مع طول يتناسب وهيئة الوجه مدبّب الارنية قليلاً ، جميل الثغر ، أسيل الحدين ، خفيف العارضين ، ناعم الشعر طويل الذراعين وأصابع اليدين ، ذا هيئة وجلالة وبهاء ، فصيح اللسان عذب الكلام والابتسام ، يتكلم العربية الفصحى بلهجة مغربية خفيفة ، وبعض كلمات مغربية عامية .

ورث عن آبائه وأجداده وفرة الصحة ، وطول العمر فعاش - مائة وثمانية اعوام - وهو يحتفظ بقواه العقلية والجسدية ، والحواس الخمس ، لم يقوّس الكبر ظهره ، ولم تُطمس الأعوام جماله الباهر ، ولم تضعف فيه قوة التفكير الصافي الموزون (ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون) ٢ .

أخلاقه المحمديّة

كان رضي الله عنه متخلّقاً بأخلاق القرآن الكريم ، كقوله تعالى : (خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ٣ وقوله

(١) من قصيدة مطولة ، نظمها الشيخ رشيد سنان من هيئة كبار العلماء في دمشق ، تلقى الطريقة عن والدي وحصل له الفتح المبين .

(٢) سورة يونس .

(٣) سورة الاعراف .

سبحانه : (وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ، وَالَّذِينَ يَدَّبُّوتَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) ١ ، وكان متحلياً بسجايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سائراً على اثره ، فمن خرج عن الاقتداء فاته الاهتداء ، والولاية الكبرى ورائة محمديه مرتبطة بالاتباع .

علومه ومعارفه الربانية

وكان قدس الله سره آيةً في العلم والتصوف ، والعرفان والزهد والورع والأحوال السنية ، والمواهب اللدنية ، والهمة العالية بالله ، والتواضع الى الله ، مع كافة مخلوقاته ، والرحمة والرافة والصدق والأخلاص والتوكل والقناعة وطمأنينة النفس ، والحلم والكرم والصفح والحزم والعزم ، والثبات عند النوائب والصبر والتأني والتضحية وإنكار الذات ، والعمق عند المقدرة ، فلما أظهره الله داعياً هادياً اليه أعطي لسان فهم في القرآن وفقه الحديث وعلوم القوم ، وأذناً في التعبير ، قال تعالى : (إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ، وَقَالَ صَوَابًا) ٢ وقال سبحانه : (إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) ٣ ، قال مولانا الشيخ ابن عطاء الله الاسكندري رضي الله عنه في الحكم : (ومن أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجلت لهم إشارته) وقال شيخنا ومولانا ابو العباس المرسي رضي الله عنه (يكون الولي مشحوناً بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهودة ؛ حتى إذا أعطي العبارة كانت كالاذن له في الكلام) هكذا كان والدي رضي الله عنه يعرف من فيض بحر إلهي ومدد رباني ، فإذا تكلم بالعلوم الجليلة والاسرار

(١) سورة الفرقان .

(٢) سورة النبأ .

(٣) سورة طه .

العجيبة اتى بالاسلوب البديع والمنهج القريب ، وكان كلامه قريب العهد
من الله .

* * *

عباداته رضي الله عنه

اما عباداته ، فعلى منهاج الشرع الشريف بصدق العبودية لله ، والقيام
بحقوق ربوبيته تعالى ظاهراً باطناً باستغراق كلّي بشهود الله عز وجل ، فقد
سمت به تجليات الحق ، بالاتبان بكلما استحبه النبي صلى الله عليه وسلم من
نوافل العبادات والطاعات ؛ فكان لا ينام من الليل إلا قليلاً ، يتعبد به
وهو قائم يصلي الى طلوع الفجر ، وفي النهار يشغل اوقاته بصنوف العبادات
والطاعات ، بين يدي الله في مجالس الفرائض ومجالس نوافل الخيرات
ومجالس الذكر ، ومجالس العلم والارشاد الى سبيل الله ، وقضاء حوائج الناس
وخدمة الفقراء وتربية المريدين التربية الصحيحة ، والسير بهم في مراتب
الكمال . فإذا آوى الى غرفته فللاستغراق بالعبادة ، وإذا جلس مع
الناس فللارشاد والهداية . هجرته الى الله عبادة ، وإرشاده الى سبيل
الله عبادة ، فقد ثبت ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يهيء
الكتيبة للجهاد بفكره وهو قائم يصلي ، فلا تنقطع صلته ، لأن هذا
النوع من التفكير عبادة ، وكلما فاضت المعرفة بالتحقيق والشهود
والوصول اليه تعالى في حضرة الله ، كثرت العبادة وعظم اثرها ، ومهما
ارتقت درجة المؤمن وارتفعت منزلته بالعلم والتصوف والعرفان ، لا
تسقط عنه العبادة ، فهي لم تسقط عن الانبياء ، ولن تسقط عن احد
بجال من الأحوال .

اما بعد ، فقد كان سيدي الوالد رضي الله عنه ، من اصحاب المهيم
العالية بالله ، ومن اهل الفهم عنه جلّ جلاله ، الذين ساروا اليه في الذات

بالذات ، وعلموا ان الأنفاس امانات الحق ووداعه لديهم ، وانهم مطالبون برعايتها ، وان لكل وقت سهماً في العبودية يقتضيه الحق منك ، فوجهوا همهم لذلك .

فهو من الصفوة المختارة من اولياء الله الصديقين الأبرار الداعين اليه تعالى ، والدالين عليه والموصلين اليه ، خصه الله بشرف الدعاء اليه وألبسه ملابس هيئته وخلع عليه خلع الجلالة والبهاء ، وفتح له باب محبته كما قال تعالى (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) ١ . فأخذ منه ونشط نفسه خُدُمته ، وأثار قلبه بعرفته ، وحرسه من الأغيار وأمدت عقله بنوره ، وكشف لروحه عن قدس كماله ، بشهود عظمته وأفاض عليه من أنوار الحضرة المحمدية ، وجعله من ورثة خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه ، في مقام إرشاد الخلق الى الحق وبث أدواقه وعلومه فيهم . (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) ٢ .

* * *

شمس الكمال ، هلال الدين مرشدنا	بجر الحقيقة برئ العلم والعمل ٣
ارض الخضوع سماء الفخر نجم هدى	طور المناجاة سحب الوابل الهطل
قدس المحبين بيت الله مكنتنا	صفا وزمزم ، نور القلب والمقل
هدى رشادي كما لي قدوتي سندي	ذخري ملاذي يقيني ملتي أملي
جعلته في الملا قصدي ومعتمدي	وقد خلعت رداء العلم والعمل
دع عنك عندي فما أذني بصاغية	يا عاذلي ، لا ، ولا قلبي بمنعزل
ارواحنا أزلاً في حبه طبعت	فلو علمت عذولي جزت عن عذلي
وهذه شمس ذات الحق قد ظهرت	فأنض اليها بلا خوف ولا وجل

(١) سورة المائدة .

(٢) سورة الدهر .

(٣) من قصيدة مطولة ، نظمها الشيخ عبده الحمصي الدمشقي احد مريدي سيدي الوالد . « من

مجموعة اناشيد اخواننا - خط يد - »

تلق كؤوس الصفا بالأنس قد مزجت ومشهد القوم في تلك الكؤوس علي
حجبت اليها أولوا الالباب مسرعة وفاقد القلب ردته يد الفشل

عصر الارشاد

يبدأ عصر الارشاد في الولاية الكبرى - اي - في الوراثة المحمدية في حياة
والدي رضي الله عنه ، بعد انتقال شيخه الى دار البقاء وظهور المرتبة
الفردية فيه ، بالقيام بالنصرة لدين الله تعالى ، فقد أظهره الله داعياً هادياً اليه
دالاً عليه ، وكان سيره في الذات بالذات حسبما أفاضت عليه الحضرة من
تجليها الذاتي ، بعد ان تحقق بالنعوت والكمالات المحمدية ، وقام بجميع
شئون المرتبة الفردية بالاستعداد الذاتي الذي حازه كمثل ورثة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ذلك لأن الافراد والسائرين في هذا الطريق
متفاوتون ، منهم من يكون سيره في الذات بالذات وهم الافراد المحمديون
ومنهم من يكون سيره بالاسماء والصفات . قال مولانا سيدي الشيخ علي
وفا قدس الله سره :

اصبحت ذاتاً بلا صفات للذات بالذات مستمداً
وغابت الذات من وجودي علي فاستهلكته قصداً

* * *

قال العلامة الكبير الشيخ محمود ابو الشامات دمشقي رحمه الله : ان
من المحقق المشهود عند اهل الله جميعاً ، ان ذات الله تعالى واسماؤه وصفاته
وافعاله ، لا ينال منها شيء إلا بمظهر إمكاني ، وغير هذا لا يكون أصلاً لا
في الدنيا ولا في الآخرة ٢ .

وقال حجة الاسلام الامام الغزالي رضي الله عنه في رسالة - أيها الولد -
« لا بد للسالك من شيخ يؤديه ويرشده الى سبيل الله تعالى ، فيخرج

(٢) البيتان من قصيدة مطولة لمولانا الشيخ علي وفا .

(١) الالهامات الالهية ص ٢٧ .

الاخلاق السيئة منه ، ويجعل مكانها خلقاً حسناً ، لأن الله ارسل للعباد رسولاً للارشاد إلى سبيله ، فاذا ارتحل خلف الحلفاء في مكانه ليرشدوا الى سبيل الله تعالى ، ثم يحدثنا عن الشيخ الذي يصلح ان يكون نائباً لسيد المرسلين فيقول : إني أبين لك بعض علاماته على سبيل الاجمال ، كي لا يدعي أحد انه مرشد فتقول : من يعرض عن حب الدنيا وحب الجاه ، وكان قد تابع شخص بصير تتسلسل متابعته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان محسناً رياضته نفسه ، من قلة الأكل والنوم والقول ، جاعلاً محاسن الاخلاق له سيرة ، كالصبر والصلاة والشكر والتوكل والقناعة واليقين وطمأنينة النفس الخ . فهو نور من أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلح الاقتداء به ، ولكن وجود مثله نادر أعز من الكبريت الاحمر ، اه . ١

كان والدي المعظم نوراً من أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم يستضاء به ، وكان مجازاً من شيخه باعطاء الطريقة الشاذلية وتربية المريدين ، كما بينت في فصول كتابي هذا ، وكان منذ بداية امره حائزاً على شروط الشيخ الذي يُلقى اليه المرید بنفسه ، بالعلم الصحيح ، والذوق الصريح ، والعقل الراجح ، والفكر الصائب والهمة العالية ، والبصيرة النافذة والاحوال الرضية ، بعيداً كل البعد عن حب الدنيا وأربابها ، وحب الجاه ، فلما انتقل شيخه قدس الله سره الى رحمة الله تعالى ، لم يكن والدي في الزاوية في - مصراطة - بل كان في رحلة من رحلاته في بلاد المغرب يدعو الى سبيل الله ، حيث كان شيخه يوفده في مثل تلك الرحلات ، ويعتمد عليه ، وعندما بلغه خبر انتقال شيخه كان في حالة حزن شديد ؛ لم يقوَ معها على متابعة السفر فرجع الى زاوية شيخه في - مصراطة - للقيام بالواجب تجاه الراحل العظيم وانجاله الكرام . فقد بلغ في حبه واجلاله وإعزازه وتعظيمه لشيخه مقام الفناء

(١) رسالة ايها الولد ، للامام الغزالي ص ٦٧ و ٦٨ .

فيه ، وقد تجلّى هذا الاخلاص المنقطع النظير بأروع معانيه في حبه
لأولاد شيخه ، بعد انتقال والدهم الى دار البقاء .

كان لا يذكرهم إلا بالتعظيم والاحترام ، ويفرس في قلوب مُريديه
واتباعه حبهم واحترامهم ، ثم هو يرفض ان يبايعه احد من مريديه شيخه او
بمن يبايع اولاد شيخه . ويعاملهم ، كما لو كان ما يزال ، فقيراً مريداً
متجرداً في الزاوية في بلاد طرابلس الغرب ، ولم يستقر هناك ، بعد
انتقال شيخه الى جوار ربه ، غير ايام معدودات ، فقد رجع الى بلاده
اي الى تونس الغرب ، بعد ان انعم الله عليه بالوراثة المحمدية فبدأ يدعو
الى سبيل الله تعالى في تلك البلاد ، فيعطي الطريقة الشاذلية من هو اهل
لها ، ثم إذا به يعتزم القيام بتلك الرحلة المباركة ، الطويلة الأمد ،
للارشاد الى سبيل الله تعالى ، والدعاء اليه سبحانه ، وبما ساعد على
ذلك ، وفاة امه العزيزة عليه التي توفيت في نفس السنة التي انتقل فيها
شيخه الى دار البقاء ، وكانت اسرته يومذاك ، مؤلفة من زوجة شابة ، وثلاثة
اطفال صغار ، الابنة الكبرى يتيمة الأم في ربيعها السابع ، تدعى
عائشة ، والولدان الآخران ، ابراهيم في السنة الثالثة ، وشقيقته خوجية
اصغر منه سناً ، وقد تحدث الى زوجته امّ ولديه بأمر سياحته التي لا
يعرف لها حداً ، واخبرها انه مسير غير مخير لما يريد ، وان إرادته

(١) حنين : بمناسبة ذكر تونس الغرب اثبت هذه الايات :

يا بحر تونس هل بتونس من شذا	احبابنا عرف هنالك ضائع
سادات بشرط اصل عشقي والهوى	له اقرار بعكا طوالع
بلغ سلامي توناً حيث التقى	والمكرمات وحيث قلبي والنع
واذكر هنالك عهد نور الدين هل	عهد الطريقة بعد ذلك راجع

هذه الايات الهم بها اخواننا السيد احمد بهجت الشهبندر الحلبي ، وهو في مرسيليا في حديقة عامة
مشرفة على البحر الممتد لسواحل البلاد الافريقية ، وقد تجلّى البلاد التونسية ، المقابلة لمرسيليا حيث
هو واقف يستعرض الذكريات السعيدة ، وقد اشتد به الحنين الى ذلك العصر الذهبي ، فهو من ابناء
اخواننا السابقين الذين نالوا شرف الانتساب الى سيدي الوالد في مدينة حلب ، وقد زاده الله من
فضله فنشأ في احضان الطربق ، وانعم عليه بجملة من اخواننا المخلصين .

إرادة مولاه فيه ، ثم هو لا يعرف متى يرجع إليها ، فهل تود
الانتظار ، أم تريد ان تتبعه إذا ما استقر في مكان ما ، أم تود
الطلاق ، لتكون حرة التصرف بحياتها ، وهكذا اختارت الطلاق ، ثم
بعد سفره بمدة قليلة ، تزوجت رجلاً من تونس الغرب وتركت ولديها
في حضانة شقيقتها الكبرى ، لقد خضع رضي الله عنه للاذن الالهي الذي
اختاره الله اليه ، واختصه به ، فغادر بلاده في رحلة الى الحق عزّ
وجل ، يدعو الى الله على بصيرة كما قال الله تعالى « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي
أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي »^١ يبشر بدين الله
الحنيف ، ويحمل لواء الطريقة الشاذلية ، ويعمل على نشر مبادئ
الصوفية ، بإذلاً أمواله مضحياً بحياته واولاده وذيابه وراحته ، في سبيل
الهداية والارشاد الى سبيل الله تعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه « لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ
رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ »^٢ وقال
شيخنا ومولانا عبد السلام بن مشيش قدس الله سره ، في الوظيفة الشاذلية
التي تناولها صباحاً ومساءً : (واجعلنا ممن اهتدى بك فهدي) .

لقد خرج مرشدنا رضي الله عنه سائحاً في معارج مدارج قدس الله
تعالى في رحلته المباركة ، الى الله . وقد صحبه تسعة رجال من بلاد
المغرب ، وكان السفر في ذلك العصر قطعة من العذاب في البر والبحر ،
سواء كان السفر في السفن الشراعية او على ظهور الأبل والدواب ، او
مشياً على الأقدام . وكان رضي الله عنه ، صحيح البنية قوي الايمان
غير هيب ولا وجل ، يعمل بوحى الالهام وحكم التجلي الالهي ، الذي
يحيى به في مواقفه الروحية وسهوه الذاتي ، فجعل ينتقل وصحبه من
مكان الى مكان ، في إفريقية وآسيا ، وقد صادفته حوادث كثيرة تعرض

(١) سورة يوسف .

(٢) حديث شريف ، أخرجه البخاري في مناقب سيدنا علي كرم الله وجهه .

فيها للجوع والعطش ، وحرّ السّموم ، وهو صائمٌ في شهر رمضان المبارك . وكذلك كان حاله مع القبائل المتوحشة فنصره الله عليهم وأيده بروحٍ من عنده ، فكانت نهاية كل حادثة من تلك الحوادث هداية خلق كثير الى سبيل الله تعالى بتوفيق من الله عز وجل . كان أينما حلّ وأنتى رحل ، يُقبل الناس عليه ملبّين الدعوة الى الله ، تجذبهم رائحة العطر الذاتي ، ويُسكروهم سُدى النفحات القدسية . فكان رضي الله عنه يُحبي فيهم سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويدلّهم على الله ، فيعرفهم طريق الحق الى الحق ، ويعطي الطريقة الشاذلية العلية لمن يراه اهلاً لها ، ويأمر المنتسب اليها بما يستوجبه الدين الحنيف ، من اتّباع اوامره واجتناب نواهيه ، والقيام بأوامر الطريق وما تفرضه على السالك فيها من الأذكار والأوراد المشروعة . فالصوفي المنتسب الى طريق الله تعالى ، لا يكتفي بالاقرار بعقائد الايمان والقيام بفروض الدين فحسب . بل هو يُقرن الاقرار بالذوق والوجدان ، ويزيد على المفروض الاتيات بكل ما استجبهه النبي صلى الله عليه وسلم ، من نوافل العبادات والطاعات ، ثم هو يبتعد عن المكروهات فضلاً عن المحرمات .

وكان رضي الله عنه إذا مرّ على قرية او قبيلة ووجد اهلاً على غير الفطرة الاسلامية ، دعاهم الى الاسلام ؛ فأما ان يشرح الله صدورهم فيسلمون جميعاً ، او يشرح صدور بعضهم الى الاسلام ؛ وهناك يأخذ بتعليمهم امور دينهم ، ويأمرهم بالتقوى والاستقامة ، وينهاهم عن المنكر ويدعو لهم بالثبات على الايمان ، ويعطي الطريقة لمن يراه اهلاً لها ، وقد كان هو يعيّن في كل مكان تنتشر فيه الطريقة الشاذلية مقدماً من اهل تلك البلاد يبيّنه بإعطاء الطريقة بعد سفره وتولّي امور الفقراء وتربية المريدين .

ومن عاداته رضي الله عنه انه كان أثناء سياحته ، لا يمكث في مكان ما غير ايام معدودات ، او أسابيع لا تتجاوز مدتها الشهر الكامل ، وكان

لا يأمر أحداً من مريديه بترك عمله ، ويوصيهم بالنظر الى كافة مخلوقات الله تعالى بعين الرحمة على اختلاف الملل والنحل ، فلما طالت سياحته سنين في افريقية وآسيا ، لم يقو الرجال الذين صحبوه على متابعة السفر ، فرجعوا الى بلادهم ، ولم يبق معه غير اثنين منهم ، هما : الشيخ عمار : والشيخ محمد ماما : وقد دامت الرحلة اعواماً أخر ، وهو يطوف ويتنقل من مكان الى آخر ومن قطر الى قطر ، في المدن والقرى وبين القبائل ، في البراري والصحاري ، في افريقية وآسيا ، داعياً هادياً مبشراً بدين الله الحنيف ، يخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر ، الى نور المعرفة وحق اليقين ، ويبري مرضى القلوب ويحي مواتها ، تحت لواء الطريقة الشاذلية ؛ وبارادة الله تعالى انتشرت الطريقة في تلك الاقطار البعيدة ، وعمّ الفضل ؛ ونال ما كان يبتغيه من تكميل السالكين فيها ، وإيصالهم الى حضرة القرب ، وزيادة عدد المسلمين في تلك البقاع من الارض بدخول الناس في دين الله افواجاً ١ .

(١) بمناسبة حديثي عن سباحة سيدي الوالد ، وقيامه بالواجب المقدس في خدمة الاسلام والمسلمين بنشر الدين الاسلامي في الاقطار البعيدة ، انقل بعض ما جاء في كتاب الاسلام والنصرانية ، تأليف مسيو بونه اموري الفرنسي وترجمة الامير شكيب ارسلان ، بتعليقه على كتاب حاضر العالم الاسلامي ، الذي نقله الى العربية الأستاذ عجاج نويض ، حيث يقول مسيو بونه : ان لشيوخ الطرق الصوفية الفضل الاكبر بنشر الدين الاسلامي ، في الاقطار البعيدة المتوحشة ، وحمابتها من التنصير على ايدي المبشرين المسيحيين الذين كانوا يؤمنونها لنشر الديانة المسيحية فيها توطئة للاستعمار . قال في صحيفة ٢٥٤ : « في تلك الايام حصلت حركة دينية عند البربر ، وظهرت عندهم الطرق الصوفية المشابهة للرهبانيات عند النصارى ، وترجع هذه الحركة لسببين ، احدهما عقيدة التصوف التي ترمي الى الغناء في الله ، والثاني ، دعوة اهل البدع والاهواء ، وغير المسلمين الى الاسلام ، واتباع هذه الطرق يشبهون الرهبان في الانقطاع للعبادة وكثرة الصلاة ، ومنهم من هم نظير الرهبان العسكريين ، يعتقدون انهم مكفون باستعمال السيف لنشر الدعوة ، ولكنهم يفترون عن رهبان النصارى بعدم البتول وطمع النفس عن النساء ، ويقال لخل اجتماعهم (رباط) ، ولرئيس الطريقة مرابط ، ولذلك لما قام عبد الله بن ياسين بالدعوة الدينية لهداية البربر من (لتونة) وغيرها ، اجتمعت حوله عصابة سموا بالمرباطين ، وكانت لهم دولة وصوله بلفت اوجها في زمن يوسف بن تاشفين سنة ١٠٥٠ ميلادية ، وقام مقام المرابطين ، الموحدون ، وكانت لهم في الاندلس والمغرب دولة عظيمة ،

فلما قضى والدي رضي الله عنه عشر سنين على تلك الحالة المشرفة ، في خدمة الاسلام والمسلمين ، جاءه الالهام من الملك العلام ، بتأدية فريضة

وكان الشرفاء من اعقاب ادريس من اتباع العقيدة الصوفية ، وكانت هذه العقيدة تقرأ في فاس ، وتونس ، وهما اعظم مراكز العلم بأفريقية ، وقد اخذ بها خلق كثير .

وبعد ان تحدث مسيو بونه اموري عن الشيخ عبد القادر الجيلاني ، والطريقة القادرية ، قال : « اما الطريقة الشاذلية ، نسبة الى الشيخ ابي الحسن الشاذلي . اخذ عن الشيخ عبد السلام بن مشيش الذي اخذ عن ابي مدين (١) وكانت ولادة ابي مدين في اشبيلية . قرأ في فاس ، وحج البيت الحرام ، ثم استقر يعلم التصوف في بجاية ، وتبعه خلق كثير انقسموا بعده الى ثلاث فرق ، الاولى الشاذلية المنتشرون في الجزائر ، الثانية الدرقاوية الذين مركزهم مراکش ، الثالثة المدينة . الذين هم كثيرون في طرابلس الغرب » . وبعد ان افاض بحديثه في بحث الطرق والزوايا وتشكيلاتها ، قال : « ان العرب لم ينتظروا تشكيل الطرق الصوفية حتى يبتثروا الدعوة في السودان وغيره ، بل منذ اواخر القرن السابع ، كانوا اخترقوا فزان ودخلوا السودان ، ولكن اتباع الطرق الصوفية هم الذين تم على يدع اسلام القسم الاعظم ، من مسلي اواسط افريقية ، وهم الذين اوقدوا الحمية الدينية بعد ان كادت تفتت ، وادخلوا معظم السودان في الاسلام بالارشاد والتعليم ، والاخذ والعطاء . »

وقال في ص ٢٧٢ « اما في الدور الثالث من سنة ١٧٥٠ الى سنة ١٩٠١ فقد نهض الاسلام نهضة ثالثة على ايدي مشايخ الطرق الصوفية ، وذلك في اواخر القرن الثامن عشر ، لما دخلت الدعوة البرتستانتية من كل نوع الى افريقية ، وضاعفت الكنيسة الكاثوليكية فيها مجاهديها ، بسائق المنافسة ، كان لا بد ان ينتبه الاسلام لمقاومة النصرانية ، وان يشتد الصراع بين هاتين القوتين المتقابلتين ، مقروناً بالاھواء السياسية التي تزيد شدة وحدة ، واكثر اسباب هذه النهضة الاخيرة ، راجعة الى التصوف والاعتقاد بالاولياء ويظهر المهدي . »

وقال في ص ٢٧٥ « لقد تأسست الطريقة الشاذلية في النصف الاول من القرن الثالث عشر

(١) تصحيح : اخذ الشيخ ابو الحسن الشاذلي ، عن الشيخ عبد السلام بن مشيش ، الذي اخذ عن الشيخ عبد الرحمن المدني المشهور بالزيات لسكناه في حارة الزياتين ، ولم يأخذ الشيخ عبد السلام عن ابي مدين ، اما الشيخ العربي الدرقاوي فقد اخذ عنه شيخ والدي وجميعهم من اقطاب السلسلة الشريفة الشاذلية ، قدس الله اسرارهم .

وكان الشيخ ابو الحسن الشاذلي قد اخذ الطريق عن الشيخ الحارزمي ، كان هذا قبل ان يتشرف بالاخذ عن الشيخ عبد السلام بن مشيش ، وقبل اتسابه اليه ، وللشيخ الحارزمي سند في الطريق ، فيه الاخذ عن الشيخ ابي مدين شعيب الاندلسي الاشبيلي الانصاري ، وفيه الاخذ عن الشيخ الجنيدي .

وبعد اخذ الشيخ ابي الحسن عن الشيخ عبد السلام بن مشيش كان لا ينتسب الا اليه ، اذا سئل عن شيخه .

الحج وزيارة البيت الحرام ، فقصد الحجاز مع صاحبيه ، وجاور هناك عند
قبر النبي صلوات الله وبه عليه ، في المدينة المنورة ، اربع سنين
كاملة ، في حالة نسك واعتكاف ، كان في كل سنة منها يؤدي فريضة
الحج الاكبر وزيارة البيت الحرام .



للبيلاذ وهي من اوليات الطرق التي ادخلت التصوف في المغرب ، ومركزها بويريت في
مراكش ، وكان من اشياخها سيدي العربي الدرقاوي المتوفي سنة ١٨٢٢ الذي اوجد عند مريديه حماسة
دينية شديدة الى المغرب الاوسط ، وكان للدرقاوية دور فعال في مقاومة الفتح الفرنسي ، وما امتاز
به الدرقاوية هو شدة الطاعة لمشايخهم ، فان الدرقاوي المار الذكر ، كان يوصي مريديه ساعة موته
بقوله : « يجب على الاخوان ان يكونوا في يد المرشد كالجثة بين يدي الغاسل » .

اشراق

شمس المعارف الكبرى

في الشروق

بزغت شمس العرفان تتجلسى في الاكوان
 في مرآة الرحمن مولاي علي الشان
 وبه تمّ الايمان

وراق انسي وعلا نجم السعدي وبشمسي قد حلا وجددي
 طاب كأسي في هوى هذا الفرد من علاه جل عن حد
 اللازمة - بزغت شمس العرفان

قد حلا لي في الهوى خلع العذار ومحالي ظلمة الاغيار
 صار حالي فيه للحق مدار وما لي منشأ الاسرار
 اللازمة - بزغت شمس العرفان

كأس خمري فيه اسرار الوجود وبسكري طاب لي الشهود
 صرت ادري انني عين المقصود حيث بدري صار لي مشهود
 اللازمة - بزغت شمس العرفان

طاف قلبي في حمى البيت المعمور وبلبيسي كان ذلك الطور
 كأس شربي فيه نار ثم نور وبجببي تمّ لي الحضور
 اللازمة - بزغت شمس العرفان

قد دعاني للبقا داعي الفنا وكساني حلة الفنا
 يمان قوله أنت أنا وحباني غاية المني
 اللازمة - بزغت شمس العرفان

بشجوني ليت قومي يعلمون وجنوني صار لي فنون
 حققوني يا أصبحاب العيون عن يقيني كان ما يكون
 اللازمة - بزغت شمس العرفان

وصلاحي تُهدى مع أزكى السلام لحياتي خيرة الأنام
نور ذاتي وكذا الصحب الكرام هم هدايتي في دجى الظلام
اللازمة - بزغت شمس العرفان ١

الشروع

لقد ذكرت في الفصول السابقة ، ان شيخنا رضي الله عنه كان يعيش لربه لا لنفسه ، وأنه يسير بحكم التجلي الالهي والالهام الرباني في تغرُّبه عن الخلق إلى الحق ، وهجرته إلى الله ورسوله . فبعد ان قضى اربع سنين في الحجاز ، توجه لزيارة قبر شيخنا الاكبر الذي سمّت الطريقة الشاذلية باسمه الشريف ، مولانا الامام علي أبي الحسن الشاذلي ، قدس الله سره ، وقبره يُزار إلى الآن في - القصير - على شاطئ البحر الاحمر .

وبعد ان أدى والذي تلك الزيارة المقدسة ، صدر الاذن الالهي بالرحيل الى الديار الشامية لزيارة المسجد الاقصى في القدس الشريف ، ورغم قوة الظهور في ولايته الكبرى ، كان ما يزال يشعر ان على عاتقيه واجبات وتبعات روحية ترغمه على متابعة السفر ، وعدم الاستقرار في مكان ما . وهكذا هبط مدينة الاسكندرية وركب البحر في سفينة شراعية تقصد مدينة يافا ، وبمشيئة الله وقدرته هبت عاصفة شديدة ، وهاج البحر هياجاً عظيماً ، فلم تتمكن السفينة من الوقوف امام ثغر يافا . ثم جذبتها الرياح الى شاطئ البحر ما بين بيروت وصيدا ، امام قبر النبي يونس عليه الصلاة والسلام ، وكان ربّانها وصاحبها من اهل بيروت من آل - شبارو - رجلاً صالحاً محباً لأهل الله ، وقد ابى ان يأخذ اجراً من والذي وصاحبيه ، هُنالك قال له والذي : مد يدك ،

(١) للشيخ احمد عباس الازهري البيروتي ، من اعيان علماء بيروت وصاحب الكلية الشهيرة باسمه فيها .

اريد ان اكاثك ، ثم اعطاء الطريقة الشاذلية .
 فكان أول رجل أخذ الطريق عن شيخنا رضي الله عنه في هذه
 البلاد ، وكان فيما بعد من اخلص مردييه .
 هبط والدي رضي الله عنه ارض الساحل ، وبات أولى لباليه اللانحة
 في بلاد الشام ، في مقام النبي يونس عليه الصلاة والسلام ، فاستقبله ذلك
 النبي الكريم في حماه الاقدس مرحباً به ، ومشجعاً إياه ، ثم قال له :
 « يا علي ، مكنّ الحربة في - عكا - بعد ان ضمه الى صدره ودعا له
 بالفتح المبين والفوز العظيم .

لقد رأى والدي حضرة ذلك النبي الكريم رؤية حقيقية لا رؤيا منام .
 وفي صباح اليوم الثاني ، رحل متوجهاً الى مدينة - عكا - بطريق البر ، وما
 ان شارفها ووقف في بربتها امام قبر النبي صالح عليه الصلاة والسلام ،
 خارج السور ، حتى كان على علم بأمر الله تعالى ، وان هنا المقام ، وهنا
 مشرق انوار الولاية الكبرى ، والصدقية العظمى ، فأحسّ بنفحة الاستقرار
 الروحي ، وزال عنه ما كان يجده من قيود وتبعات ررحية كانت ترغمه
 على متابعة السفر والانتقال من مكان الى آخر ، بعد ان قضى اربعة عشر
 عاماً داعياً الى الله ، ومجاهداً في سبيل الله في تلك السياحة المقدسة في
 رحلته الى الله ورسوله .

* * *

الكؤوس الشرطية اسكرت كل الانام
 والعلوم الاقدسية أثبتت رشد الغلام
 يا اولي الالباب هيا نحو هاتيك الحيام
 ننظر الشمس المضيا في حمى البيت الحرام

★

مرحباً اهلاً وسهلاً بك يا كل المراد
 يا هلالاً قد تجلسي بين سمعي والفؤاد

جئت للتحقيق بجلى وحياة للعباد
وبك الكون تحلى بعد جهل وظلام

★

نحن بالله حمانا لا بمال وولد
كل من رام اذانا حسبه الله الصمد
يا عزولاً قد اتانا سيف اهل الله حد
فتنح عن لقانا فهو والله السلام

★

يا أسيحاب البيان حققوا تلك الرموز
واعقلوا هذي المعاني فهي ابواب الكنوز
وارقبوا بدر الزمان قد تهيأ للبروز
ما بقي إلا التداني فافهموا روح الكلام

★

فاخلع الاكوان والبس حلة الخلق الجديد
واطرح الاغيار واجلس عند ذي العرش المجيد
عن هواك النفس فاحبس تربح العز الأبيد
واجعل المحبوب مؤنس فهو يعطيك الدوام

لمحة عمره

كانت الدولة العثمانية تحكم - سورية - ، وكانت الحدود السورية تتأخم مصر من الجنوب والعراق شرقاً ، وكان يطلق على (سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الاردن) اسم واحد هو (سورية أو الشام) وكانت مدينة - عكا - قلعة حصينة لها ماض مجيد في الحروب والحصار وصد الاعداء ، يحيط بها سور عال ، له بابان ، الأول من الشرق إلى من اناشيد الاذكار للشيخ عبده الحمصي الدمشقي الذي وصفه مرشدنا العظيم بأنه شاعر الطريقة .

البر والثاني لجهة البحر . ووراء السور خندق عميق عريض ذو منفذين .
والمدينة شبه جزيرة يطوقها البحر من جهات ثلاث ، وتترامى خارج
سورها وخندقها سهول ومروج خضراء زراعية خصبة ، تظهر فيها انواع
الازهار والرياحين وزنابق الحقول في اشهر الربيع . ولم تكن السلطات يومئذ
لتسمع بان تغرس في اكنافها الاشجار ، ولا ان تشاد عليها المنازل ،
فهي نقطة حربية هامة ، يعتمد عليها الجيش اعتماداً كلياً .

وكانت - عكا - في ذلك العهد ، مركز القيادة العليا للجيش التركي
في سائر انحاء فلسطين ، ترابط فيها فرق كاملة العدة والعدد ، ويسكنها
كثير من امراء الجيش وقواده وضباطه وعائلاتهم ، وكثير من الحكام
المدنيين الذين يتولون إدارة الأحكام المدنية ، كما كانت من البلاد التي
يرسل اليها المبعدون السياسيون من الآستانة ، وكافة البلاد الخاضعة للحكم
العثماني . فكان منهم العظماء والكبراء والوزراء والعلماء الأعلام ،
ومشاهير الأدباء . ويطلق على من يعيش فيها من المبعدين السياسيين اسم
(قلعة بند) ذلك لانه يعيش في بيته ويتجول في انحاء المدينة أنسى
شاء . لا فرق بينه وبين باقي السكان ، شرط الا يتجاوز حدود السور .
وكانت هذه المدينة تعد من اعظم الثغور القائمة على شاطئ المتوسط ،
نظراً لموقعها الجغرافي الممتاز ، وقرب مواصلاتها البحرية والبرية ، الامر
الذي جعلها من أهم المرافئ التجارية في ذلك العصر ، حتى أطلق عليها
اسم (باب البحر) ولهذا كانت الحركة التجارية فيها دائمة في كل ناحية من
نواحي الحياة . هذا عدا المؤن والذخائر الحربية التي تنقل منها اليها
بطريق البر والبحر ، وكانت منطقة الساحل والجبل التابعة لها خصبة
زراعية تتفجر فيها ينابيع الجارية التي تسقي الحدائق الغناء .

وفي قرية - الكابري - ، نبع صاف يسيل في قناة الى عكا ، ويمر فوق
قناطر بناها احد ولاة الاتراك ، من أجل ذلك سميت - قناة الباشا - ، ولم
تكن حيفا يومئذ كما هي عليه الآن من الاهمية ، بل كانت بلدة صغيرة

هادئة في جملة المدن الكبيرة والصغيرة التابعة في الحكم - لعكا - ، وكذلك كانت تقطن مدينة - عكا - عائلات ارستقراطية عريقة من مسلمين ومسيحيين ، من بينها عائلات من اشراف المسلمين ، كما كان يقطنها رجال عظام لا من قواد الجيش والحكام المدنيين والمباعدن السياسيين فحسب ، بل من اهلها ايضاً ، منهم علماء اعلام تلقوا علومهم في الازهر الشريف ، ومنهم الزعماء والوجهاء وكبار الزراع ، وأصحاب النفوذ ، وأرباب الاعمال ، عدا علماء الجيش وأساطينه .

وقد أنشأ فيها احمد باشا الجزائر ، جامعاً كبيراً على طراز مساجد الآستانة ، جعل فيه مدرسة لطلب العلم الشريف ، سماها (المدرسة الاحمدية) ومكتبة عظيمة تحوي كتباً قيمة ، يهرع اليها الناس من البلاد ، والقرى المجاورة للاستفادة منها .

هكذا كانت الحياة في مدينة عكا ، يوم دخلها سيدي الوالد رضي الله عنه في عام ١٢٦٦ للهجرة .

صاح ، إن ضامك الزمان فيسمم باب غوث تهوى له كل جبهة وتوجهه للشرطي وقبل ثغر عكا ، فانها خير وجهه ربما تسعف الحظوظ وتحظى حيث تهوى وما بذلك شبهه كل وجه أهم فيه وقصدي بعلي من كرم الله وجهه دخل شيخنا رضي الله عنه ثغر - عكا - ونزل في جامع الزيتونة ، وهو مسجد صغير بالقرب من السوق في وسط المدينة يجتمع فيه خلق كثير في اوقات الصلاة . وما كاد رضي الله عنه يجلس بعد الصلاة ويتكلم بما افاض عليه الحق عز وجل من العلوم والفهوم والأسرار والأنوار ، حتى أقبل الناس عليه يصفون . لقد سمعوا منه ما ادهشهم

هذه الايات نظما الشيخ العالم السيد نصوح الجابري الحلي احد مريدي سيدي الوالد فهو واخوه الشيخ العالم السيد عبد الحميد ووالدهما الشيخ العالم الحاج صديق افندي ، وابناء اعمامه السادة الحاج ضياء ورضا ، وجيل ، كانوا من اخواننا السابقين المنتسبين لسبيدي الوالد في مدينة (حلب) ، « وآل الجابري من وجهاء تلك المدينة واعيانها » .

وجذبهم اليه ، لأن عباراته عبارات المأذون من الله لهداية المرید .
 وكذلك كانت حاله رضي الله عنه تقتضي الصمت في حضرة الله عزّ
 وجل ، فهو يتلقى ما يرد على سمع قلبه من العلوم والفهوم بإلهام رباني .
 فإذا نطق فلهداية مرید ، إذ كيف يصدر عنه نطق او تعبير على غير
 الوجه المذكور وهو يعيش في حضرة الله حيث لا أين ، ولا غين ،
 والصمت من آداب الحضرة . قال تعالى في كتابه العزيز : (وَخَشَعَتِ
 الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا نَهْمًا) ١ ، فكان لا بد ان
 تستجيب لدعوته العقول ، وتمفو اليه قلوب الخلائق من مشارق الارض
 ومغاربها ، فمن اطاع الله اطاعه كل شيء . فقد كان رضي الله عنه
 مطاعاً ثم اميناً في طريق الاستقامة والاتباع وامتنال اوامر الله تعالى ،
 واجتناب نواهيه وإقامة شعائر الدين الخفيف وإحياء سنة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، إذ لم تشهد البلاد السورية نهضة صوفية مباركة بعد
 انتقال سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه ، الى جوار ربه ،
 إلا بعد قدوم سيدي الوالد رضي الله عنه اليها . وكان أول من تلقى
 عنه الطريقة الشاذلية وانتسب اليه مفتي - عكا - الشيخ قاسم العرايبي ،
 والتاجر الكبير الحاج - احمد دلال - ، والسيد - ابو أيوب القبلاوي - ، ولم تمض
 إلا ايام معدودات ، حتى تبعهم معظم القواد والعلماء والزعماء وأرباب
 الأعمال واصحاب الحرف وغيرهم . وبعد ذلك اخذت الوفود من المدن
 والقرى المجاورة تهرع اليه ، للاقتباس من ذلك النور المحمدي المستمد من
 انوار رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكم من منكر غدا من رجال
 الطريق العاملين فيها والمتقنين في خدمتها ، وكم من مذنب وعاصي تاب
 وأتاب لجرّد سماع حكمه ووعظه ، ودخل في طاعة الله تعالى بعد ان
 جذبته الحُصوية لهذا المظهر المحمدي الأقدس .

فكان رضي الله عنه يوجههم الى الاعمال التي فيها التصفية والتطهير ،

(١) سورة مريم .

فهي طريق التزكية والجهاد الاكبر ، إذ العلم عند الناس كثير ، ولكن العمل به قليل . وعلى تقدير وجود العمل ، فلا يخلو من طلب الحظوظ والحروف وذلك مناف للاخلاص .

ومعلوم ان العمل هو حركة الجسم والقلب والفكر ، فان تحرك بما يوافق الشريعة 'سمي طاعة ، وان تحرك بما يخالف الشريعة ، 'سمي معصية ، لذلك اجمعوا على ان الشريعة لاصلاح الظواهر ، والطريقة لاصلاح الضمائر ، والحقيقة لاصلاح السرائر .

ولما كان النور المحمدي هو الشأن الكلي الجامع لكل الشئون ، وهو الاصل لحقائق الموجودات ، كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم جامعة لسائر النبوات ، ورسالته عامة ، وكتابه جامع لسائر الكتب ، لذلك كان علم الحقيقة في امة محمد صلى الله عليه وسلم غير منفصل عن شريعته الغراء ، بل هو سرها ولبها الخالص ، منبثق من القرآن العظيم والحديث الشريف . فقد سمى الحق نفسه بالاول والآخر والباطن والظاهر ، وباسم عالم الغيب والشهادة ، اما العمل بعلم الحقيقة المسمى بعلم الباطن في امة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو يختلف عما كان عليه زمن - موسى - والحضر - عليهما السلام ، فقد كان موسى نبي رسالة وتشريع ، وكان الحضر نبي ولاية لا نبي تشريع ، ولم يكن تابعاً لموسى مقيداً بحكمه الظاهر ، بل كان مستقلاً بنبوة ولايته كما حدثنا بذلك القرآن الكريم في سورة الكهف (فَوَجَدَ عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا)^١ ذلك لأن الحضر كان مأذوناً من الله بتنفيذ علم الحقيقة لحكمة ارادها الله ؛ منها اثبات هذا العلم الشريف ، في الكتب المنزلة ، ووجوب طلبه كما يجب طلب علم الشريعة ، فكان حتماً عليه تنفيذه وتأويله امام نبي التشريع موسى عليه السلام ، ولم يفعل ذلك عن امره كما اثبتت الآية الكريمة (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ

(١) سورة الكهف .

أمرني ، ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً) ١ .
 أما الولي التابع لرسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، فهو مقيد بالشرع
 الشريف ، فإذا أطلع على حقيقة بالكشف كما اطلع عليها الخضر عليه
 السلام ، لا يجوز له ان يعمل بمقتضى حكمها لمجرد الكشف ، ما لم
 يؤيدها - الكتاب - والسنة - ويكون هذا الكشف له بمعنى التشريف
 والرفعة بسعة الاطلاع على حقائق الاشياء ، قال الله تعالى في كتابه
 الكريم : (قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ) قال شيخنا سيدي ابن
 عطاء الله الاسكندري قدس الله سره في الحكم : « اباح لك ان تنظر
 في المكوّنات ، قل انظروا ماذا في السموات ، فتح لك باب الالهام ولم
 يقل انظروا السموات ، لئلا يدلك على الاجرام ، فالاجرام ، كالصّدف
 ليواقيت المعاني ، فمن وقف مع الصّدف حُجب عن جمال
 اليواقيت الباطنة » ٢ ، ٥١ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حارثة : « كيف أصبحت ؟
 فقال : أصبحت مؤمناً حقاً . قال : لكلّ قولٍ حقيقة ، فما حقيقة
 إيمانك ؟ فقال : عزّقت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي وأظمّأت
 نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي (بارزاً) وكأني أنظر إلى أهل
 الجنة يتزاورون ، وكأني أسمع عواء أهل النار . فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : عرّفت فألزم ، مؤمن نور الله قلبه » ٣ .
 وحقيقة الاسرار عند السادة الصوفية ، إنما هي الحقائق التي تنطوي

(١) سورة الكهف .

(٢) كتاب الحكم لسيدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري ص ٤ .

(٣) ذكر هذا الحديث سيدي الشيخ الجليلي رضي الله عنه في الانسان الكامل ، فقال : وكأني

انظر عرش ربي بارزاً . وقال ابن عجيبة في شرح الحكم فروى الحديث (لكل حق حقيقة) .

وذكره شيخنا سيدي تاج الدين بن عطاء الله ، قدس الله سره ، في كتابه - لطائف المنن -

(لكل حق حقيقة) ص ٧٤ رواه ابن المبارك ، ورواه عبد الرزاق في التفسير عن الثوري ،

ورواه الطبراني واخرجه البزار والبيهقي في الشعب .

عليها ظاهرات الاشياء والحكمة الالهية التي يتذوقونها من القيام برسوم الاحكام والشرائع . فالصوفي لا يكتفي بظاهر العبادات المسنونة في الدين ولكنه ينظر بنور الله الى ما تنطوي عليه الرسوم والاحكام من حكمة وأسرار ، فيجتهد لاستخراج هذه الاسرار من بواطنها ، ثم هو يحرص على ان يفوز باسرار الصلاة ، فلا يُصلي وهو شارد الفكر ينصرف بقلبه الى مكان آخر ، لأن استحضار المُصَلِّي بالذکر ينقله من الغفلة الى الحضور ، ومن الحضور الى كشف الستور ، حتى يفنى الذاكر في المذكور ، والمُراد ان يكون المُصَلِّي مستغرقاً بالذکر فيها . قال تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذکرُ الله أكبر) . قال الشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن عَرَبِي رضي الله عنه : (ذِكرُ الله أكبر أعمالها وأقوالها فيها) اهـ . فهي مجموعة عبادات ، ثم هي مناجاة بين العبد والرب ، ولذلك يجب على الفقير المُصَلِّي ان يجمع حواسه بحضور القلب ، فيكون منقطعاً عما سوى الله ، مُلاحظاً عظمة المذكور بأسم الجلالة كأنه يراه .

قلبُ الشَّجِي هوأكُ أنعم له بقلأكُ
حيث التجا بباب الرجاء بالحلل الاعظم يا محسن هبه رضاكُ

★

أشعلت فؤاد الصبِّ عن كل شيء سواك
يا كعبة اهل القرب روعي فداك
أقسمت بما في القلب من لوعة في هواك
علبعد كذا والقرب كلِّي معاك

★

بالمصطفى مرآكُ أذقني شراب وصال من صافي دنان حماك

★

يا كنز شئون المبدى يا روح روح البيان
قد طال عناء العبد يا ابن المداني

بجيمالك يا ذا الفرد أنعم له بالتداني
إذ أنت سبيل الرشد في ذا الزمان

★

سبحان من أرقاك لأعلى مقام وصال لا يوجد فيه سواك^١
وبتوفيق من الله قضى سيدي الوالد رضي الله عنه ، مدة في عكا
بذلك التوجيه الصوفي في جهاده الاكبر ، بتصفية النفوس وتركيتها وصبغها
بالصبغة الصوفية الاسلامية .
على ان انتقاله من المناطق الحارة الى رطوبة الهواء في - عكا - ،
ترك بصحته أثراً . ثم اشتدت وطأة المرض عليه فالزمته الفراش مدة
طويلة ، كان في خلالها موضع اهتمام مردييه وحببيه . قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ ، إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ . ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي
السَّمَاوَاتِ ، إِنَّ اللَّهَ أَحَبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ،
ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ الْأَرْضِ) وفي
رواية (يُلْقَى لَهُ الْقَبُولُ فِي الْمَاءِ فَيَشْرَبُهُ النَّاسُ فَيُحِبُّونَهُ
جَمِيعًا) او كما قال عليه الصلاة والسلام ٢ .

وسبب حب الله للعبد زهده في الدنيا ، ففي حديث الترمزي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبِّكَ
اللَّهُ ، وَأَزْهَدْ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبِّكَ النَّاسُ) قال الشيخ ابن
عجبية رضي الله عنه في الحكم : (لِمَ عَلِمَ أَنْ هَذَا الْعَزْ الَّذِي يُعْطِيهِ اللَّهُ
لأولياته لا يكون في بدايتهم ولا في اول امرهم لئلا يفتنهم الخلق عن
الحق ، بل من لطف الله بهم وغيرته عليهم ، ان ينفر بعض الخلق منهم
او يسلبهم عليهم حتى يتخلصوا من رق الاشياء ، ويتحققوا باصول

(١) اي مقام الورثة المحمدية في عصر سيدي الوالد رضي الله عنه ، وهذا الشيد من نظم الشيخ
عبد الحمصي الدمشقي .

(٢) ولهذا الحديث رواية ثانية (اذا احب الله عبداً قذف حبه في قلوب الملائكة ، واذا بغض
الله عبداً قذف بغضه في قلوب الملائكة ، ثم يقذفه في قلوب الآدميين « لاني نعم في (الحلية) .

والتمكنين ، فحينئذ إن شاء أظهر عزهم لينفع بهم عباده ويهدي بهم من شاء من خلقه ، وإن شاء أخفاهم واستأثر بعزهم . وقد أظهر الله عز وجل سيدي الوالد رضي الله عنه بعز لا يفنى ابداً ، ينسحب عليه وعلى اولاده . وبحمد الله ونعمه كنا وما زلنا نعيش بفضلہ ونعتز بعزہ .

وقد تطوَّع بعض وجهاء المدينة من مُريديه لخدمته بأنفسهم . وكان بعضهم يرسلون اليه اولادهم وبناتهم الصغيرات ليقمن على خدمته . ثم قرَّر الاطباء ضرورة نقله إلى الجبال ، فإما ان يذهب الى مدينة - صفد - أو إلى قرية - ترشيحا - ، ولم تكن يومئذ الطرق مُعبدة كما هي الآن ، فكان على المسافر إلى - صفد - ان يمتطي ظهر الدواب مسير يوم كامل حتى يصل اليها ، وكانت قرية - ترشيحا - هي الأقرب إلى - عكا - فأختار رضي الله عنه الذهاب اليها يرافقه صاحباه اللذان لم يفارقاه ابداً ، إلى ان وافاهما الأجل في هذه البلاد فدفن الأول في - ترشيحا - والآخر في مقبرة النبي صالح في - عكا - .

وبإرادة الله وحكمته ، دخل سيدي الوالد رضي الله عنه - ترشيحا - هذه القرية الجبلية ذات الهواء العليل والمناخ الصحي ، وأشجار الزيتون ، وكان يسكنها يومذاك بعض زعماء الجبل والعالم الجليل الشيخ - محمد صالح - قاضي - ترشيحا - وقرى الجبل عموماً ، والاسرة الشريفة الحسينية آل - شريح - . وقد ارسلت الحكومة ومفتي - عكا - رسائل توصية الى قاضي - ترشيحا - ليستقبل شيخنا الاستقبال اللائق به ، فكان ما اراده الله عز وجل ، فقد أختص الله سبحانه تلك القرية بالأذكار والأنوار والأسرار ، والمشاهد الصوفية الرائعة ، ودقائق المعاني بإشراق أنوار الولاية الكبرى والصدقية العظيمة . وكان حكم التجلي الألهي بالاستقرار فيها ، فخضع لأمر الله تعالى . وبعد ان استردَّ صحته وقوته ، بدأ بالدعوة بالارشاد إلى سبيل الله ، ونشر لواء الطريقة الشاذلية . فكان أول من سعد بتبليبه تلك الدعوة المباركة بالانتساب

اليه والأخذ عنه الشيخ - محمد صالح - قاضي - ترشيحا - والجبل
وأسرته ، والسيد - يوسف شريح - الشريف الحسيني وأسرته ، وابن
أخته السيد مصطفى تونيز الذي كان ينزل ضيفاً على خاله يوسف شريح
حيث كان موظفاً ، وسيدي الشيخ احمد عبد الرحمن ، الذي انعم الله
عليه بالعلم اللدني وقد عين مقدماً ، وكان له شأن وأي شأن في
خدمة الطريق ، وتربية المريدين ، والسيد احمد المعتمد وكان مقدماً ،
وغيرهم كثيرون . ثم ازداد اقبال الخلق على التشرف بأخذ الطريق
والعمل بمبادئها الصوفية بما يرضي الله ورسوله .

وبعد ان استقر به المقام في ترشيحا ، بأشهر معدودات ، افتتن
بالسيدة الجليلة خديجة ، كريمة احمد بك تونيز والداها من الامراء المهايك
في مصر والحكام فيها ، وزوجها السابق يعقوب بك المصري الثري
الكبير ، الذي كان يقطن في ضواحي عكا ، ولم ينجب من السيدة
المذكورة اولاداً وكانت قد جاءت بعد وفاة زوجها السابق لزيارة اهل
والدتها في ترشيحا ، وكانت ورثت عنه ، اي عن زوجها ، مالا وعقاراً
وأراضي زراعية وأراضي مشجرة فيها الحدائق الغناء ، فكان لهذه السيدة
العارفة بالله ورسوله اعظم الأثر في خدمة الطريق واهله ، وبذل المال في
سبيل الله ، والسعي لانشاء الزوايا ، وقد انجبت لسبخنا رضي الله عنه ،
ولده السيد محي الدين ، الذي توفي في حياة والديه ، وهو في ريعات
الشباب ، وزهرة العمر ، وقد شهد له والده بالفقر والعرفان والتحقيق ،
حيث قال : انه كان اهلاً للوراثة الحمدية ، وهو والد العارفة بالله ورسوله
السيدة انيسة البشريطية ، ويكنى سيدي الوالد بأبي محي الدين ،
لأن اخي الكبير السيد ابراهيم كان في بلاد المغرب ، وقد عرف الناس
والفقراء اخي السيد محي الدين ، قبل ان يعرفوا اخي السيد ابراهيم ،
ومن هنا جاءت التسمية بأبي محي الدين لسيدي الوالد رضي الله عنه .
وبعد هذا الاستقرار الروحي والسكينة والطمأنينة بالله التي انعم الحق

بها على سيدي الوالد رضي الله عنه ، انتشرت الطريقة الشاذلية البشرية
 في - عكا - وحفد - والقدس - ودمشق - وضواحيها ، والبقاع -
 وحلب - وضواحيها ، ودير الزور - وطرابلس - وبيروت -
 وصيدا - وحيفا - وبافا ، وغيرها من البلاد . وسلك المریدون في
 مراتب الكمال اقتداءً بشيخنا رضي الله عنه ، الذي حاز مراتب
 الكمال على التمام ، فما من مرتبة الا حاز اكملها واشرفها ، لقد اخذوا
 من مقام الاسلام كمال التقوى والاستقامة على التمام ، واخذوا من مقام
 الايمان الطمأنينة وكمال الايقان ، واخذوا من مقام الاحسان أعلى مراتب
 الشهود والعرفان .

وقد ارتخ العالم الكبير الشيخ سليم الخطيب البقاعي ، السنة المباركة
 التي تشدّل فيها هو واهل سورية والبقاع ، في بيت من قصيدة
 مطولة نظمها فقال :

أصير اقلام المودة بيننا قد ارتخت احكامنا الذاتية
 (١٢٦٨) هجرية

* * *

وبذلك يقول الشيخ صالح مكيبك في بعض اناشيده :
 شيخنا عين عيون الامم وعلى الله ورد
 جدّ في طاعة باري النسم بكمال ورشد
 فهو في القرب شريف القدم وله الامر انعقد
 اللازمة

يا امام الحِلِّ ثم الحرم مدد الله مدد

★

خيرة الرحمن من بين الأنام شيخنا الكامل علي
 وعلى الافراد غوث وامام وعلى الكل ولي
 ليس في العرب ولا في العجم مثله في الله جدّ

★

يا امام الحل ثم الحرم مدد الله مدد

★

نور دين الله غوث ووفاء في طريق المدني
فعدا للناس كهفأ وكفى بالشريف الحسيني
نقد الحكم بأمر الحكم وله الامر انعقد

★

يا امام الحل ثم الحرم مدد الله مدد

★

نور مشكاة لارباب الشهود وامام الحضرة
راحة الارواح بل روح الوجود ليس تحت الحضرة
مثله ذو البندرب العلم وله المختار جد

★

يا امام الحل ثم الحرم مدد الله مدد

★

مركز العالم عرش الاستوا والمبدار الدائر
وعلى الكل لدى الكل استوى بامتداد فاخر
بدر تم في دياجي الظلم وبه النور اتقد

★

يا امام الحل ثم الحرم مدد الله مدد

* * *

وكان لا بد من إنشاء الزوايا، لاقامة شعائر الدين الحنيف، والاجتماع
على الله والعمل بحكم الآية الكريمة (في بيوت اذن الله أن ترفع
ويذكر فيها اسمه) ، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الخ (١) فكان رضي الله
عنه يخرج من ينسب اليه من ظلمة الغفلة الى نور اليقظة ومن ظلمة الحس
الى نور المعنى ومن ظلمة الكون الى نور المكون ، بالطاعات والعبادات

(١) سورة النور .

والذكر والفكر والشهود في بيوت الله عز وجل .
 وقد أنشئت زاوية ترشيحا ، قبل غيرها من الزوايا التي أنشئت فيما
 بعد ، في عكا ، والقدس الشريف ، وحيفا ، ودمشق ، وبيروت ، ورووس ،
 والآستانة ، وغيرها من البلاد التي تشذّل بعض أهلها ، فكانت زاوية
 ترشيحا ، اول زاوية لنا في هذه البلاد ، وكان سيدي الوالد رضي الله
 عنه يقطنها قبل رجوعه الى عكا وإقامته الدائمة فيها ، وقد تم بناؤها في
 سنة ١٢٧٩ هجرية ، ونظم تاريخها العالم الفاضل الشيخ - عبد الغني النحوي -
 احد علماء الشريعة في - صفد - واحد مريدي والدي المتخلصين ، لقد نظمه في
 ثلاثة ابيات ، نقشت فوق بابها وهي :

يا طالباً نيل الوصال لربنا / بادر لزاوية لها نور جلي
 واقصد رحاب الشرطي متذلاً / تحظى بوصل ماجد ومكمل
 يَمِّمُ علاها وانظرن تاريخها / وهناك تلفي همّة الكامل علي

(١٢٧٩ هجرية)



(٢) في مدة اقامة سيدي الوالد في ترشيحا ، لم تكن الزاوية تسع الوفود الذين يؤمونها لزيارته
 رضي الله عنه ، ولهذا كانت تنصب الخيام وبيوت الشعر في البرية وفوق الهضبات ، وتحت اشجار
 الزيتون ، لكثرة ازدحام الخلائق من طوائف المريدين ، وكان بعض هؤلاء الزائرين يرتدون
 الثياب البيضاء ، ويضمون على رؤوسهم العمام ، ويسبرون جماعات وهم يرددون : الله ، الله مولانا ،
 لا اله الا الله .

انوار

الطريقة الشاذلية اليشرطية

بمناسبة انتشار الطريقة في هذه البلاد، نظم الشيخ عبده الحمصي الدمشقي
هذا النشيد :

لاحت بروق العينين في مشهد الارواح
من عهد ثاني أننين فجرُّ التداني لاحُ
فاخرج عن الكونين واغمم صفاء الراح
تلق بها الضدين في مظهر الافلاح

★

نحن خيار الناس صرنا بها دينا
مذ لاح نور الكاس من يد ساقينا
لا تحتش من باس يا مفرماً فينا
أجسامنا الأكياس عادت لنا ارواح

★

قد أشرقت في الحال شمسي وما غابت
والغير عني زال مذ نظرتي طابت
يا ذا العلي المفضل أجسامنا ذابت
خلص من الأوحال بحسوبك الملتاح

*

وقال في نشيد آخر :

انت وجددي وحياتي يا علي انت سرّ الله ذو الفضل الجلي

★

اشرفت شمس الكمال في الوجود حيرت من نورها اهل الشهود
كلّ من قد ذاق معناها يعود روح قدس بعد ذاك الهيكل

★

يا سحاب الجود يا بحر التدى يا سماء أطلعت شمس الهدى
سيدي من نورك الكون اهتدى نظرة منك فؤادي ينجلي

★

نارت الاكوان طرًا منكم وحديث الخير يروي عنكم
سادتي بالمصطفى أسألكم كشف ضريّ فيه جسمي قد بلي

جزيرة رودس

وعلى كثرة الوفود الزاحفة الى - ترشيحا - زعم المرجفون من
اعداء الله تعالى، ان سيدي الوالد رضي الله عنه أنشأ في جبالها قلعة حصينة
حشد فيها مائة الف مقاتل، يحملون السلاح الكامل قصد العصيان على الدولة
العثمانية، فاهتمت الحكومة بما شاع وذاع أيّ اهتمام، واشتدّ بها القلق
ولم يكن عصيان - عكا - وحصارها السابق بعيداً عن ذلك الزمن،
لذلك قررت ابعاده رضي الله عنه الى جزيرة - رودس - ثم أرسلت
بالخرة من - الآستانة - فيها قائد كبير وضباط وجنود لنقل شيخنا
إلى منفاه، ولتطويق الزاوية خشية قيام ثورة عند إبعاد الشيخ كما
خيّل اليهم .

وقد رست السفينة في مياه - بيروت - لزيادة التكتّم بالأمر، ونزل
الجنود مع الضباط والقائد، ثم ساروا بطريق الجبل دون ان يشعر بهم
احد من أهل بيروت او من اهل هذه البلاد .

وذاث يوم إذا بالجنّد يطوقون زاوية - ترشيحا - وحين لم يجد
القائد شيئاً بما تقوله المرجفون لا قلعة ولا جيشاً تولاّه الأسف، فقد
وجد نفسه امام بيت متواضع للسكنى فيه مكانٌ خصّص لاقامة شعائر
الدين ورأى معظم المرّيدين من الشيوخ الذين، أنعم الله عليهم بالتقوى
والصلاح، المتفانين في حب الله ورسوله «سباهم» في وجوههم من أثر
السجود، فجعل يمشي على استحياء إلى ان أقبل على والذي رضي

(١) سورة الفتح .

الله عنه يُقبِلُ يديه ويعتذر اليه عما وقع من سوء فهمهم ، ويطلب رضاه ودعواته ويستغفر الله ثم يقول : أنا عبد مأمور ليس بيدي شيء ، فقباله سيدي الوالد بلطفه المعهود وتواضعه الجَمِّ ودعا له بكل خير .
ولما ذهبوا به لم يجبروا احداً عن وجهتهم ، ولم يسألهم رضي الله عنه عن المكاتب الذي سيذهبون به اليه ، الأمر الذي اقلق اهله ومريديه .
وسار الراكب الى ان وصل الى مدينة - البصرة - هنالك امر القائد الجند بالتزول ، ثم تقدم وركع بين يدي سيدي الوالد رضي الله عنه يقبل يده ، ويطلب منه ان يأخذ عنه الطريقة الشاذلية ، وبعد ان تم له ما اراده وتشرف بالانتساب اليها ، اقتدى به معظم الضباط والجنود ، فكلوا فيما بعد من المحبين الصادقين . هذا وقد أبعث مع سيدي الوالد رضي الله عنه اثنان من مريديه العلماء هما : الشيخ احمد عبد الرحمن مقدم - ترشيجا - والشيخ سعيد الخالدي دمشقي .

وكان الأمر الذي يحمله القائد الكبير هو ان ينزل والذي رضي الله عنه معزراً مكرماً في منزل مقفي المدينة في عاصمة جزيرة - رودس - .
ثم لحق به رضي الله عنه جماعة من مريديه وهم ليسوا بمبعدين ، لكنهم آثروا ان يكونوا بين يديه ، منهم من كان يذهب الى تلك الجزيرة ليزوره ويطمئن عليه ، ثم يعود الى بلاده ، ومنهم من بقي هناك الى حين عودته . وقد اصبحت - رودس - يومئذ من المراكز الهامة لأبناء طريقتنا الشريفة ، وكان من الذين رحلوا اليها من مريديه رضي الله عنه العلامة الكبير الشيخ حسين الحسيني البغدادي مفتي - دير الزور - والسيد عثمان بليق من اهل مدينة - بيروت - وكان ذهابه الى تلك البلاد نعمة من النعم الالهية على اهلها ، فالاصفياء الاخيار الذين اغتنام الله بعبائهم ، وجعلهم سبب الغنى لكثير من عباده ، فاذا ظهر واحد منهم في عصر او حل في مكان ، انتفع به اهل ذلك العصر عامة واهل ذلك المكان خاصة ، وافاض الله عليهم نعمه بسببه وهم لا يشعرون إلا من اختصه

الله وفتح بصيرته وقلبه ، فعرف صاحب الفضل وانتسب اليه .
وقد فتح الله على كثير من اهل تلك البلاد ، بعد ان اخذوا عنه
وانتسبوا اليه ، وهكذا قضى واحداً وعشرين شهراً في تلك الجزيرة داعياً
الى الله ، دالاً عليه مطاعاً ثم اميناً ، فكان موضع الاجلال والاحترام من
الجميع ؛ فانتشرت بذلك الطريقة الشاذلية البشروطية هناك ، وانشئت لهم
زاوية وعمّ الفضل وكثير المریدون والمنتسبون الى الله . وبأبي الله إلا
ان يتم نوره ولو كره الكافرون . وعين رضي الله عنه احد الشيوخ
المریدين من اهلها مقدماً على الفقراء ليكون نائباً عنه يعطي الطريقة
الشاذلية ، ويكون المتولي على الزاوية يرعى المریدين ، ويقوم بشعائر
الدين الحنيف ويقيم الاذكار ، حسباً تقتضيه اوامر الطريق ضمن حدود
آداب الشريعة الفراء .

وعرفت الحكومة خطأها فاعتذرت اليه ، وعيّنت لزاوية - رودس - مرتباً
شهرياً : عشرة دنانير ذهبية ، تُتفق عليها ، ثم عرضت عليه ان يكون
شيخ السلطان في القسطنطينية ، فأبى رضي الله عنه ، واختار العودة الى
حيث كان في - ترشيجا - .

هنالك اشتطت عليه الحكومة ألا يجعل إقامته الدائمة في جبال
ترشيجا ، وما عدا ذلك فله الخيار وهو مطلق الحرية في ان يعيش في
أي مكان يريد ، وان يسافر حرّاً ، ولا مانع من ان يقضي اشهر
الصيف ، في ترشيجا ، ما دام الهواء والمناخ يُفيدان صحته . وعندما
اعتزم العودة اليها اجتمع المریدون من اهل تلك الجزيرة وقرروا ان
يصحبه جماعة منهم ، وأن يقضوا اياماً في رحابه الشريف ، ثم يؤوبون
الى بلادهم ، فرحلوا تحت رعايته . ويوم ان رجعوا الى رودس بقي منهم
العالم الفاضل الشيخ محمد الرثودسلي ، متجرّداً في زاويتنا الى ان
توفاه الله ، وكان رجوع سيدي الوالد من منفاه في عام
١٢٨٥ هجرية .

وبعد عودته الى ترشيحا ، واستقبال المهتئين له ، من الاخوان والاحباب والاصحاب ، قرر ان تكون إقامته الدائمة في عكا ، فرحب به مريدوه من اهل تلك المدينة ، وكانت عودته اليها عيداً سعيداً لأولئك الأبناء البررة التلخيين ، وبركة عامة ، ونعمة شاملة لأهلها ، وقد ذكرها الكثيرون من إخواننا في اناشيدهم وأشعارهم ، وكان يحج اليها المريدون من سائر الأقطار الاسلامية .

هل فاقد الشَّمِّ يدري نشر ريجاني
يا حادي الركب إن جئت الحمى سحرآ
واستفتح القول في ذكرى لهم كرمآ
هناك تلقى نجوم الدين وارده
علي قدر له في عصرنا مدد
فأطلع به كل ما اوليت من نعم
يا طائر ألبان هل لي منك لي خبر
كانت منازلهم للسجن محدثة (٢)
بمشهد أحب بالسابق لنا قسماً
يا عاذلي بالذي أهواه دع عذلي
لكنت في صحبتي لما صبوت لدى
من عهد قالوا بلى قد كنت اعرفهم
يراهم ناظري في كل لائحة

أم الأصم غدا يشدو بألحاني (١)
حي الحمى إنني في جهم فاني
لعل ان يرحموا نوحى وأحزاني
هلالهم ما له في عصرنا ثاني
بأدر إليه تراه للعلى داني
تلقى نعيماً حلاه سرمدآ داني
عن آل ذلك الحمى يا طائر البان
فأحدثوها فصارت دار رضوان
يا آل ذلك الحمى رفقا بولهان
أواه يا عاذلي لو ذقت أشجاني
دار العلى ومنادي ألقرب ناداني
ونسأني فيهم من قبل عرفاني
وإن سألت فؤادي قال سكاني

وبعد عودته الى هذه البلاد رضي الله عنه ، ذهب الى دمشق بدعوة من الامير عبد القادر الحسيني الجزائري المغربي ، ونزل ضيفاً على ذلك الامير الكريم ، وفي دمشق اجتمع بالكثير من علماءها واهلها ، وكانت

(١) نظم احد مريدي سيدي الوالد ، بعد عودته الى عكا .

(٢) يعني مدينة عكا حيث كان يرسل اليها المبعدون السياسيون ، وكيف اصبحت جنة بعد

وجود والدي فيها .

اختي السيدة عائشة زوجة للأمير مصطفى الحسيني شقيق الامير عبد القادر
المار الذكر .

والامير عبد القادر ، معروف مشهور لا يحتاج الى تعريف ، فهو
مجاهد كبير ومن اكبر علماء الشرع الشريف ، والتصوف ، وله كتاب
نفيس بعلم التصوف سماه - المواقف - ، تحدث فيه عن سلوكه في مقام
التحقيق والمشاهدة ، ويعود له الفضل بتصحيح كتاب - الفتوحات المكتبة -
تأليف الشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن عربي قدس الله سره ، فقد
ارسل الامير عبد القادر جماعة من دمشق الى مدينة (قونية) ،
لتصحيح الكتاب عن نسخة موجودة فيها ، ثم طبعه على نفقته الخاصة بعد
تنقيته من الكلام المدسوس على المؤلف ، وكان الامير عبد القادر محباً
لسيدي محيي الدين بن عربي ، يحترمه ويعتقده ، وتقرأ في بيته مصنفاته ،
وقد أوصى ان يدفن بعد وفاته في مقام الشيخ الأكبر ، فكان ذلك .

لطفة

كان السيد مصطفى السباعي رحمه الله من وجهاء - دمشق - وكان
خطاطاً شهيراً (هاوياً) ومفكراً شغوفاً بالبحث عن الحقيقة حتى انه
اعتنق المذهب الشيعي مدة لزيادة الاطلاع ، ثم رجع الى مذهب اهل
السنّة ، كما انه دخل في معظم الجمعيات ، منها الجمعية الماسونية التي تدرج
في مناصبها حتى نال أعلى الدرجات فيها . لكنه ظل يبحث عن الحقيقة
الى ان تشدّل وانتسب الى سيدي الوالد ، وثبت على العهد ، وكان من
اكابر إخواننا العارفين بالله ورسوله .

وقد تحدثت رحمه الله عن كيفية أخذه الطريق ، فقال : سمعت ان
شيخاً يدعى الشيخ - محي الدين الاسكندراني - يجلس كل يوم في
الجامع الأموي يتكلم في علم التصوف ، فأحسست ان بي نزوعاً شديداً

(١) مدينة في بلاد الاتراك .

لرؤياه ، فقصدته وسمعت حديثه وأعجبت به ، ثم دعوته الى بيتي . وبعد يومين طلبت منه ان آخذ الطريقة الشاذلية عنه ، واذا به يغمض عينيه ، ويصاب بشبه غيبوبة حتى خشيت ان يكون قضى نحبه ، ثم اذا به يفتح عينيه ويقول : لقد استخرت الله عز وجل في طلبك اخذ الطريق ، واستأذنت شيخني ، فعلت انك ستأخذها منه مباشرة ، عندما يأتي الى - دمشق - ، وستلقاه في منزل احد الكبراء في قاعة كبيرة لها ثلاث - عتبات - ، ويرحب بك باسمك قبل ان تقدم نفسك اليه ، ثم يقول لأحد اتباعه ، قدم الى السيد - مصطفى السباعي - (فنجاناً) من القهوة . وبعد اعوام قابلت شيخنا رضي الله عنه صدفة في منزل الأمير عبد القادر الحسيني الجزائري ، في القاعة الكبيرة ذات الثلاث - عتبات - وكان ما قاله لي الشيخ محي الدين الاسكندراني . وكان يومئذ اخونا الشيخ مصطفى ابو ريشة يستقبل الزائرين ويقدم لهم القهوة ، وعندها تقدمت الى حضرة شيخنا رضي الله عنه وجلست بين يديه ، وأخذت عنه ، وسلكت في طريقه ، وكنت وما ازال من ابناؤه واتباعه البررة المخلصين .

وكما زار رضي الله عنه - دمشق - زار - بيت المقدس - مرات عديدة ، وفيها كان محلّ ضيفاً على الشيخ - محمد علي النقيب - الحسيني نقيب الأشراف ، او ينزل في دار الشيخ - حامد البديري - وكلاهما من مريديه المخلصين ، ثم يرجع الى عكا . وفي القدس الشريف اجتمع بكثير من العلماء والوجهاء ، وقد اخذ عنه بعضهم وكانت زيارته الأولى لمدينة القدس ، في سنة ١٢٦٦ على اثر وصوله الى عكا ، وقبل صعوده الى ترشيحا .

★

يا نور فجر الارشاد يا رحمة للعبياد

(١) لحسن الحكيم الحلي .

ما ثمّ إلاّ لك هادي بالقول والافعال
لازمة

شرفت كل البلاد يا معدن الكمال
*

يا حسني يا حسيني يا روهي وضيا عيني
انت الامين بلا ميين وسيّد الرجال
*

قدرك عظيم لا يدرك والجزء لكن لا يتوك
وفي هواك ما اشرك قلبي ولست يسال
*

الكل قالوا مرحبا والكون صاح طربا
والوهم ولّى هربا وكل كرب زال
*

في البدء ثمّ المنتهى صلّوا على سرّ النهي
القائل أنا لها في سائر الاهوال

* * *

وكذلك زار رضي الله عنه - صفد - اكثر من مرة لقرهبا من
- ترشيحا - وعكا - زارها مليبأدعوة اخواننا من اهلها ، ذلك لأن
معظم اهل تلك المدينة كانوا من السابقين الاولين ، حين تشرفوا بأخذ
طريقتنا ، وكانوا يقدمسون الولاية في ذات شيخنا الكريمة . فنزل في اول زيارة
لها في منزل مريده العالم الفاضل الشريف الحسني ، الحاج احمد الحاج عيسى -
الذي كان مقدماً على الفقراء في - صفد - . واما في زيارته الاخيرة
فقد نزل في بيت الوجيه الكبير السيد - عبد الله الحضرا - وقد تجلّى

مبلغ اخلاص الصفيين لأهل الله في تلك الاحتفالات العظيمة الرائعة المنقطعة النظير التي كانوا يقيمونها ، ولم تشهد البلاد لها مثيلاً في سائر الاقطار العربية ، في ذلك العصر ، إذ لم تقتصر تلك الاحتفالات على اهل - صفد - والجبل والساحل ، بل كانت يزحف اليها الشاذليون وانصارهم من سورية الشمالية والجنوبية وغيرها من الاقطار التي تشدّل بعض اهلها ، حتى غدت تلك الاحتفالات مضرب الامثال ، وما زال يتحدث عنها الناس الى يومنا هذا .

وقد زار رضي الله عنه بيروت ، وصيدا ، وغيرها من المدن . وكان يعود الى عكا ، بعد كل زيارة من تلك الزيارات .



تشرّفت بعلي الله يمينها
لم يبق ذنب عليه لا ولا اوزار
مستغرقاً دائماً بل هائماً فيها
أنا الفقير الحقير المنتهي الواصل
ما كل من يدعي دعوى يوفيهما
يدعو الى وحدة الانسان في الاكوان
لم يخف شيء عليه من معانيها
والزومه ظللاً له واحفظه بل كنهه
حققتها نسبة سبحان مبدئها
بجبه وأسترحنا بعد ما متنا
ما ذاقها قط من لم يعتن فيها

عكّا المنى ، عكّا المنى كل الهنا فيها
يا كعبة كل من قد حجّها أو زار
والقصد ان يشهد الأسرار والانوار
كلّ يقول أنا ابن المرشد الكامل
هذا ادعاء فأين الشاهد العادل
نحن اجتمعنا على أمر عظيم الشان
من صحّ توحيدده في هذه الاعيان
أعضد أخاك وإياك الجفا عنه
هناك إن صح هذا منك أو منه
نحن بنو البشرطي ارواحنا بعنا
نعم الوفاة التي من بعدها عشنا



(١) لتوفيق عزيز من صفد .

الحمي الساذلي

رجوع سبيري الوالد الى عطا

اعود الى سياق الحديث فأقول : نزل شيخنا رضي الله عنه - عكا - بعد رجوعه من جزيرة - رودس - وجعل اقامته الدائمة فيها فكانت الحياة الروحية الصوفية فيها اتمّ واعم ، بعد ان تشدّل خلق كثير من العرب والأتراك ، وبعد ان تشدّل السلطان عبد الحميد الخليفة العثماني ، على يد سيدي الشيخ ظافر نجل شيخ والدي رضي عنه ، الذي كان مقيماً في - القسطنطينية - ثم تعرف السلطان عبد الحميد الى والدي رضي الله عنه بواسطة مريده - باشكاتب المابين الهمايوني - علي رضا باشا ممتاز .

كان السلطان عبد الحميد العثماني ، خليفة المسلمين بعد خلع سلفه وتوليته الملك ، يخشى كبار الموظفين ، فعمل على استبدالهم بغيرهم وعين - علي رضا باشا ممتاز - (باشكاتب المابين الهمايوني) وانعم عليه برتبة - الباشوية - ، وبعد ايام ، ولأول مرة القى عليه حديثاً شفوياً ، وامره بكتابته ، ولهيبة الملك كان - علي رضا باشا - في حالة اندهاش انسته بعض نقاط الحديث ، ففضى تلك الليلة قلقاً ، وجعل يبتهل الى الله تعالى ويستنجد ويستجير بصاحب الوقت ان ينجده مما هو فيه ، وعندها سمع صوتاً يأمره بكتابة ما قاله السلطان ، ثم املى عليه الحديث فكتبه - علي رضا باشا - ووجد فيه جملة زائدة لم يقلها السلطان املاها عليه الهاتف ، فكتبها ايضاً ووجد نفسه يسأل الهاتف الذي املى عليه قائلاً : من انت يا سيدي ؟ قال : انا صاحب الوقت الذي استجرت به . قال ما اسمك ؟ قال : الشيخ علي نور الدين الشرطي الحسيني الساذلي الموجود

في عكا . قال علي رضا باشا : اجزني يا سيدي بتلاوة أوراد الطريقة الشاذلية ، فأجازه الهاتف بها ودلته عليها ، وفي الصباح حمل - علي رضا باشا - الاوراق الى القصر - وقدمها الى السلطان ، فأعجب بها الملك ايما اعجاب ، وخاصة بالجملة التي لم يقلها ، وسأله كيف تسنى له ان يكتبها ! فقص عليه ما سمعه في الليل . فدهش الملك وقال له : اجزني بما اجازك به الشيخ ^١ .

وفي ذلك الوقت كان شيخنا رضي الله عنه في - عكا - يأمر مريده الشيخ محمود (ابو الشامات دمشقي) بالسفر الى الآستانة ، لعمل مختص بالزاوية ، وفي الليلة التي سبقت يوم وصوله رأى - علي رضا باشا - شيخنا في منامه يقول له : لقد ارسلنا اليك ولدنا الشيخ - محمود - وهو مسافر في الباخرة الفلانية ، وسيصل غداً ، فيجب عليك ان تخف لاستقباله وتنزله في بيتك ، وهكذا كان . وبوجود الشيخ - محمود ابى الشامات - في منزل - علي رضا باشا - دخل في الطريق جماعات من الوزراء والأعيان والولاة والحكام ، وغيرهم من إخواننا الأتراك الذين تشدّلوا وانتسبوا الى سيدي الوالد رضي الله عنه . وقد كان الشيخ - محمود - من المحسوبين على شيخنا رضي الله عنه منذ ان كان طفلاً صغيراً . وبعد ان سلك في الطريق ، وفتح الله عليه أجازه سيدي الوالد بإعطاء الطريقة وتربية المريدين . وبعد هذه الزيارة الى الآستانة ، تعرف الى السلطان - عبد الحميد - بواسطة - علي رضا باشا - ، وكان يذهب الى زيارة إخواننا هناك ، فيقيم عندهم أياماً ، ثم يعود الى بلاد .

(١) ليس هذا يستبعد عن اهل الله تعالى ، فقد وقع مثله لسارية عندما ناداه امير المؤمنين عمر ابن الخطاب عن مسيرة ثمانية ايام ببلالها ، وذلك وقت الظهيرة وقد سمع سارية النداء وعمل به . وهذا من فيض فضل ذلك الارث الروحي ، الموروث عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . اخرج هذا ابن الاعرابي في كرامات الاولياء ، والبيهقي في الدلائل ، واللالكائي في شرح السنة ، والديرعاقولي في فوائده ، باسناد حسن عن ابن عمر ، وصححه ابن تيمية وذكره السيوطي .

وكان - علي رضا باشا - من اكبر إخواننا العارفين المحققين الواصلين
الذين ساروا في طريق الله ، وهو الذي اهـدى الى إخواننا زاوية
- البلطجية - في - دمشق - لاقامة شعائر الدين الحنيف ، وإقامة
الأذكار وتلاوة الأوراد والاجتماع على الله .

ومن أظرف ما يُروى ، ان إحدى بناته اعترأها مرض شديد فأخطر
والدها الأطباء ، انها مصابة بمرض (السل) ، فكتب الى شيخنا رضي
الله عنه يطلب منه الدعاء لها بالشفاء ، فوصف لها والذي رضي الله عنه
ان تأكل الزبدة ، فأكلتها ونالت الشفاء . فنظم - علي رضا
باشا - هذه الأبيات ، رغم انه تركي لا يعرف إلا القليل من اللغة
العربية . قال :

بزُبدة نور الدين طابت صدورنا	فطَبينا وغيَبنا وأنتفت ظلمة الشكِّ
ودرنا على اعتابه دورة الصفا	فطَرنا بذاك الجنج في عالم الملك
وسرنا ببحر الذات سيرة واصل	الى الحضرة الزُّلفى بأعلى من الفلك
فأنعم بذاك الشرطي الذي علا	مقاماً سما عن فهم مثلي وعن درك
لقد كنت تركياً فلما عرفته	تعربت الألفاظ لي وأنا تركي

مقال

من رسائل علي رضا باسا

الى شيخه سيدي الوالد رضي الله عنه



سيدي ومولاي

من أخس العبيد ، المعترف بالتقصير في أداء محامد إلفافه تعالى ،
وشكر الآله ، إلى أعتاب أخصّ أوليائه ، ذكاه مشارق أنوار الهدى
وكنز الندى ، مظهر أتمّ الاسرار النبوية ، ومفتاح باب مدينة العلوم
المرتضوية ، النائب المحمدي ، والوارث الحقيقي الاحمدي ، منبع أنهر
العوارف ، ومعدن أفاخر المعارف ، النور الساطع من التيرين ، أعني
صنو سيدنا الحسن والحسين ، سيدي ومولاي علي نور الدين تقّعنا الله
به آمين .

قد تشرفت بكتابكم الكريم ، الحاوي أنواع المكارم والتعطفات التي
لسان البيان عن إيفاء تشكراتنا قاصر جداً ، ولا سيما البشارة والاشارة
الصادرة من حضرتكم ، أغرقتني في لبح المباحج التي لا يمكن حق أدائها
ابداً ، فانتظر الموعود متوكلاً على الله الكريم الودود ، وإن كنت
غير مستحق بهذا اللطف والكرم ، فلا أنقطع املي ابدآ من اهتمامكم
الأعمّ ، وتوجهاتكم الجليلة التي ترفعني من خصائص الزلات والمذلات ،

إلى الدرجات العاليات ، وعواطفكم تحفظني من كل المسكاره والمنكرات ،
فبتقابل عناياتكم تضمحل المساوىء ، وبإحسان انظاركم تتبدل السيئات
بالحسنات . وإن حضرتكم تعاملون على الدوام عبدكم بما يليق بكرمكم
ولم تعاملوني ابدآ بما استحقه ، لأن الصادر مني الأخطاء ، ومنكم العطاء ،
ومني المظالم ، ومنكم المكارم ، ومني الردى ، ومنكم الهدى والندى ،
ومني زينغ الأَبصار ، ومنكم غض الأنظار ، ومني خلع العِذار ، ومنكم
إرجاعي إلى مرضاة العزيز الغفار ؛ ومني الاستغال بما لا يعني ، ومنكم
السحب بسلاسل التصريف إلى حضرة الغني ، ومني ما يوجب الملامة ،
ومنكم اللطف والكرامة ، وبضاعتي شدة الافتقار ، ومن خزائن جودكم
واحسانكم الايثار ، ومني الداء ، ومنكم الدواء ، ومني العري ، ومنكم
الاكساء ، ومني الاستغاثة والاستمداد ، ومنكم الامداد والرشاد ، ومني
الانخماد ، ومنكم الايقاد ، ومني التكشف ، ومنكم التلطّف ؛
ولعمرك لا يقدر احد إيدائي ، ما دمت في حماك ، ولا احرم من
رجائي ابدآ بشمول انظارك ، ونيل رضاك .

ويا سيدي وسندي وملاذي ، ها انا عبدك لا التجيء إلا الى بابك ،
فمن يلوذ به لا يجيب ، وانت لمن يقصدك قريب ، ولمن يناديك مجيب .
وانا السائل وانت الكريم ، ولن تطرد السائل فتغنيه من برك العميم .
انا احوج الى عطفك من سائر الاخوان وعليك الاعتماد والاتكال .
والأمر لولي الاحسان .

حرر في ٧ صفر الحير عام ١٣٠٢ - للهجرة
العبد المتخصص
علي رضا ممتاز

ومن رسالة له ايضاً

اما بعد ، فالحمد لمن لا يستحق الحمد إلا هو ، والشكر لمن هدانا الى
سبيل الرشاد ، ولا هادي إلا هو ، واكمل التحيات واتم التسليمات ،

على من انكشفت الحقائق من حقيقته الذاتية ، وظهرت التعيينات بأسرها من جواهر صفاته الاصلية ، ورضوان الله وسلامه على من خصهم الله بحبته ، ولاحظهم بعنايته ، خصوصاً عن سمي باب مدينة العلم وصنوه وسره ، ونور الدين والدنيا ، والوارث الحقيقي الذي اغنى من التجأ الى لطفه وبره ، فجمع المحاسن الباطنة والظاهرة ، وثمره الشجرة الطاهرة ، من تفكته منها لا يجوع ولا يظمأ ، ومن تصفى بزالال افضاله لا يحما . من ذاق من سره لا تسره السراء ولا تضره الضراء ، ولا يميل كل الميل الى آلاء الدنيا والعقبى ، وان النعم والتقم عنده سواء ، وإنما مقصوده الرضا .

فيا سيدي ومولاي ، كما لا يخفى عليكم أني على سر السرور متكىء ، ومتصدر ، ومن إرادته ومشيئته تعالى في مبتهج ومتفاخر ، إذ فعل الجليل جميل ، ولسان الحال والقال ، عن اداء الشكر كليل . ونعتقد بالجزم الواثق ان حضرتكم على بسط البسط والسكينة والراحة ، من هذا التنقل والارتحال ، من حال الى حال ، فنتيجته أخير وأولى وأجمل وأحلى ، فكيف نعد نعمة الله ونحسبها ، ثم نعرض لمعالي اعتباركم انه قد أخذنا كتاباً من اخينا الشريف سيدي محمود ابي الشامات ، وفيه عبارات واشارات ، نبيء كلها عن تحف توجهاتكم ونفائس عناياتكم وإشاراتكم ، ولا نفضها لاحاطة علمكم الشامل ، على كل الأحوال والمسائل . ونعرض ان المتعلقة كلها بخير وعافية ، يقبلون اقدامكم ، ويرجون خير الدعوات من حضرتكم ، في كل الأحيان والأوقات ، فمطلوب رضاكم ، رضاكم ، ولا له حمى إلا حماكم .

حرر في ١٩ محرم الحرام عام ١٣٠٣ للهجرة

بحسب بابكم
علي رضا ممتاز

ومن كتاب له

الى اخينا الشيخ محمود ابي الشامات

اما بعد ، فقد صار حضرة سعادتلو الحاج عزة افندي متصرف مركز الشام ، ولقنناه طريقتنا نيابةً عن سيدنا المهام ، ووصيناه بان يوفق حركانه وسكناته برضائه الشريف ، ولا ينحرف عن طريقه المنيف ، ويجتهد غاية الجهد بتعيين محل مناسب في الشام ، لذكر الله الملك العلام ، ويسعى على حماية الفقراء ويفتنم منهم الدعاء ، ويجري الأمور المفوضة على ما تقتضي المصلحة والحكمة ، ويلزم الاستقامة ، وإن أراد الخير فله الخير ، وإلا فعليه الضير ، كما قال تعالى : (إن احسنتم احسنتم لأفئسكم) - الآية - ويستميل من كان أشد ، ويستجلب المحبة بمن علينا ألد ، فالإشارة كافية والعبارة وافية . اقبل اقدام سيدنا نفعنا الله به وأرضاه ، وبوفقنا برضاه ، ويجعلنا دائماً تحت انظاره متمتعين من اثار اسراره . ونستدعي من همتمكم تبليغ سلامنا الى الاخوان المستظلمين تحت ظلال العطف والاحسان .

الفقير

جمادى الآخرة عام ١٣٠٠ للهجرة

علي رضا بمتاز

✱

وقد تشذلت - نسيم باشا - مدير الخاصة الملكية - وتوفيق بك - سر خزنة السلطان ، وغيرهم كثيرون من الوزراء والولاة ، منهم - رشيد باشا - ، زيور باشا - ، عثمان باشا - ، صبحي باشا - والي ازمير شقيق - علي رضا باشا - ، حاجي افندي باشا - وكان مقدماً على الفقراء هناك ، والشيخ - امين - والشيخ - حافظ عثمان الموصلين - المقرئ الشهير المعروف - والحاج عزت الشايحي - .

(١) حضرة سيدي الوالد رضي الله عنه .

وفي كل عام كان يأتي الى - عكا - لزيارة شيخنا جماعات من اولئك الكبراء والعظماء ، فيسكنون اياماً يتبركون بها بحضرة رضي الله عنه ، ثم يعودون الى بلادهم . وبعد نزول سيدي الوالد الى - عكا - وإقامته الدائمة فيها ، انشئت الزاوية القديمة التي كان يسكنها ، وهي عبارة عن بيت كبير خصص منه قسم لاقامة الصلوات الخمس ، وإقامة الاذكار . ثم انشئت زاويتنا المعروفة الآن التي تقع في حاوة (المجادلة) وفيها التكية . وكانت قبلاً - سرايا لعبد الله باشا - اي من ممتلكات الدولة ، ثم باعتهما الحكومة الى سيدي الوالد رضي الله عنه ، فلما تم بناؤها انتقل والدي اليها ، وعاش فيها بقية ايام حياته ، ثم دفن فيها . وضحى الشريف يزار هناك . وبعد بناء هذه الزاوية كان بناء زاوية - دمشق - وزاوية - بيروت - وغيرها من الزوايا ، التي أنشئت في هذه البلاد على حياة سيدي الوالد رضي الله عنه . ونظراً لتقدم شيخنا في السن بعد رجوعه من - رودس - وزيارته - دمشق - ، لم يكن ليذهب الى ابعد من - حيفا - او ترشيحا - او صفد - او قرية الكابري ، وهي قريبة جداً . وقد أنشئت في - حيفا - زاوية كبيرة تسع الكثير من الوفود .

وكان من عادتنا ان نصدق الى - ترشيحا - لتمضية فصل الصيف ، فتجتمع الجماهير من قرى الجبل لاستقبالنا ، ويحتشد الناس من القرى في الطرق التي كنا نمر عليها لتحياتنا . وكان شيخنا رضي الله عنه يحاول عبثاً اقناع اولئك الناس بالعدول عن ذلك ضناً براحتهم وزهداً منه بتلك المظاهر .

وإني لأذكر وأنا طفلة ، اننا صعدنا في مطلع الصيف الى - ترشيحا - لتمضية اشهر فيها حسب عادتنا ، ورغم ان سيدي الوالد رضي الله عنه لم يخبر احداً عن موعد انتقالنا زهداً بتلك الاحتفالات ، فما كدنا نبلغ اول الطريق ونحن نجد السير على ظهور الجياد ، حتى بلغ اهل الجبل خبر

قدومنا ، فخرجوا لملاقاتنا رجالاً ونساءً ، شيوخاً وأطفالاً ، بالتهليل والتكبير ، والأناشيد والزغاريد . وقبل وصولهم إلينا علم رضي الله عنه بالأمر ، فأوقف الركب واختار العودة ، حيث كان لترشيحنا طريق ضيق بين جبلين كثير المنحدرات صعب المسالك يسمى طريق الزقاق ، اختار المسير فيه رضي الله عنه رغم شيخوخته وتقدمه في السن ، وهكذا وصلنا - ترشيحاً - ونزلنا في بيتنا ، دون ان نصادف أحداً من أولئك المهيبين للاحتفال بقدومنا ، إذ كان رضي الله عنه أبعد الخلق عن المظاهر الخارجية .

على ان أولئك المحتفلين وردوا جميعاً على زاوية - ترشيحاً - لتأدية التحية والسلام .



التقافة الروحية

في الحمى الشاذلي في - عكا -

الا يا مظهر الاسرار ومجلى الذات والانوار
تعطف يا عليّ الشان وخلصنا من الأغيار
فقلبي نار ودمعي جار
وفكري حار بنور يدهش الأبصار

★

شهدنا الذات في مرآك وإن جلّت عن الادراك
ولم تنظر بها إذ ذاك سوى باهي سنا معنك
ففي الافلاك والأملك
لباهي علاك عيون بالشهود تراك

★

شربنا من يدبك الراح فأفئدنا بها الاشباح
ومذ قامت بنا الأفراح تمحّضنا لها أرواح
فقم يا صاح إلى الأقداح
فمنها فاح شذى فيه النهى تراح

★

شذى منه بدا العرفان لاهل الذكر والتبيان
ولمّا أشرق البرهان رأوا ما لا يرى لإنسان
ففي الاذهان مدى الأزمان
من الاشجان غرام لم يصفه لسان

★

(١) نظم العلامة الشيخ احمد عباس الازهري البيروني

يحب الشرطي الأبوابُ حديثُ قديمنا قد طابُ
وعتاً كل شيءٍ غابُ سوى ما كان في الاكوابُ
ففي الاعتابُ ترى الاجبابُ
أولي الابواب وكلُّ قلبه قد ذاب

★

صلاةٌ منك يا غفَّارُ على مجلِّك ذي الانوار
مُفيض الجود والاسرار كذلك صحبه الاخيار
هُمُ الابرارُ والاطهارُ
والانصار لدين السيد المختار

* * *

الثقافة الروحية

الزاوية ؛ ... هي مكانٌ لاقامة شعائر الدين الحنيف بالصلاة والصوم
والتهجد ، والتأمل ، والذكر ، والفكر ، والاستغراق ، وتلاوة
الأوراد ، وإقامة حلق الذكر ، والانقطاع الى الله سبحانه عما سواه ،
وطلب المعرفة والتحقيق ، والشهود-والوصول الى الله عز وجل ، والفناء
في حب الله ورسوله .

وتسمى رُبطاً ، وخانقاه ، وتكية ، وغير ذلك من الاسماء المعروفة
ثم هي تنقسم الى اقسام :

(١) التكية ، وهي الحرم الكبير ، الذي تُشاد فوقه قبة عالية ،
وتقام فيه الصلوات الخمس والاذكار ، ويُعيَّن له المؤذنون ، والقراء ،
والمدرسون ، والمقدِّمون والمنشدون .

(٢) وفي الزاوية محلات كثيرة لاقامة الزائرين ، اثناء زيارتهم ،
وغيرها ولاقامة الفقراء المتجردين ، وبيوت صغيرة ، تسكنها عائلاتُ

المتجردين ، وفيها قسمٌ خاص للعجزة والمرضى ، والشيوخ من هؤلاء المتجردين ، ومن المساكين من اتباع الطريق ، ويخص قسمٌ منه للنساء .

(٣) وفيها البيت الذي يسكنه الشيخ ، واهل بيته واولاده .
وتكون عظمة الزاوية ليست بفخامة بناؤها ومظهرها ، وإنما على قدر رفعة شيخها ، ومقامه في المراتب الالهية ؛ وحسباً افاض عليه الله عز وجل من الأسرار والأنوار ، والعلوم والفهوم ، والتربية الصحيحة ، والأدب المحمدي الكامل ، فكمال الكاملين ، مرآة الكمال المحمدي ، والكمال المحمدي مرآة الكمال الالهي . فإن نالت تلك الزاوية شرف الانتساب ، الى صاحب الوقت الذي هو واحدٌ في كل زمان ، والذي هو موضع نظر الحق من الخلق ، فهي إذاً مسجد لاقامة شعائر الدين الحنيف وإحياء سنة رسول الله ﷺ ، ومعهد لطلب العلم في الشريعة والحقيقة ، وربطٌ للتهجد والتأمل والاستغراق ، بشهود عظمة الله تعالى ، وزاوية لسلك المريدين .

هكذا كانت زاويتنا على عهد سيدي الوالد رضي الله عنه ، فقد كان جو الحياة الثقافية الروحية فيها معطراً بالعبادة والاذكار والأسرار والأنوار ، ونفحات النسمات القدسية في الثقافة الاسلامية الرفيعة ، في علمي الظاهر والباطن ؛ يجالس الذكر ، والعلم والأدب ، والفكر والسمع ، في عالم الوجود الصوفي ، ذلك لأن هذه الثقافة ، وإن تعددت وانما فيها ثقافة روحية اسلامية ، تجمعها العبادة وذكر الله في كل حال من الاحوال .

لقد كانت حلق التدريس تعقد في زاويتنا فتقرأ دروس الفقه والحديث والتفسير والتصوف ، ، وغير ذلك من علوم الشريعة والحقيقة مساء كل يوم . وكانت الزاوية آنذاك اشبه بمعهد علمي تقصده طوائف الخلق لا

(١) هذا ما اثبتته السادة الصوفية في امهات كتب التصوف .

للسلوك وطلب المعرفة والتحقيق فحسب ، بل للاستفادة من ذلك ينبوع الاقدس ، كل حسب اراد واحتاج اليه من الثقافة الاسلامية والتهديب الروحي . وكانت مجالس شيخنا رضي الله عنه تجمع اهل الظاهر والباطن من علماء وعوام ويحضرها الغني والفقير ، وقد لا يجد المرء محلاً يجلس فيه في ذلك الحرم الكبير من كثرة ازدحام المستمعين .

وكان لشيخنا رضي الله عنه مجالس خاصة لا يحضرها إلا اكابر علماء الشريعة ، واكابر من علماء الحقيقة ، ولم تكن تلك المجالس مقتصرة على ابناء طريقنا فحسب ، بل كان يحضرها كثير من العلماء الذين لم ينتسبوا الى طريقنا وشيخنا .

وكان يفيد على زاويتنا علماء من المدن القريبة والاقطار البعيدة والمجاورة ، منهم المنتسبون الى سيدي الوالد رضي الله عنه ، الذين يؤموت الزاوية لزيارته . وفريق آخر كان يدفعهم الميل لرؤيته رضي الله عنه ومعرفة مقدرته العلمية ، وهل هو من رجال الله حقاً ؟

وكان في عكا رهط من اكابر علماء الشريعة من اهلها بمن تلقوا علومهم في الازهر الشريف ؛ منهم المفتي (مفتي عكا ولوائها) ونقيب الاشراف وعلماء آخرون هم علماء الجيش ، خرجوا معاهد العلم في الاستانة ؛ ومعظم هؤلاء من الاتراك ، منهم مفتي الجيش ، وقاضي الشرع . وكان لبعض العلماء من اهل المدينة وظائف يشغلونها في إلقاء دروس الفقه والحديث والتفسير وغيرها من علوم الدين في جامع - الجزائر - ، كما اختص فريق آخر بتدريس العلوم الشرعية في الكلية الاحمدية ؛ ولضيق مساحة عكا بسبب حضرها في نطاق السور والخندق ، ولعدم سماح الحكومة التركية للاهلين يومئذ ان يبنا بيوتهم خارج السور ، حيث السهول الفيحاء والمروج المتوازية الاطراف ، وشاطيء البحر الجميل ، اضطر اهل هذه المدينة ان يقيموا مساكنهم طبقات بعضها فوق بعض . اما المنازل الكبيرة الفسيحة فكانت مأهولة بأصحابها من الاسر القديمة العريقة ،

والعائلات الكريمة الارستوقراطية ، وبعض هذه المنازل كان يسكنها الكبراء والامراء والحكام ، ولهذا كله اتخذ اولئك العلماء لهم مركزاً في جامع الجزائر يجتمعون فيه مساء كل يوم ، إذ لا يوجد مكان آخر افضل منه ؛ فهناك مياه كثيرة ، وحديقة جميلة ، وأشجار واسعة ، وظل ظليل ، وهواء عليل ، ومكتبة عامة تحوى كتباً قيّمة ، وقاعة فسيحة معدة للجلوس ، مؤنثة تأييداً يليق بهؤلاء الكبار الاعلام . ولما أراد الله سبحانه وتعالى لحضرة سيدي الوالد رضي الله عنه ان يهبط عكا ، ويجعل إقامته الدائمة فيها ، تلقى معظم اولئك العلماء الطريقة الشاذلية عنه رضي الله عنه ، فمنهم من تلقاها عنه في اول مرة دخل فيها عكا . وفريق آخر اخذ عنه بعد نزوله من ترشينا ؛ وبعد انتساب هؤلاء العلماء اليه كان لا بد لهم من ان يكون مركز اجتماعهم في زاويتنا بين يدي شيخهم رضي الله عنه .^١ اما العلماء الذين لم يتشدلوا ، فقد نشأت بينهم وبين سيدي الوالد مودة وصحبة ، فكانوا يحضرون مجالسه الخاصة والعامة ، وهكذا انتقلت تلك الحركة العلمية الثقافية من مسجد احمد باشا الجزائر ، الى زاويتنا ؛ وغدا مركز اجتماع العلماء فيها .

لقد كانوا يذهبون الى جامع الجزائر لتأدية الواجب المفروض عليهم حسباً تقتضيه وظائفهم واعمالهم ، ومن ثم يهرعون الى زاويتنا للاجتماع بشيخنا رضي الله عنه وسماع احاديثه ومذاكراته^٢ في مجالسه الروحية . لقد شاهدوا من علومه ومعارفه وشمائله ولطفه وتواضعه ما قادم بكتابتهم اليه . كانوا يجلسون بين يديه يتلقون عنه ، او يصغون اليه ، او يسألونه ، وكان رضي الله عنه يطلب من احد اولئك العلماء ان يقرأ الدرس في ذلك اليوم ، ثم يعلق رضي الله عنه على الموضوع بما فتح الله عليه من فيض فضل الله ، وانوار رسول الله ﷺ ، وفي النهاية يتلو المقرئ ما تيسر من آي الذكر الحكيم ؛ ثم يذهب كل واحد منهم في سبيله .

(١) كان هذا بعد ان انشئت الزاوية .

(٢) ابداء الرأي في الموضوع الروحي والتعليق عليه بالشرح والتفسير .

وهكذا كانت زاويتنا تجمع جماعات من وجوه اهل الفضل ، العلماء الاعلام ، من الزائرين والمقيمين في المدينة . ولامر يريده الله سبحانه وتعالى فإن بعضاً من هؤلاء العلماء كانوا يجتمعون بزملاء لهم قضاوا ايامهم زمن الدراسة في الازهر الشريف ثم تفرقوا ، وبعد اعوام جمعهم الحق عز وجل في رحاب شيخنا رضي الله عنه ، تحت لواء الطريقة الشاذلية ليجددوا عهد ودمهم بالاخوة الروحية بالله .

أما الذين لم يكونوا زملاء وأصدقاء ، فيتعارفون ويتحابون في الله ورسوله ﷺ . ولم تكن زاويتنا يومذاك معهداً علمياً للثقافة الروحية فحسب ، بل ومكاناً فسيحاً للالتقى الطبقات الخاصة والعامة ، من طلاب المعرفة والتحقيق والوصول الى الله تعالى ، وكان يدخلها كل يوم وينزل فيها مئات من الزائرين ، ولم تنقطع تلك الحركة العلمية الفكرية الروحية الصوفية الثقافية طوال ايام حياة سيدي الوالد رضي الله عنه .

وبذلك يمدحه مريده الاديب الشاعر الشيخ قاسم ابو الحسن الكستي ، البيروتي ، بقصيدته التي يقول فيها :

يا مَنْ تَحَيَّرَ فِي شِدَائِدِ أَمْرِهِ	وعليه قد جارت حوادث دهره
لذَّ بِالْعَلِيِّ الْبِشْرَطِيِّ فَانَهُ	يلقى الصريخ به إزالة ضرته
قَطْبٌ بِهِ فَلَكَ الْحَقِيقَةُ مَشْرِقٌ	وضياؤه ملا الوجود بأسره
زَادَتْ طَرِيقَ الشَّاذِلِيِّ بِرَشْدِهِ	فضلاً وأضحت غرّة في عصره
لَوْ كَانَ فِي السَّلَفِ الْقَدِيمِ خُلْدُوا	بصحائف الدنيا محاسن ذكره
وَبِعَمْرٍ نُوحٍ لَوْ يَجُودُ لَهُ الْقَضَا	كنا نرؤم زيادة في عمره
هُوَ مِنْ كُنُوزِ اللَّهِ فِي مَلِكُوتِهِ	ملآن من عمل الصلاح وأجره
فِي كُلِّ قَلْبٍ طَاهِرٍ تَلْقَى لَهُ	حباً صحيحاً واقياً من كسره
قَدْ أَشْبَهَ الْمَصْبَاحَ فِي مَشْكَاتِهِ	نوراً بدا من قلبه في صدره
وَيَرَى بَعِينَ الْكَشْفِ مَا هُوَ وَاوَقَعَ	في الكون من عسر المعاش ويسره
مَتَوَاضِعَ بَيْنَ الْأَنَامِ وَإِنَّمَا	كان التواضع رفعة في قدره

إن حل في الأرض الجديدة أمرت
 كم جرّ شخصاً للسعادة بعدما
 تسعى رجال الله نحو جنابه
 في ذاته يلقي دليلاً واضحاً
 مولى به المستوشدون تقربوا
 لم يعترف بالفضل من لم يعترف
 سياه من اثر السجود بوجهه
 فمن استجار به يجار وإن يكن
 يسع الكثير من الوفود مكانه
 هذا الذي أدركته من وصفه
 والعفو يرجى للمقصر حيناً
 وزهت كما يزهو الربيع بزهره
 قد كان أشقى من ثمود بوزره
 زمراً ليقتبسوا أشعة فكره
 لمكارم الأخلاق من لم يدره
 لله واغتنموا عوائد برّه
 بيد العناية عرفة من بجره
 تزهو فتنبيء عن طهارة سره
 ما بين ناب أبي الشبال وظفره
 ويضيق ظرف زمانه عن شكره
 ووقفت عجزاً عن تنمة خبره
 يأتي مقراً للكريم بعذره

* * *

رفع مستوى المريء بالتهذيب الروحي

وكان رضي الله عنه يهتم كثيراً برفع مستوى مريديه ، بتهذيب النفوس
 وصقل الطباع ، بالثقافة والعبادة والذكر والفكر والرياضة الروحية ، والهمة
 والحال . وكان يرسل الشبان المبتدئين الى الأزهر الشريف بعد ان يتموا
 دراستهم في المدرسة الاحمدية بجامع الجزائر في عكا ، او في إحدى مدارس
 العلم الشريف ، في دمشق . وقد نبغ اكثر من واحد من هؤلاء الشبان
 وارتقى أعلى الدرجات العلمية ، ثم كان فيما بعد ، من أكابر علماء الشرع
 الشريف في زمانه ، فمن هؤلاء العلامة الكبير الشيخ عبد الله الجزائر ،
 مفتي عكا الاخير ، الذي كانت منشداً في الزاوية في اول انتسابه الى
 طريقتنا ، ثم ارسله سيدي الوالد الى الأزهر الشريف ، وبعد عودته ،
 عين مدرساً في المدرسة الاحمدية . وبعد ان ارتقى ظاهراً باطنياً ، تولى

المقدمة في زاويتنا فكان مجازاً من سيدي الوالد باعطاء الطريقة الشاذلية ،
 وتمهيد المريدين ، وإقامة الاذكار ، وإلقاء الدروس في العلوم الدينية
 في - تكيّتنا - ، ثم تولى منصب الافتاء الشرعي في عكا . وفي إحدى
 المرات تقلد ثلاثة مناصب علمية رفيعة في آن واحد ، ورغم هذا بقي مقدماً كما
 كان على عهد والدي رضي الله عنه ، وبقي مثابراً على إعطاء الدروس في
 المدرسة الاحمدية إلى ان توفاه الله تعالى . لقد فعل هذا امتثالاً لامر
 شيخنا رضي الله عنه الذي كان يعمل دائماً على نشر العلم ، فيحث مريديه
 العلماء على التدريس ، وبذل علمهم في سبيل الارشاد الى سبيل الله ،
 وخدمة المسلمين .

لطيفة

وكان العالم الفاضل الشيخ مصطفى الترك ، من اهل حمص معلماً يدرس
 القرآن والعلوم الدينية في إحدى المدارس هناك ، ونظراً لتقدمه في
 السن رأى ان يعتزل مهنة التعليم ، فجاء إلى عكا يستأذن سيدي الوالد
 بذلك ، فأجابه رضي الله عنه « يا شيخ مصطفى إن منزلتك عند الله
 كبيرة ، فأنت سفير بين الحق والخلق تلقن آياته خلقه » فلما سمع الشيخ
 مصطفى هذا غير رأيه وبقي مستمراً في مهنته التي قضى عمره في خدمتها . اه
 ويوم كان أخي السيد محي الدين يطلب العلم الشريف ، تطوع لتعليمه
 وتدرسه نخبة من أكابر علماء الشريعة في ذلك العصر ، من إخواننا
 الذين تركوا بيوتهم وتجردوا في الزاوية لمدة تعليمه ، ولما كانت الحياة
 في زاويتنا سواسية ، فلا رفيع ولا وضيع ، فقد درس مع أخي شبان
 عديدون من إخواننا . ويوم تشدّل العالم الكبير الشيخ محمود ابو الشامات
 الدمشقي ، كان شاباً يافعاً يطلب العلم في الشام ، ثم رحل الى ترشيحا ،
 وتجرد هناك ، ونشأت بينه وبين أخي محي الدين صداقة واخوة بالله
 فكانا يطلبان العلم معاً ، ويدرسان ويتفقان في الدين ، ويسلكان في الطريق

بين يدي والدي رضي الله عنه فيسيران فيه سير المجد . ودأبت تلك الصلة
بينهما حتى بعد ان رجع الشيخ محمود إلى دمشق ، وقد ارتقى الشيخ
محمود فيما بعد في الأوساط العلمية ، بفضل شيخه رضي الله عنه ، وفضل
انتسابه لأهل الله تعالى ، والمداومة على ذكر الله ثم كان مقدماً على
إخواننا في دمشق وضواحيها ، وكان واسطة دخول جماعة من إخواننا
الأتراك من اهل القسطنطينية في طريق الله ، منهم الوزراء والولاة والاعيان
وله مؤلفات قيمة في علوم التفسير والتصوف ، وأشعار منظومة صوفية في
مدح سيدي الوالد ، عبر فيها عن سلوكه في الطريق بين يدي شيخه ،
وتعشقه له وفناؤه فيه .

وتلقى العلم مع اخي السيد محي الدين ، اخوه في الرضاة ، الشيخ
عبد الرزاق القاضي ، نجل الشيخ محمد صالح - قاضي ترشيجا - وكلاهما
من مريدي والدي رضي الله عنه المخلصين المتقنين في حبه ، وكان الشيخ
عبد الرزاق عارفاً كبيراً محققاً ، سار في طريق الله بين يدي شيخه ،
وعاش صديقاً حميماً لآخي محي الدين ، حافظاً وده بعد انتقاله الى رحمة
الله . وقد تولى فيما بعد منصب القضاء الشرعي في حكم الدولة العثمانية .
وتجرد في زاويتنا الشيخ الجليل الكبير ، اسماعيل احمد الخطيب ،
الشهير بالطوباسي من أكبر علماء الشريعة ، وقد تولى المقدمة على الفقراء
في زاويتنا في عكا مدة طويلة ، صحب فيها سيدي الوالد ، وكان يعلم
الفقراء امور دينهم ويقراً لهم دروساً في الفقه والحديث والتصوف ، وكثيراً
ما كان والدي رضي الله عنه بوجه اليه بعض الاسئلة اثناء المذاكرة تشجيعاً
لاولئك السامعين من إخواننا ، ثم يشرح سيدي الوالد الموضوع بما فتح
الله عليه .

وتجرد في زاويتنا العالم الفاضل الشيخ احمد حشيشو الصيداوي ، وكان
اديباً اصيلاً متمكناً ، فكان يعلم من يشاء من الفقراء المريدين القراءة
والكتابة ، والنحو والصرف وغيره من علوم اللغة ، قلت لمن يريد ، إذ

لم يكن التعليم في زاويتنا إجبارياً .

* * *

علم التوحيد كشف الغيون أصل التجريد هدم الحصون
حل التقييد جمع الشجون عزّ التأييد ان لا تكون

★

روح الايمان صدق المقال نهج الاحسان رؤيا الهلال
كنز العرفان هجر الخيال كل الاكوان كاف ونون

★

لاحت أقماري بين الملاح خلف الاستار والغير راح
يا ذا الخمار هات المباح صاحت اطياري فوق الغصون

★

فانض للحان يا ابن النعيم واسمع الحاني واشطح وهم
من علي شان حظي قديم يدريه الداني والراسخون

★

أنعم ياسافي لي بالمدام من خمر الباقي يحي العظام
بلغ اشواقي ذاك الامام ذي القدر الراقي نور العيون

★

صل يا ظاهر في كل حين على النور الباهر للعارفين
ياسين الطاهر سرّ اليقين ما عبد القادر حاز الفنون

* * *

وليس غريباً ان نرى الذين يقودون الجمال ، ورعاة الغنم والبقر ،

(١) للشيخ عبده الحمصي مدح به شيخه سيدي الوالد بمناسبة احدى زياراته (امكا) .

وسائقي العربات ، وسائسي الجياد ، من ابناء طريقنا يؤدون الصلوات الخمس رغم اعمالهم الشاقة المتعبة ؛ ويقرأون القرآن الكريم والوظيفة ، ويحفظون بعض الاحاديث النبوية ، ويذكرون الله سرّاً وعلانية ، ويتكلمون بعلوم القوم ؛ فالاميّ الجاهل من ابناء هذه الطبقة اكتسب الشيء الكثير من تلك الحياة الروحية الثقافية بما فتح الله به عليه بالحال والهمة ؛ فقد كان للطريقة أثر بيّن جلي في تثقيف نفوس هؤلاء الاتباع من ابناءها ؛ وفي تهذيب طباعهم ، سواء كانوا في الزاوية ، ام في غيرها من البلاد . لقد ارتقت بهم الطريقة فهماً ومعنى . وبينما كان امثالهم من طبقة العوام لا يعي معنى لحديث ، ولا يكاد يفقه نظماً او نثراً ، كنا نرى المنسوب إلى طريقتنا من هذه الطبقة ، مصغياً باحثاً يناقش في معاني القول ، ويأتي بالشواهد من الحكيم والآيات والاحاديث ، وهو الاميّ الذي لم تتعمده مدرسة ولم يتخرج على يد استاذ . وقد نظم بعض هؤلاء البسطاء الشعر الصوفي ، على قدر حالهم ، وحسبها أفاضت عليهم الطريقة من نعم الله تعالى ؛ وهذه بعض ابيات تكلم بها بعض الاميين من اخواننا ، اوردها على سبيل المثال :

يا حياة الروح	ياساكن في الجوى	بوصلك لا ابرح	(والنجم إذا هوى)
كن انت لي ذخراً	في كل لحظة وحين	في الدنيا والاخرى	امام المرسلين
يا صاحب القدرة	الجوهر الثمين	(وكهف المزايا)	(للفتيا اوى)

★

عامل بالاحسان	باسم الستار	يا ابن المداني	منبع الاسرار
بشرطي المعاني	(تنوري قد فار)	وانبجس عياني	للقلب روى

(١) كان هذا الشاب الناظم امياً نشأ في قرية (السفيرة) من قرى حلب ، وزراه هنا قد رصع نظمه ببعض الفاظ القرآن الكريم ، وزينه بمعاني بعض آيات كريمة ، مما يعجز عن امثاله النابهون ، وهذا من فيض سر الطريق ، وبفضل الذكر الجليل .

وكان في بيروت ، رجل حبشي من إخواننا ، يدعى هلال المقدسي ،
جاء (الى السيد محمد صقر احد أكبر إخواننا في بيروت) وقال له :
(لقد عملت طاقة) فظن انه يعني حياكة شيء ما يضعه فوق رأسه وإذا
به يسمعه هذه الأبيات :

قال لي العاذلون كم ذا تراعي نجم ليل الى صباح السُراة
قلت كقوا فما عليكم بشأني قد رضيت بصوتي وماتي
لو رأيتم ما قد رأيت لقلتم لك حق بسيد السادات
فلما سمع منه اخونا (محمد صقر) دهش وادرك ان صاحبه كان يعني كلمة
(تائية) لا (طاقة) ، وعندها تمثل بقول شاعرنا الصوفي الكبير ، سيدي
عمر بن الفارض رضي الله عنه :

ولو قربوا من حانها مقعداً مشى وينطق من ذكرى مذاقتها البكم

* * *

وكان سيدي الوالد رضي الله عنه ، والمقدمون ، والأشياخ ، وبقية
المريدين من الزوار والمتجردين ، وسكان ذلك الشارع ومن بالجوار يؤدون
الصلوات الخمس جماعة في حرم النكية ، (كما هي الحال في المساجد) ،
على ان كثرة الوفود من طوائف المريدين الزائرين ، كانت تضي على
المكان رهبة وخشوعاً بكثرة صفوف المصلين الحاشعين لله ، إذ انهم كانوا
يتجاوزون باب الحرم ويملؤون الرواقين ، وكان شيخنا رضي الله عنه
يقف في صفوف المصلين وراء الامام مقتدياً به ، متواضعاً لله ، وكانت
تأخذه الحشية والاستغراق بعباداته وصلواته ، فهو دائماً يعيش بالله .
وكان صوت المبلغ وهو يكبر بقوله (الله اكبر ، الله اكبر) جميلاً
ساحراً تحن اليه القلوب القاسية فيخضعها باسم الله لعبادة الله وطاعته ، مما
يزيد في الروعة والجلال في حرم الله .

(١) ديوان الفارض ص ٩٤ .

اما صوت ترتيل آي الذكر الحكيم من ذوي الأصوات الحسنة ، فهو لا ينقطع ابدأ إلا في اوقات الصلاة والدرس والاذكار والنوم . وكانت مجالس الذكر والعلم والأدب والسماع ، عامرة بوجود شيخنا رضي الله عنه ، يتبارى فيها إخواننا كل حسب ثقافته ومشربه وسيره في الطريق . هذا يشتغل بالتدريس ، وذاك يعلم امور الدين ، او يؤلف رسالة ، او يشرح كتاباً ، وجماعة ينظمون الشعر ، وبعض الملحنين يجتهدون بوضع ألحان جميلة للأناشيد ، توافق المعنى واللهجة في طبقات الصوت في حلق الذكر ، ومجالس القوم ؛ وكان رئيس المنشدین في زاويتنا المقرئ الكبير الشيخ عبد المنعم المشلاوي ، رئيس المؤذنين في مسجد الجزائر ، واحد كبار المقرئين فيه ؛ وهو نجل العالم الفاضل الشيخ علي المشلاوي ؛ وكلاهما من مريدي سيدي الوالد .

وقد أنعم الله على الشيخ عبد المنعم ، فوهبه صوتاً حسناً مع جودة الأداء ، وفصاحة الالقاء ، وإتقان التجويد ، وكان يتذوق الأدب ، وينظم الشعر ، ويلم بعلم النغمات والألحان .

وكان السيد عبد الرحمن العاقل ، احد وجوه مدينة عكا وقد تولى رئاسة المجلس البلدي فيها ، ذا صوت حسن ، فبعد ان تشدّل كان منشداً في حلقة الذكر في زاويتنا .

وكانت وفود الزائرين من المدن القريبة والأقطار البعيدة او المجاورة ، تدخل الزاوية جماعات وأفراداً ، وكثيراً ما كان بعضهم يردد قول : الله الله مولانا ، لا إله إلا الله ، يقولون هذا بصوت عال ، جماعة ، وبنغمة خاصة ، ثم يرتلون بعض الأناشيد السهلة البسيطة ، ذات النغمات الحفيفة ، التي تناسب المقام . اما اهل القرى فيهزجون الأهازيج الجميلة بأنغام بدائية كقولهم :

هيا بنا، هيا بنا للذكر نجلي قلبنا 'ندعى رجالاً إذا كبرين وذكرونا مثلاً لنا'

(١) لأحد مريدي والدي الصادقين .

نحن بني الشاذلي وسرنا دوماً جلي إذا لفظنا يا علي اهلكنارايد ذلنا
نحن سيوف باترة نحن نجوم زاهرة لنا قلوب عامرة تعلقت بريننا
إذا افتخرتم باعوام علينا فخركم حرام كفانا عزاً واحتشام أنا نجالس ربنا ١

* * *

وحال وصول الزائرين ، كانوا يدخلون الحرم فيصلون ، ويذكرون ، وينشدون الأناشيد الصوفية القديمة والحديثة في المجالس وفي حلق الذكر ، وبعدها تقام حلق الذكر عدا التي تقام في ليلتي الجمعة والاثنين ، من كل اسبوع بعد صلاة العشاء الأخيرة ، وبعد تلاوة الورد الكبير (اي الوظيفة) مباشرة ؛ اما في ايام المواسم ، فنقام الاذكار اكثر من مرة في كل يوم ليلاً او نهاراً ، صباحاً او مساءً حسب التجلي الالهي .

هذا وتقام حلق الذكر في زاويتنا على الوحدة الموسيقية بالنغمات والاوزان ، دون اية آلة موسيقية ، وينشد المنشدون ما يناسب طبقات الصوت في كل لهجة من لهجات الذكر .

وقد نشأت بين ابناء طريقتنا مودة ومحبة وصحبة ، بين الطبقات ، فالعالم والجاهل ، والغني والفقير ، في مجالس العلم والذكر والسماع ، كانوا يجلسون جنباً الى جنب ، ولا غرابة في ذلك ، فالتعاليم الصوفية إنسانية ، تغمر الوجود بأسره بالحب والرحمة ، وتقرب بين الطبقات ، وتجمع بينهم بالاخوة الروحية ، ضمن حدود آداب الشرع الشريف ، وتحت حكم الامر والنهي الالهي .

وأشير هنا الى ان ترتيل الاناشيد عند السادة الصوفية ، لم يكن من شروط التصوف ، او زيارة الشيخ ، ولكنهم اهل وجد وتواجد ، وهيام بالله ورسوله ﷺ .

اما إقامة الاذكار مع السماع وترتيبها على تلك الصورة المعروفة ،

(١) اي انهم يجلسون في الصلاة والذكر بين يدي الله في حالة خشوع .

وتعيين نخبه من المنشدين من ارباب العلم بالنغمات والألحان ، فكان
القصده منه جلب الخلق الى الطريق ومنع الشبان من الجلوس في المقاهي ،
حيث الشراب والانهماك في اللذات الحسية ؛ فبواسطة السماع الروحي ،
ينقلونهم الى عالم المعاني الروحية ؛ وقد يكون ذلك الانتقال ، من
اسباب هداية هؤلاء الشبان ، الى الصراط المستقيم ، وقد ثبت ان سماع
ما يحرك الاحوال السنية مندوب اليه .





فناوي

علماء الشرع الشريف

بعقد حلوق الذكر والجمهور به مع الترتيل

من الأناشيد

التي تنشر عند قيام حلقه الذكر

هَيَّا يَا أَهْلَ الْوَصَالِ رَاقِ خَمْرَ الْإِتِّصَالِ^١
وَكُؤُوسَ الرِّيحِ دَارَتْ مِنْ يَدَيِ قَطْبِ الْكَمَالِ

★

نور ذات الله لاحاً صير الكون صباحاً
وعبير المسك فاحاً من شذا مسك التوال

★

أثبتت ليلى عهددي فتملكت شهودي
قدس الحب وجودي صرت من خير الرجال

★

أشرقت شمس يقيني عن شمالي ويميني
سلبت عقلي وديني في الهوى ذات الجمال

★

قد سقتني كأس خمر غبت عن زيد وعمرو
ثم عن نهبي وأمر ثم عن حالي ومالي

★

أخرجتني عن مرادي أنعمت لي بالرشاد
بيتها صار فؤادي أشرقت شمس كحالي

★

يا علي يا ابن الحسيني يا إمام الثقلين^٢

(١) للشيخ عبده الحمصي الدمشقي .

(٢) مرتبة الوراثة المحمدية .

كن لِعَارِي الْمَقْلَتَيْنِ مُسْعِفًا فِي كُلِّ حَالٍ

★

أنت قلبي ولساني أنت روحي وجناني
جئتُ بالشيخ المداني أرتجي تحسینَ حالي

* * *

على الذكر

أما عقد حلقِ الذكرِ والجهر به مع التهليل ، فهو جائز شرعاً ، وقد ورد في حق الذكر آياتٌ بيّناتٌ ، منها قوله عزّ شأنه : (أذكروا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٢) . وقوله جلّ جلاله : (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) الخ ٣ . وقوله سبحانه : (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) ٤ . وكذلك وردت احاديث كثيرة بحق الذكر ، وفي التحليق في الذكر ، منها ما رواه الطبراني بإسناد حسن ، مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال : « قال رسول الله ﷺ : (لِيُبْعَثَنَّ اللَّهُ اقْوَامًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمُ النُّورُ فِي مَنَابِرِ الْأَوْلَادِ ، تُعَظِّمُهُمُ النَّاسُ ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ) ، فبجنا اعرابي على ركبته وقال : يا رسول الله حلّهم لنا نعرفهم ، فقال : « همُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ قِبَائِلِ شَتَّى ، وَمِنْ بِلَادِ شَتَّى ، يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ » .

ومنها ما أخرجه الترمذي رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : « إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعَوْا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

(١) شيخ والدي ، قدس الله سره .

(٢) سورة الاحزاب

(٣) سورة آل عمران

(٤) سورة الرعد

وما رياض الجنة ؟ قال : « حَلَقَ الذِّكْرُ » ١ ومنها ما أخرجه البزار
 عن انس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ انه قال : « إنَّ الله سيَّارةٌ
 من الملائكة ، يتطلَّبون حَلَقَ الذِّكْرِ ، فإذا أتوا عليها حَفُّوا بها ،
 فيقول الله : غَشَّوْهُم بِرَحْمَتِي ، فَهَمَّ الْجُلُوسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ .
 وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، أن رجلاً كان
 يرفع صوته بالذِّكْرِ ، فقال آخرُ لو أن هذا خفض صوته ، فقال رسول
 الله ﷺ : (دَعَهُ فَأَنَّهُ أَوْاه) اه ، (أي رقيق القلب) وروى
 أن أناساً كانوا يرفعون اصواتهم بالذِّكْرِ عند الغروب ، في زمن عمر بن
 الخطَّاب رضي الله عنه ، فإذا خفضوها ارسل اليهم : تَوَرَّوا الذِّكْرَ ، اي
 ارفعوا اصواتكم . والآيات والاحاديث في الذِّكْرِ كثيرة فمن شاء فليجدها
 في القرآن الكريم ، وفي كتب الأحاديث . والذِّكْرُ بِاسْمِ الله الأعظم
 - أي - الذِّكْرُ بِاسْمِ الْجَلَالَةِ . وفي ردِّ المختار ما نصَّه عن اسم الجلالة والذِّكْرُ
 به ، وروى هشامٌ عن محمدٍ ، عن ابي حنيفة ، انه الاسم الأعظم وبه
 قال الطحطاوي وكثيرٌ من العلماء .

وقد التفت الحافظ الكبير المحدث الامام المجتهد ، الشيخ جلال الدين
 السيوطي الشاذلي رضي الله عنه ، وهو من كبار ائمة الشافعية رسالة ،
 سماها - نتيجة الفكر في الجهر بالذِّكْرِ - بناها على سؤال رفع اليه فيما
 اعتاده السادة الصوفية من عقد حلق الذِّكْرِ والجهر به في المساجد ،
 ورفع الصوت بالتهليل ، وهل في ذلك مكروه « فاجاب بان لا كراهية
 في شيء من ذلك » ، والتفت رسالة ثانية سماها - السيف القاطع اللامع
 لأهل الاعتراض الشوايع - ردَّ فيها على المعترضين وذَكَرَ أسماء علماء
 اعلام افتوا بجواز اقامة حلق الذِّكْرِ منهم :

قاضي القضاة	شيخ الاسلام	-	كمال الدين	القادري الشافعي
قاضي القضاة	شيخ الاسلام	-	نور الدين	الطرابلسي الحنفي

(١) ذكره السيوطي في كتاب « السيف القاطع » ص ١٦

قاضي القضاة شيخ الاسلام - شرف الدين الدميري المالكي
قاضي القضاة شيخ الاسلام - شمس الدين الفتوحى الحنبلي

ثم ذكر أسماء علماء اعلام غير هؤلاء ، منهم شيخ الاسلام وسلطان
العلماء عز الدين بن عبد السلام ، وشيخ الاسلام سراج الدين البلقيني ،
والعلامة برهان الدين الايناس ، والشيخ جمال الدين الاسيوطي ^١ .
وقد التفت العالم الكبير العلامة الفاضل الشيخ يوسف العجمي رسالة
في فضل الذكر .

والف سيدي الشيخ عبد الغني التابلسي رضي الله عنه ، رسالة سماها
- جمع الاسرار في منع الاشرار من الطعن على الصوفية الاخيار ، اهل
التواجد والاذكار - ، ذكر فيها أسماء عدد كبير من علماء الشافعية
والحنفية والمالكية والحنبلية وكل منهم قال : « ان لا كراهية بذلك
واقفوا بجواز اقامتها في المساجد » ^٢ .

وقد سئل الحافظ الكبير المحدث ابن حجر عن رقص الصوفية وهل
له اصل « فأجاب نعم له اصل ، فقد روي ان جعفر بن ابي طالب
رضي الله عنه ، رقص بين يدي رسول الله ﷺ لما قال له : (اشبهت
خَلْقِي وَخَلْقِي) من لذة الحُطاب ولم ينكر عليه رسول الله
ﷺ ذلك » ^٣ .

وبهذا المعنى يقول سيدي الشيخ ابو مدين رضي الله عنه :

يحررنا ذكر الأحاديث عنكم . ولولا هواكم في الحشا ما تحررنا
فقل للذي ينهى عن الوجد أهله إذا لم تذق معنا شراب الهوى دعنا
إذا اهترت الأرواح شوقاً الى اللقاء نعم ترقص الأشباح يا جاهل المعنى

(١) الشيخ المطلع الناقل جمال الدين الاسيوطي

(٢) السبب القاطع للسيوطي ص ٤ و ٢٢ و ٢٣ الالهامات الالهية للشيخ محمود اني الشامات ص ٦٢

(٣) السبب القاطع للسيوطي ص ٤ ، حديث شريف رواه ابو الدرداء باسناد حسن ، عن البخاري ،

وأخرجه البيهقي في السنن .

أما تنظر الطيرَ المفقَّصَ يا فتى إذا ذكر الأوطان حنَّ الى المعنى
يفرَّج بالتفريد ما في فؤاده فيضطرب أرباب العقول إذا غنى
ويرقصُ في الأفقاص شوقاً الى اللقا فتضطرب الأعضاء بالحسن والمعنى
كذلك ارواحُ المحبِّين يا فتى تهيجها الأشواق للعالم الأسنا
أنزَمها بالصبر وهي مشوَّقة وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى ١

* * *

وسئل الحافظ المذكور عمن يذكرون الله قياماً وقعوداً وبالأنعام
الموسيقية ، بالتمطيط وإظهار ما بين الهزمة ولام الف (إله) ، ومد
الماء من (إله) ، ويقولون : (هو) و (ها) و (هي) ،
ويذكرون بالخلق وهو الحاء ، بان يقول حي ، حي ، ويرقصون في
بعض الأحيان بالتواجد ، والوثبات ، ويغيبون عن إدراكهم وينشدون
الأشعار واصناف الكلام المطرب المهيج المحرك للنشاط ، وغير ذلك ، بما
يتعلق باحوال المريدين من اهل الطريق عموماً وخصوصاً ، وهل هو حرام
ام لا ؟ وهل لذلك اصل في الكتاب والسنة ؟ وهل يجوز سب مشايخ
الطريق ام لا ؟ افيدوا مأجورين ؛ فأجاب رحمه الله تعالى بقوله : «يجوز
الذكر بجميع الأنواع ، بإيل ، ولا ها . لورود الشرع بذلك ، لان
(إيل) اسم الرحمن (ولاها) اسم المحبوب ، ولا يلزم ذكر لا إله إلا الله إلا
في الشهادتين ، والأذان ، والتشهد ؛ ويجوز الذكر بحرف واحد ، كما
ورد في اوائل السور ككاف ، وهاء ، وياء ، وعين ، وصاد ؛ ويجوز
الذكر باسماء الله طراً ، ويجوز الرقص بدليل فعل الحبشة في المسجد بين
يدي النبي ﷺ ، ولم ينكر عليهم ، وكان رقصهم بالوثبات والوجد .
وحصل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وجد ، حتى غاب عن إدراكه .
وإنشاد الشعر ، وغير ذلك جائز بلا إنكار ، وكانت الصحابة رضوان الله
عليهم يتناشدون الأشعار بين يدي النبي ﷺ ، واصل هذه الطرائق من

(١) إيقاظ الهم لابن عجيبة ص ٥٨ الخاشية شرح المناهج الأصاية .

الكتاب والسنة ، ولا يجوز الانكار عليها بالاتفاق ، وسب المشايخ إهانة في الدين ، والاهانة في الدين كفر شرعاً وعقلاً بلا خلاف ، اه ١ .
 وسئل خير الدين الرملي عما اعتاده الصوفية من حلتق الذكر والجهر به في المساجد ، ونشد القوائد الصادرة عن ذوي المعارف الربانية ، وغير ذلك من عواندهم . فأجاب بما حاصله : « إن الأمور بمقاصدها ، والأعمال بالنيات » الى أن قال : « حقيقة ما عليه الصوفية لا يُنكرها ، إلا كل نفس جاهلة غيبية ، وأما حلق الذكر والجهر به مع الانشاد ، فقد جاء في الحديث الشريف ما اقتضى طلب الجهر به ، نحو قوله ﷺ في الحديث القدسي : (وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه) ٢ رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وابن ماجه ، واحمد ، وإن ذلك تعدى فائده للسامعين ؛ ويوظف قلب الذاكر ، ويجمع همته الى الذكر ، ويصرف سمعه اليه ، ويطرد النوم ، ويزيد في النشاط ، انتهى » ٣

واجاب ابو الفتح محمد بن عبد السلام ، وهو من أكبر أئمة المالكية ، عن سؤال رفع اليه يوافق هذا السؤال المتقدم بأن ذلك جائز شرعاً ، والمعتز عليهم مبطل ٤ ؛

واجاب الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وهو سلطان العلماء ، وقد سئل عن مثل ذلك ، فقال : (سماع ما يجرى الأحوال السنوية المذكورة للآخرة مندوب اليه ؛ ومن جزم بالتحريم والتكفير فقد أخطأ فيما قال ، واستحق العقوبة والنكال . » ٥

(١) السيف القاطع للسيوطي ص ٧ ص ٨ ص ٩ . الالهامات الالهية للشيخ محمود ابني الشامات ص ٦٣ ص ٦٤ ص ٦٥ .

(٢) لهذا الحديث رواية ثانية وهي : « لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملاء من ملائكتي ، ولا يذكرني في ملاء إلا ذكرته في الرفيق الأعلى » رواه الطبراني .

(٣) الالهامات الالهية على شرح الوظيفة للشيخ محمود ابني الشامات ص ٦٥

(٤) الالهامات الالهية على شرح الوظيفة للشيخ محمود ابني الشامات ص ٦٥

(٥) الالهامات الالهية على شرح الوظيفة للشيخ محمود ابني الشامات ص ٦٥

وألف سيدي الشيخ ظافر ، نجل شيخ والدي قدس الله اسرارهم ، رسالة ، سماها - النور الساطع والبرهان القاطع - ، رد فيها على المعترض ، على الذكر مع الجهر به ، وإنشاد القصائد ، وقد ذكر أسماء بعض علماء الأزهر الشريف وغيرهم ، الذين تصدوا للرد على أولئك المعترضين ، على حلق الذكر ، والمباينة ، ولبس الخرقه ؛ وقد أفتوا بجواز ذلك ؛ وان هذه الطريقة على قدم الشريعة الغراء ، في سائر الاحوال ، فمن سلكها جاز الشرف ، ومن ذاق عرف .

وهذه أسماء العلماء المذكورة في تلك الرسالة :

العلامة الكبير الشيخ	ابراهيم السقا الشافعي	شيخ الازهر
العلامة الكبير الشيخ	محمد عlish المالكي	شيخ الازهر
العلامة الكبير الشيخ	محمد فتح الله المالكي	من علماء الازهر
العلامة الكبير الشيخ	حسين الكتي الحنفي	من علماء الازهر
العلامة الكبير الشيخ	محمد يبرم التونسي المالكي	مفتي مكة المكرمة
العلامة الكبير الشيخ	جمال الدين المكي الحنفي	من علماء الازهر
العلامة الكبير الشيخ	احمد السباعي	من علماء الازهر
العلامة الكبير الشيخ	حسن العطار	من علماء الازهر
العلامة الكبير الشيخ	ابراهيم الموي المالكي	من علماء الازهر

* * *

اما البدع ، فهي المحدثات من الامور التي لم تكن في زمن النبي صلوات الله عليه ، اي إنها محدثة لم تكن في الماضي . وتنقسم البدعة الى واجبة ، ومندوبة ، ومكروهة ومحرمة ، وضلالة ، ومباحة ؛ والطريق في ان تعرض البدعة على الشريعة ، فان دخلت في قواعد الايجاب ، فهي واجبة ، او التذب ، فهي مندوبة ، او التحريم ، فهي محرمة وهكذا . وقد وردت احاديث شريفة في هذا المعنى ، منها ما رواه الترمذي

(١) البرهان القاطع لمولاي الشيخ ظافر ، نجل شيخ والدي ص ١٥ ص ٢٠ ص ٢٤ .

عن ابن جرير عن ابيه قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ سَنَّ سُنَّةً خَيْرٌ فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا ، كَانَ لَهُ اجْرُهُ وَمِثْلُ اجْوَرٍ مِنْ اتَّبَعَهُ غَيْرُ مَنْقُوصٍ مِنْ اجْوَرِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً شَرًّا فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ وَمِثْلُ اَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ غَيْرُ مَنْقُوصٍ مِنْ اَوْزَارِهِمْ شَيْئاً) .
والاحاديث الشريفة في هذا المعنى كثيرة ، فمن شاء فليطلبها يجدها في كتب الحديث الشريف . فالسادة الصوفية لم يخرجوا عن حدود الشرع الشريف في إقامة الأذكار ، فالمتصوفون من أشد خلق الله تمسكاً باهداب الشريعة الغراء ، وكلُّ من يقول إنهم أهلُ تفریطِ بها فقد ظلمهم .

هؤلاء السادة تركوا المكروهات ، فضلاً عن المنجزمات ، ولا يقدحُ في حقهم مخالفة جماعة من المنافقين ، الذين نسبوا انفسهم إلى التصوف لغاياتٍ ومادياتٍ وشهواتٍ لا يذاه اهل الله ، فقد كان في زمن النبي ﷺ منافقون ، يتظاهرون بالايان ، وكل عصر من العصور لا يخلو من اشباه اولئك المنافقين ، الذين انزل الله في حقهم سورة من القرآن الكريم ، وأمرَ نبيّه ان لا يُصلي عليهم بعد الموت .

كذلك لا يقدحُ في حق اهل الطريق ان يكون بين هذه المئات والالوف ، رجلٌ عاصٍ مذنبٌ ، او رجالٌ عاصون مذنبون ، من جهة المتصوفة . فالولاية ، مهما عظم امرها انما هي نقطة من فيض بحر النبوة الكريم ؛ وها نحن نرى كثيراً من اخواننا المسلمين ، لا يعملون بأوامر دين الله ، ويرتكبون المخالفات جهراً عياناً ، أمام جميع الناس ، على ان هذه الاعمال من المخالفين ، لا تقدحُ في حق الشريعة الغراء ، فهي طاهرة نقيّة مقدّسة ، ولا في حق الاسلام والمسلمين العاملين باوامر الله .

شهر

رمضان المبارك

ومواسم الاعباد

سبحان من قد اسقاني	من خاص نحر العرفان ^١
يا اول انت الآخر	ان رمت يا خلي الوصول
يا خلي خلّ الشواغل	يا باطن انت الظاهر
فاخلع رداء الوجود	والكل كالوج الثائر
يا ربّ نور فؤادي	وانهض الى باب الكامل
قد تمّ تقديس القلب	وافتح جميع القوابل
صلّ وسلم يا ظاهر	والبس ثياب الحدود
	واقراء كتاب الودود
	من ذلك النور البادي
	واسمح بكامل ارشادي
	لمتابدت شمس القرب
	قولوا لأرباب الحجب
	على المصطفى طه الظاهر
	ما جاء من عبد القادر
سبحان من قد اسقاني	

* * *

رمضان المبارك والاعباد

كانت ايام شهر رمضان المبارك ، ولياليه اللائحة ، في زاويتنا ،
منقطعة النظير في هذه البلاد ، يجتمع فيها خلق كثير من ابناء طريقتنا

(١) من اناشيد مجالس القوم للشيخ عبده الجمعي الدمشقي

الشريفة ، ونجبة من القراء والمؤذنين والمنشدين اصحاب الاصوات الحسنة ، من اهل المدينة ، ومن المتجردين والزائرين ، الذين يؤمون الزاوية من البلاد المجاورة .

كان القراء يرتلون آي الذكر الحكيم ، بعد صلاة العصر ، الى غروب الشمس ، وبعد صلاة العشاء الاخيرة ، وصلاة قيام شهر الصيام (التراويح) ، ثم ينشد المنشدون المدائح النبوية الصوفية ، والمؤذنون يسبحون الله وتردحم الخلائق في زاويتنا وامام بابها في الشارع الكبير يستمعون ، وتبقى الناس على تلك الحالة الى وقت السجود فيتناول من شاء منهم طعام السجود في الزاوية ، ولم تكن لتهدأ تلك الحركة او ينام احد فيها في ليالي شهر الصوم المبارك ، إلا بعد صلاة الفجر ، وقراءة الوظيفة ، وتلاوة الاوراد ، وتأدية الواجبات الروحية ، التي تفرضها الطريق على السالك فيها .

وكانت موائد الافطار ، يحضرها من شاء كما كانت تقدم في السهرات انواع الحلوى والفاكهة ، والشاي والقهوة وشراب الليمون . اما في مواسم الاعياد ، فقد كانت العادة المتبعة ، ان يحتفل الجيش المرابط في عكا ، في اول يوم العيد ، احتفالاً عسكرياً مهيباً تتجلى فيه الصبغة الاسلامية ، حيث يقف الجند صفين ، ما بين القلعة وجامع احمد باشا الجزائر ، ويمر الموكب بين الصفوف ، يتقدمه القائد الاعلى ، ويتلوه القواد ، فالضباط ، فالمتصرف ، فالحكام المدنيون ، وكلهم آمون المسجد ، لتأدية صلاة العيد ؛ وهناك تلنقي جموعهم مع العلماء والاعيان ، ومعظم اهل المدينة ؛ وتقام الصلاة ، ويتصافح الناس مهنتاً بعضهم بعضاً ، بينما تصدح الموسيقى العسكرية قبل قيام الصلاة وبعدها ؛ ثم يغادر القائد الاعلى المسجد ، يصحبه فريق من القواد والحكام والعلماء ؛ وبعد ان ينتهي الاحتفال الرسمي ، كانوا ياتون الى زاويتنا مباشرة ، لتهنئة سيدي الوالد ، فقد كان يؤدي صلاة العيد في مسجد صغير بجوار الزاوية ، ثم يعود اليها ، ويستقبل المهنتين في حرم التكية ، إذ لم تكن له غرفة

استقبال خاصة به ، ذلك لانه لم يكن ليتكلم بالاحاديث الدينوية ، ولهذا كان مجلسه دائماً ابدأً في بيت الله بين يدي الله ، ويرتفع في المواسم عدد الآتين من البلاد المجاورة والاقطار القريبة ، فهو لا يقل عن الفي نسمة في كل يوم ، منهم علماء واعيان وعوام ، من مختلف الطبقات والاجناس ، ينزلون في رحاب شيخنا رضي الله عنه ، وتقام الأذكار وتقرأ قصة المولد النبوي الشريف اكثر من مرة في تلك الليالي العاطرة بذكر الله ورسوله ﷺ ، وتلقى القصائد التي نظمها الاخوان حديثاً ، وكذا الموشحات والقصائد التي نظمها السادة الصوفية القدماء رضوان الله عليهم .

وهذه قصيدة مطولة نظمها العالم العلامة - الشيخ رشيد سنان - احد الكبراء من علماء الشريعة في دمشق ، وقد اخذته جذبة إلهية غاب فيها عن كل ما سوى الله ، ثم رجع الى صحوه التام ، وقد تحدث فيها (اي في القصيدة) عن الحقيقة المحمدية ، المنبثق عنها انوار العرش والكرسي ولوح الوجود ، وتحدث عن سرّيات اسماء الله تعالى في الاكوان ، وكيف كشف له عن تلك الوحدة الروحية في شهوده ، وعن نسبتته الى صاحب الوقت ، وكيف غاب بذلك الشهود فبذل النفس بتأدية فرض الزكاة ، وكيف صام عن كل السّوى ، وعيده بعد الصوم في رؤية شيخه ، وهكذا الى آخر القصيدة . ولذلك وجدتني أثبتها كلها في كتابي هذا تمجيداً لتلك السياحة الروحية التي تحدث عنها الناظم ، وقد ألقاها بين يدي والذي رضي الله عنه في يوم عيد الأضحى ، وعندما وصل الى قوله

فأنا الذي بستارها متملّقٌ وورث سرّها في الوجود مكتمل

تقدم ومسّ أذبال سيدي الوالد وتمسّك بها ؛ كان هذا امام حشد كبير من إخواننا وغيرهم ، فباركه سيدي الوالد ودعا له بالخير .

من مثل أحمد

مَنْ مَثَلُ أَحْمَدَ فِي الْمَنَامِ الْأَمْثَلِ ۱
 نُورٌ تَعَيَّنَ قَبْلَ كُلِّ حَقِيقَةٍ
 عَرْشٌ إِلَى الرَّحْمَنِ بِالْوَصْفِ اسْتَوَى
 وَالْكَرْسِيِّ ، وَالْقَلَمِ الَّذِي صَفَحَاتُهُ
 هُوَ حُلَّةُ الْأَسْمَاءِ الَّتِي وَقَفَتْ عَلَى
 لِي نِسْبَةٌ حَقًّا لِدَوْلَةٍ حَسَنَهَا
 نَسَبَ الْحَبَّةِ رُوحَ لَطْفٍ غَرَسَهُ
 فَصَلَاةُ فَرَضِ الصَّبْحِ فِي سَبْحَاتِهِ
 تِلْكَ الصَّلَاةُ حَقِيقَةٌ لِمُقَدَّسٍ
 يَا فَرَضَ صَوْمِ الْعَارِفِينَ تَنْسَكَا
 فِي الصَّوْمِ سِرًّا ؛ دَقَّ مَعْنَى فَهَمِهِ
 رَمْضَانَ صَوْمِي الْيَوْمِ عَنِ كُلِّ السَّوَى
 مَا أَحْلَى يَوْمًا كَانَتْ فِيهِ لِقَاؤُهُ
 يَا كَعْبَةَ حَجَّتْ لَهَا أَرْوَاحُنَا
 أَحْرَمَتْ فِي حَجَّتِي لِنَادِي جَاهِلَهَا
 وَوَقَفَتْ فِي نُسْكِ عَلَى عِرْفَانِهَا
 وَالرُّوحَ مِنِّي سَبْعَةَ طَافَتْ بِهَا
 وَمِنَ الصَّفَا تَسْمَعُ حَقِيقَتِي بِالصَّفَا
 وَيَمِينُ يَمِينِ الْيَمِينِ أَلْقَتْ فِي مَنِي
 وَذَبْحَتْ ذَبْحَ الْوَهْمِ مِنِّي صُورَةَ
 وَدَخَلَتْ فِي حَرَمِ الْحَبِيبِ مَحَلِّقًا
 وَبَذَلَتْ مِنِّي النَّفْسَ تَأْدِيَةً لَهُ
 يَا مُنْشِدَ الْأَخْلَاقِ شَتَّفَ مَسْمَعِي

(١) نظم مريد والدي الشيخ رشيد سنان الدمشقي .

كرّر من الدرر البديعة منطقاً
 فأنا الذي بستارها متعلق
 هو مرشدي الحسيني يرعى عهدها
 يا حبّذا ذلك الوريث المجتبي
 غوث سما أوج السما فطريقه
 شمس الحقيقة كنز كل رقيقة
 أوصافه الحسنى بدت مشهودة
 فخزائن المولى لديه جزيلة
 فالوقت راح فاعنتم من راحه
 صهبا راح الحب نشوان بها
 هذا الأخير الأول الميم التي
 هذا الأخير وإن يكن فزمانه
 لو أدركوا طراً زمان وجوده
 وأتقاد كل شاهد جنابه
 فالكل خطاب لطلعة حسنه
 فبنوا العليّ تعشقت أرواحهم
 يا جوهر الفرد الذي هو حسنهم
 ثم الصلاة على النبي وآله
 وعلى الذي يتلو بصدق مقاله

بأعزّ ما يحلو ونعمّة بلبل
 وورث سرّها في الوجود مكمل
 التونسي تاج الملاح هو العلي
 فرد الزمان سليل أشرف مرسل
 اسرار آيات الكتاب المنزل
 طرف العوازل كان عنه بمعزل
 وصف النبي ملاذ كل مؤتمل
 يُعطي بلا حدّ عليه فعول
 راح الحجة من يد الساقى المني
 تجلّي بكأس اللطف للمتأهّل
 ختمت بعين نوعت بالهيكل
 مسك تنافس فيه كل مفضل
 خضعوا لعزة وجهه بتهلّل
 أن الامام الشرطي هو الوالي
 وهو العروس بكل شأن ينجلي
 وردت بحار الشوق أعذب منهل
 فأدم حياة الكل بالفرد العلي
 والصحب أرباب الشهود الكمل
 من مثل أحمد في المقام الأمل

* * *

هذا وقد جاء الى - عكا - قائد كبير من قواد الجيش التركي
 العثماني ، يدعى - عثمان بك (اميرالاي طوبجي سياره) - كان قائداً
 في بلاد اليمن قبل مجيئه - عكا - ، وكان يشرب الخمر مدمناً عليها ، وفي
 ذات ليلة رأى في منامه انه يدخل زاوية كبيرة فيها شيخ جليل وجماعة
 يذكرون الله في حلقة الذكر ، وبعد الانتهاء تقدم اليه ذلك الشيخ

الجليل يعظه وينصحه بترك الشراب ، وان يتوب عنه ويرجع الى الله
بالعبادة والعمل الصالح . ثم يقول له : انت ولدي ، فلا ينبغي لك ان
تشرب الخمر وانت منسوب إليّ ، واصبح القائد يفكر بالرؤيا وبالشيخ
والتوبة ، لكنه لم يقو على ترك الشراب . وبعد ليل عاد فرأى الرؤيا
عينها وسمع الشيخ يعظه كما فعل في المرة الاولى ، فقال القائد : من
انت يا سيدي ، وابن مكانك ، وما هو اسمك ؟ قال الشيخ : انا علي
نور الدين الشرطي الشاذلي الموجود في - عكا - ، فما كان من الرجل إلا ان
تاب وأتاب وداوم على تأدية الفرائض والعمل الصالح . وبعد ستة اشهر
جاء الأمر من القسطنطينية بنقله مع فرقته الى - عكا - ، وبمجرد
وصوله سأل عن الشيخ الذي رآه في منامه ، فدلوه عليه . وعندما
دخل الزاوية ووقع نظره على سيدي الوالد عرفه وعرف ثلاثة اشخاص
من اخواننا ، كان قد رآهم في رؤياه ، وهم : الشيخ ابراهيم خريبة ،
والشيخ محمد المغربي ، والمتجرد سعيد الحنبلي ، وكذلك رأى الزاوية كما
رآها قبلاً في المنام ، فازداد إيماناً بقوة الظهور في ولاية شيخنا
رضي الله عنه .

فأخذ عنه وانتسب اليه ، وسكن بيتاً من بيوت وقف الزاوية
بجوارها ، وغدا من رجال الله العاملين ، فكان صواماً قواماً تقياً ورعاً
متقشفاً وخادماً للفقراء والمسلمين ، وكان وجوده في عكا من نعم الله التي خص
بها ابناء طريقنا في ذلك العصر ، فقد شمل برعايته اخواننا الضباط
والجود ، فكان أباً روحياً لهم ، وعاش في هذه المدينة خمسة عشر
عاماً ، وقد اجتمع مع الكثيرين من قواد الجيش في - عكا - ،
الذين اخذوا عن سيدي الوالد ، من هؤلاء - القائمقام شريف بك - ،
- ونسيب بك الاي اميني - ، وزبور باشا - ، وعبداه افندي والد
حلمي باشا ، وغيرهم ، فكانوا جميعهم يتعاونون ويتحدون في خدمة
الطريق وابنائهم .

وكان الفريق - مصطفى رمزي باشا - قائداً أعلى للجيش في سائر أنحاء فلسطين ، ومقر اقامته في - عكا - ، وكان صاحب شخصية قوية بارزة ، ونفوذٍ فعّال في السياسة والادارة والقيادة ، ولم يكن شاذلياً او متصوفاً ، لكنه كان محباً لأهل الله يقدّس عظمة الولاية وروحانية التصوف والسادة الصوفية ، وخاصة سيدي الوالد . وقد قام بالواجب في خدمة ابناء طريقنا واتباعها ومن ينتسب اليها على الوجه الاكمل . وكثيراً ما كان يسمح للضباط والجنود ، ان يحضروا حلّق الذكر في الزاوية في ليلتي الجمعة والاثنين ، وفي المواسم والاعیاد - بعد تأديتهم الواجب الرسمي ، - فكان يمنحهم اجازة لتمضية تلك المناسبات السعيدة في الزاوية ، فيشتركون مع بقية الاخوان بالاحتفال بها .

وكنت ايام طفولتي ، اذهب الى القلعة والسور ومراكز الجيش التي لا يدخلها غير القواد والضباط والجنود ، فتفتّح لي الأبواب ، وكان - مصطفى رمزي باشا - رحمه الله - شغوفاً بي ، شديد التعلق بزبارتي له ، فإن لم اذهب اليه صباح كل يوم ، يرسل - ياوره - الخاص يدعوني ، فأذهب 'صحبة الرجل الذي يشرف على تربييني إلى محل القيادة ، فيأخذني الباشا إلى - جنينة البلح - فأجلس معه في الحديقة امام بركة ماء تحيط بها الازهار والرياحين ، او يصطحبني معه لأشاهد ما يقوم به الجنود من استعراض او تعليم او غير ذلك ، وكان الكثيرون ممن اخواننا يرجونني ان اتوسط لديه بشئونهم ، فكان يتقبل ذلك برحابة صدر على كثرة الطلبات ، ولم يردّ لي طلباً .

وكان اخونا - محمد باشا اليوسف - متصرفاً في - عكا - قد تشرف باخذ طريقنا هو وأخوه - محمود بك - وكان عندما ير امام باب الزاوية الشريفة في غدوه ورواحه الى مقر وظيفته في السراي ، يتجه بوجهه الى الزاوية ويسير منصرفاً حتى يتخطاها احتراماً وتعظيماً^١ .

(١) اذكر هذه الحادثة على سبيل المثال لتعظيم الحكم والعظماء له .

انتشار عاداتنا

في عطا واقتباس الناس اباهما

ولم تكن لأسرة من الأسر القديمة او الحديثة في بلد من بلاد الله ،
ما كان لآل - بشرط - من الحب والتقدير والاحترام في قلوب اهل - عكا -
ليس من إخواننا فحسب ، بل من الذين لم يتشكروا . وحتى بعد انتقال
والدي رضي الله عنه الى جوار ربه ، فقد بقي الأهلون مداومين على
العادات السابقة في الزاوية ، ومع الأسرة البشروطية . ففي الأعياد يخرج
معظم المصلين من جامع الجزائر ، ويأتون الى زاويتنا لزيارة ضريح شيخنا
رضي الله عنه ، فيستمعون الى آي الذكر الحكيم من القراء ، ويشهدون حلقة
الذكر التي تقام هناك بعد صلاة العيد ، وبعد ذلك يُدعون الى تناول
الطعام في الزاوية ، فمنهم من يتقبل تلك الدعوة فيبادر ملبياً ، ومنهم
من يعود الى بيته .

وكان أخونا العارف بالله ورسوله ، الشيخ إبراهيم الكنفاني ، تاجراً
من اهل الاسباب ، فخصص في بيته غرفةً يستقبل فيها بعض إخواننا
الزائرين من اهل - بيروت ، ودمشق ، وطرابلس - ، ينامون فيها
للتخفيف عن الزاوية ايام المواسم ، وكثيراً ما كان يدعوهم لتناول الطعام
في بيته . وقد اقتبس الأهلون في مدينة - عكا - بعض العادات عن
اهل زاويتنا ، وحفظوا الشيء الكثير من اناشيدنا وموشحاتنا الصوفية ،
فكانوا ينشدونها في الافراح ، وحين يتلون قصة المولد النبوي الشريف ،
وفي زفة العريس وهم يمشون في الشارع ، وهذه أنشودة من تلك الاناشيد
أثبتتها على سبيل المثال .

يا كوكب العصر يا نور بارينا لولاك لم يسر
نور الهدى فينا

ظَهَرَتْ بِالشَّرْقِ	تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ	بِالْجَمْعِ وَالْفِرْقِ
هَوَاكَ أَفْنَانِي	نَوْرَ مَرَايِنَا	جَمَالِكَ الدَانِي
حَطَّيْتُ أَوْزَارِي	فِي بَجْرِكَ الْجَارِي	بِسِرِّكَ السَّارِي
أَطَلَّتْ عَلَى الْقَلْبِ	شَمْسٌ مِنَ الْعَرَبِ	فَأَثْبَتَتْ قَرِي
قَدْ كُنْتُ أَهْوَاهَا	مِنْ قَبْلِ مَجْلَاهَا	وَالْقَلْبِ نَاجَاهَا
يَا قُطْبِنَا الْخَاتِمَ ٢	يَا ابْنَ أَبِي الْقَاسِمِ	عَبِيدُكَ النَّاطِمِ
رَبِّ بِلَا حَدِّ	صَلِّ عَلَى الْفَرْدِ	مُحَمَّدِ الْمَهْدِي
	خَتَمِ النَّبِيِّينَا	

وكثيراً ما كانوا يأتون بالعريس الى الزاوية ليلة زفافه ومعه كافة المدعويين ، ثم تُقرأ قصة المولد النبوي الشريف تيمناً بعد صلاة العشاء الاخيرة وينشد المنشدون ، وبعد ذلك يخرجون وفي يد كل شاب منهم شمعاً تضيء ، ثم يمشون امام العريس في صفين والمنشدون في الوسط يوتلون تلك الاناشيد ، حتى يصل العريس امام بيته ، فيقف احدهم ويقرأ الفاتحة ويدعو للعروسين بالسعادة والهناء .

وكذلك كانوا يحتفلون بختان اولادهم في زاويتنا ، ثم تقام حلقة الذكر مع الانشاد . وهنا لا بد من الايضاح وهو انه لم تكن لنا اعلام ولا طبول ولا مزاهر ، وإنما تدور حلق الذكر على الوزن الموسيقي بالالخان ، والنغمات ولا شيء غيرها اصلاً .

(١) اشارة الى انه خاتم اقطاب سلسلة الطريقة .

(٢) للشيوخ عبده الحمصي الدمشقي

منازل

السائرين في وحدة الشهود

بك مُهَيِّدَ كُونِي تَهَيِّدَا

فغدوتُ جميعي توحيداً ١

★

ان قيل بفرق او جمع

فأراك لساني مع سمعي ٢
واراك بكلِّ مشهودا

★

ها وجهه الحب لنا لاحا
وعبير معارفنا فاحا

★

قد لاح من القطر الغربي
فعرفت برؤيته ربي

★

والله بصحبته فزنا
ومقام القرب لقد حزنا

★

يا ربّ على السرّ الذاتي
من جاء لنا بالآيات

صلّ بجميع الأوقات
وابعثه مقاماً محموداً

* * *

آيات في منازل السائرین نظمها الشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن

عربي قدس الله سره :

ليس من لَوْح بالوصل له كالذي ساروا به حتى وصل

(١) بمناسبة الحديث عن الفرق والجمع اثبت هذا النشيد للشيخ عبده الحمصي الدمشقي .

(٢) اشارة الى الحديث الشريف ، البخاري .

لا ولا الواصل عندي كالذي قرع الباب وللمدار دخل
لا ولا الداخل عندي كالذي سارروه وهو للسرحل
لا ولا من سارروه كالذي صار إياهم فدع عنك العليل
فمحوه منه عنه فأنجى ثم لما أثبتوه لم يزل
ذاك شيء علق القلب به لو تجلّى منه للخلق قتل^١

* * *

منازل السائر

أما بعد ، فإن سلوك الفقير الصوفي السائر في قطع مسافة النفس في المقامات والاحوال - أي - في معارج مدارج رقيه الروحي ، أما ان يكون بالتزقي أو التدلي ، سواء كان متجرداً في زاوية شيخه أو سائحاً ، أو من أهل الأسباب ، الذين يسعون للرزق ، ويعملون لدنياهم ويعيشون في بيوتهم .

وقد كثر الحديث والجدل ، حول هذه المنازل ، التي يقطعها السائر ، فهي كالمراحل للمسافر ، وقد زعم جماعة ان الشطح مقام^٢ . وظن آخرون ان معنى الفناء عند القوم ، هو الانطلاق من القيود الشرعية ، وترك التمييز بين حقائق الاشياء واحكامها .

ولما كان هذا ليس بصحيح ، لذلك اورد طائفة من اقوال السادة الصوفية في شرح بعض منازل السائرين ، كمقام الحب الالهي ، والشهود ، والفناء ، والبقاء ، والفرق والجمع ، وجمع الجمع ، والفرق الثاني ، والوصول الى الله .

قال احد الكبراء من أهل المعرفة :

(١) قوانين الاشراف للشيخ جمال الدين محمد ابي المواب ص ٧٩ .

(٢) الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى ، وهو من زلات المحققين ، فانه دعوى بحق يفتح بها العارف عن غير اذن آلهي بطريق يشعر بالنباهة . من كتاب التعريفات للسيد الجرجاني ص ٨٦ .

ولما تجلّى من احبُّ تكرمًا
تعرف لي حتى تيقنت انني
وفي كل حال اجتليه ولم يزل
وما هو في وصلي بمتصل ولا
وما قدر مثلي ان يجيئ بمثله
اشاهده في صفو سرّي فأجتلي
وأشهدني ذاك الجناح المعظّم
أراه بعيني جهرة لا توهمًا
على طور قلبي حيث كنت مكلّمًا
بمنفصل عني وحاشاه منها
وأين الثرى من طلعة البدر إنّما
كهلًا تعالى عزّه ان يقسمًا^١

* * *

وقد أورد الامام السيوطي رضي الله عنه ، في كتابه - تأييد الحقيقة العلية ، بتشديد الطريقة الشاذلية - ، قول الشيخ قطب الدين القسطلاني رضي الله عنه فقال : « يظن جاهل بعلوم هذه الطائفة ، ان معنى الفناء هو ترك التمييز بين حقائق الاشياء واحكامها ، فتصير الموجودات كلها شيئاً واحداً ، وتبقى المخلوقات له موافقات ، فيبقى النهي عنده كالأمر لفنائه عن التمييز في الاحكام ، فان هذا المذهب معلول مدخول اليه من قصد تعطيل الشرائع وإبطال التكاليف وهو مذهب الاباحية ، وإنّما المعنى فيه « اي في الفناء ، من انه في عن اوصافه وملاحظات اغراضه ، وبقي باوصاف الحق ، فانه انما يفعل الاشياء لغيره لا لوجود استيفائه عن المنافع والمضار »^٢ وقال ابراهيم بن شيبان : « الفناء والبقاء يدوران على خلاص الوجدانية وصحة العبودية ، وما كان غير ذلك فهو المغاليط والزندقة »^٣ .

وقد اختلف جماعة من السادة الصوفية بتحديد عدد هذه المنازل ، فقال الشيخ ابو بكر الكتاني : (ان بين الحق والعبد الف مقام من النور والظلمة) وقال آخرون : ان هذا لكثير على الفقير السالك ،

(١) الايات عن كتاب ايقاظ الهمم في شرح الحكم للشيخ ابن عجيبة ص ٥٣ .

(٢) تأييد الحقيقة العلية بتشديد الشاذلية للسيوطي ص ٦٠ .

(٣) تأييد الحقيقة العلية للسيوطي ص ٦١ .

ولذلك جعلها شيخ الاسلام الامام الهروي مائة مقام تجمع الألف مقام
للتخفيف عن السائر وقسمها الى عشرة اقسام ١ .

الاول : قسم البدايات

اليقظة ، التوبة ، المحاسبة ، الانابة ، التفكير ، التذکر ، الاعتصام ،
الفرار ، الرياضة ، السماع .

الثاني : قسم الأبواب

الحزن ، الخوف ، الاشفاق ، الحشوع ، الاخبات ، الزهد ،
الورع ، التبتل ، الرجاء ، الرغبة .

الثالث : قسم المعاملات

الرعاية ، المراقبة ، الحرمة ، الاخلاص ، التهذيب ، الاستقامة ،
التوكل ، التفويض ، الثقة ، التسليم .

الرابع : قسم الاخلاق

الصبر ، الرضاء ، الشكر ، الحياء ، الصدق ، الايثار ، الخُلُق ،
التواضع ، الفتوة ، الانبساط .

الخامس : قسم الاصول

الفصد ، العزم ، الارادة ، الادب ، اليقين ، الانس ، الذكر ،
الفقر ، الغنى ، المراد .

السادس : قسم الادوية

الاحسان ، العلم ، الحكمة ، البصيرة ، الفراسة ، التعظيم ، الالهام ،
السكينة ، الطمانينة ، الهمة .

السابع : قسم الاحوال

الحبة ، الغيرة ، الشوق ، القلق ، العطش ، الوجد ، الدهش ،

(١) منازل السائر لشيخ الاسلام الهروي من ص ١ الى ص ٥ تلخيص .

الهيان ، البرق ، الذوق .

الثامن : قسم الولايات

اللحظ ، الوقت ، الصفا ، السرور ، السرّ ، النفس ، الغربة ،
الفرق ، الغيبة ، التمكن .

التاسع : قسم الحقائق

المكاشفة ، المشاهدة ، المعاينة ، الحياة ، القبض ، البسط ، السكر ،
الصحو ، الاتصال ، الانفصال .

العاشر : قسم النهايات

المعرفة ، الفناء ، البقاء ، التحقيق ، التلبس ، الوجود ، التجريد ،
التفريد ، الجمع ، التوحيد ، انتهى .

* * *

طلعة المحبوب* غاية المطلوب* من رأى يدري والسوى محجوب*
وجهه ظاهر باهر الاسلوب* لوح نوراني بدا في الوري مكتوب

★

جلّ من أبدع سره المودع في جميع الكون فافتح المخدع*
وافهم الاسرار لا تكن مغلوب لوح نوراني بدا في الوري مكتوب

★

ايها الحادي ينة الوادي حسن الانشاد انني صادي
واسأل الاحباب عن شبح مسلوب لوح نوراني بدا في الوري مكتوب

★

لاحت الانوار زادت الاطوار والفتى المشتاق صاحب الاسرار
وهو للعشاق كلهم يعسوب لوح نوراني بدا في الوري مكتوب

★

(١) من اثابيد الاذكار .

كل من يعرف قلبه يعرف من بحار العلم جهله يصرف
كاسه الملائن رائق المشروب لوح نوراني بدا في الوري مكتوب

★

يا اهبل الحمي ان قلبي حي يا رفيقي قم لي حبيب حي
وارتشف خمري فهو ملء الكوب لوح نوراني بدا في الوري مكتوب

★

صل يا رحمن دائم الازمان للنبي المختار جاء بالقرآن
من له عبد للغني منسوب لوح نوراني بدا في الوري مكتوب

* * *

وقد خالف الشيخ الهروي جماعة آخرون ، فجعلوها أقل مما ذكرت
عدداً للتخفيف على السائر ، على أنهم اجمعوا ان لكل مقام ثلاث مراتب :
البداية ، والوسط ، والنهاية . قال سيدي الجنيد رضي الله عنه : « قد
يُنقل العبد من حال الى حال أرفع ، وقد بقي عليه من التي نقل عنها
بقية يشرف عليها من الحالة الثانية فيصححها » . ٢ .

وفي الحديث الشريف ، المروي عن ابي هريرة ، وهو مخرج في
صحيح مسلم « قال : قال رسول الله ﷺ : (سَيَرُوا سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ)
قيل يا رسول الله : وما المفردون ؟ قال : « المهتزون الذين هتزون
في ذكر الله . يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَنْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
خِفَافاً » . ٣ .

وقد الف جماعة من اكابر السادة الصوفية ، الذين جمعوا بين العلم في الظاهر
والباطن كتباً في منازل السائرين ، وكتباً في اصطلاحات الصوفية منها
الاصطلاحات المذكورة في كتاب الفتوحات المكية ، للشيخ محي الدين
بن عربي قدس الله سره ، ومنها كتاب التعريفات في اصطلاحات الصوفية

(١) ديوان الحقائق للشيخ عبد الغني النابلسي ص ٣١ .

(٢) منازل السائرين للشيخ الهروي ص ٣ .

(٣) منازل السائرين للشيخ الهروي ص ٤ .

السيد الجرجاني ، وقد رأيت ان اذكر بعض هذه الاصطلاحات لزيادة الفائدة ، فالمقام عند السادة الصوفية هو (عبارة عن استيفاء حقوق المراسم) . ١ . والحال (معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب ، ولا اكتساب من طرب او حزن او قبض او بسط او هيئة ، ويزول بظهور آثار النفس سواء اعقبه المثل ام لا . فاذا دام صار ملكاً يسمى مقام) . وقيل : (الحال تغيير اوصاف العبد) .

مقام الحب الالهي : قال سيدي الجنيد رضي الله عنه : « المحبة افراط في الميل بلا نيل ، يعني ميل القلب إلى الرب وإلى ما امر به ، بما يدعو إلى القرب بلا امل عطاء ولا جزاء ذلك » ٢

وقد اجمع السادة الصوفية رضي الله عنهم بالاتفاق ، ان مقام الحب الالهي من اسهل الطرق واقربها الى الله ، قال تعالى في كتابه العزيز ('يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ') وهؤلاء على فريقين - منهم المحبون - ومنهم المحبوبون ، ويطلق على الفريق الثاني اسم المخطوبين ، والحب منه اليك ، ان يأخذك من نفسك ومن كل شيء ، ويحببتك ، ويعلمك ، ويجعلك من المقربين الواصلين . قال شيخنا سيدي - علي وفا - قدس الله سره في هذا المعنى :

قد كنت احسب ان وصلك يشتري بكرائم الاموال والأرباح
وظننت جهلاً ان حبك هين تفتى عليه نفائس الارواح
حتى رأيتك تجتبي وتحص من تحتاره بلطائف الامناح
فعلمت انك لا تنال بحيلة فلويت رأسي تحت طي جناحي
وجعلت في عش الغرام اقامتي فيه غدوي دائماً ورواحي ٣

(١) اصطلاحات الصوفية للشيخ عمي الدين بن عربي ، نشرت في ذيل كتاب التعريفات للسيد الجرجاني ص ٣ و ٥٥ .

(٢) تأييد الحقيقة العلية للسيوطي ص ٥٩ .

(٣) هذه الايات عن شرح المباحث الاصلية لابن عجيبة ص ٧٦ ديوان سيدي علي وفا .

وقال احد الكبار من اهل المعرفة :

فلم يبق إلا الله لا رب غيره حبيب لقلب غاب عن كل مقصد
هنيئاً لمن قد نال حب حبيبه وخاض بترك الغير اكرم مورد
نعيم بلا حدٍ لديه 'مجدد' على عدد الانفاس في كل مشهد ١

وصفة الشهود

مقام الشهود : قال السيد الجرجاني في تعريفاته : « الشهود رؤية
الحق بالحق » ٢ . وقد شرح الشيخ مصطفى نجبا مفتي بيروت ، قول
السيد الجرجاني في كتابه كشف الاسرار فقال : « ذلك لأنه يشهدك
تجلياته ، بسائر مخلوقاته ، لكن من غير حلول ولا ماسمة ، ولا نوع من
انواع التجسيم والتشبيه ، بل هو على ما هو عليه من التنزيه عما لا يليق
به ، كما وقع لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، في تجليه سبحانه على
النار التي رآها موسى عليه السلام في جانب الشجرة ، حيث سمع النداء :
« إنسي أنا الله لا إله إلا أنا فأعبدني » فلم ينكر موسى عليه
السلام ، تجليه سبحانه في النار بل آمن وصدق » ٣ .

قال احد الكبراء من اهل المعرفة القدماء :

هذه أنوار ليلي قد بدت فلسلب العقل يا صاح تهني
فالفتي من سلبته جملة لا الذي تسلبه شيئاً فشيئاً
لا ترى في شمسها ظل السوى فهي شمس وهي ظل وهي في
وإذا الحسن بدا فاسجد له فسجود الشكر فرض يا أخي

* * *

قال الشيخ قطب الدين القسطلاني رضي الله عنه : « شهود الحق أمر

(١) شرح ابن عينية على الحكم العطائية ص ٢٤٢ .

(٢) التعريفات للسيد الجرجاني ص ٨٧ .

(٣) كشف الاسرار للشيخ مصطفى نجبا ص ٦٧ .

اعتباري معنوي وان المراد به إسقاط الغير عن درجة الاعتبار ، وانه في حيز الثلاثي والاصفار ، وان المراد برؤية الله تعالى في كل شيء ، انه يسبق الى قلبه ذكر ربه عند رؤية كل شيء ١ .

وقال سيدي الجنيد رضي الله عنه : « المشاهدة على ثلاثة : مشاهدة من الرب ، ومشاهدة للرب ، ومشاهدة الرب . فالمشاهدة على ثلاث : مشاهدة الحق بالحق ، وهي نظر الوجدان بوجوه الاستدلال على وحدانية الذات ، ومشاهدة للحق ، وهي نظر الحق في قيام المصنوعات وتمام المبدعات وصيانتها عن الآفات ، ومشاهدة الحق قبل الاشياء ، ورؤيته قبل الاشياء ، وهي رؤية خالية عارية عن الوصف عالية عن الكشف ٢ »

قال الشاعر الصوفي الكبير سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه :

تراه إن غاب عني كلُّ جارحة في كل معنى لطيف رائق بهج
في نعمة العود والناي الرخيم إذا تألقا بين ألحان من الهزج
وفي مسارح غزلان الخائل في بُرد الاصائل والاصباح في البلج
وفي مساقط أنداء الغمام على بساط نورٍ من الازهار منتسج
وفي مساحب اذبال النسيم إذا أهدى إليَّ سحيراً اطيب الارج
وفي التثامي ثغر الكأس مرتشفاً ريق المدامة في مستنزه فرج
لم أدر ما غربة الاوطان وهو معي وخاطري ابن كئنا غير منزوع ٣

المقامات الثلاث التي يعول عليها بالسبر والسلوك

وهي ، ١ : مقام الفرق الاول ، هو مقام اهل الحجاب ، وما هم عليه من الوقوف مع الاسباب دون المسبب ، وهؤلاء يستدلون بالصنعة على الصانع . قال الشيخ محمود ابو الشامات : هو مقام الاغيار ، وما

(١) تأييد الحقيقة العلية للشيخ السيوطي ص ٥٩ .

(٢) تأييد الحقيقة العلية للشيخ السيوطي ص ٥٩ .

(٣) ديوان ابن الفارض ص ٩٨ .

هم عليه من شهود انفسهم ، وغيرها من الاشياء ووقوفهم عندها .
الثاني : مقام الجمع .

هو مقام من عرفوا في بحار الاحدية ، ولم يشهدوا سوى ذات الله تعالى الاحدية ، التي هي كالبحار ، والنسبة هنا إلى اسم الله الاحد ، وقد اورد الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت ، في كتابه كشف الاسرار ، كثيراً من اقوال السادة الصوفية من اهل هذا الشأن « منها ان البحار الاحدية ، هي تجلي ذاتي ليس للاسماء ولا للصفات فيه ظهور ولا لشيء من تأثيراتها ، فهي تقتضي نحو الاكوان وبطلانها من حيث الظهور ، مع نحو الاعيان واثباتها من حيث البطون » قال : « ومنها قولهم بلسان الاشارة ان الاحدية بحر بلا امواج ، ولكن الامواج المراد بها الاكوان كامنة فيه لا تظهر في هذا التجلي ، لأنها لو ظهرت لا تكون احدية ، بل تكون واحدية ، ويقال لصاحب الاحدية ، أي المتجلي عليه الحق عز وجل بالاحدية ، هو في مقام الفناء ، أي في عين الجمع المعبر عنه بتجريد التوحيد ، فهي تجريد عن السوي ، وغيبة عن الآثار » هـ .^٢

(١) الالهامات الالهية على شرح الوظيفة الشاذلية للشيخ محمود ابي الشامات الدمشقي ص ٣٨ .

(٢) كشف الاسرار للشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت ص ٩٣ .

ومناسبة حديثي عن مقام الفناء اثبت هنا شعراً مترجماً عن اللغة الفارسية ، ترجمه والقاه بالالفـة الانجليزية الاستاذ احمد غلوش ، قال : « وقد اراد سيدي جلال الدين الرومي تصوير حالة الوصول الى الله بعد بلوغ مرتبة الفناء ، فكتب في كتابه السنوي شعراً بالفارسية هذا معناه (توم الحب انه قرني في محبوبة ، فلما اهدى الى بيته بعد طول السير والجهاد ، وقف بالباب ، فدق عليه يطلب الاذن في الدخول ، فسمع من الداخل صوتاً ينادي : من بالباب؟ فقال الحب: انا بالباب ، فقال الصوت داخل البيت : كلا . كلا . ان هذا البيت لا يعني ويسع احدا سواي ، وظل الباب مغلقاً كما كان ، فأطرق الحب ملياً وعاود جهاده ، ثم رجع بعد عام يقرع الباب ، فعاد الصوت يسأل : من بالباب ؟ فقال ، انت انت الذي هنا ، وانت انت الذي هناك ، وانت وحدك له الوجود ولا وجود سواك . وهنا فتح الباب على مصراعيه ، فدلف منه الحب ليعطى بوصول الحبيب » قال الدكتور : وبهذه الصورة الشعرية الطريفة امكن للمعارف جلال الدين ان يصور لنا كيف ان سلوك سبيل التصوف الحق ، ينيل النفس المتعطشة اقصى ما تصبو اليه من الرقي الروحي » ، هـ (مجلة المنصف الجزء الثاني من المجلد الثالث والستين) .

وقد وجدت في ديوان شيخنا مولاي علي وفا قدس الله سره بيتين
يشيران الى هذا المعنى ، وهما :

القر تجريد الوجود عن الرتب حقاً فهذا لا تقيدته الرتب^١
فاشهد فقيراً هكذا تشهد به احدى التجريد ما فيها ريب^٢
وبما ذكره الشيخ مصطفى نجبا في كشف الاسرار « ان هذا التشبيه
بالبحار يجامع الاحاطة والسعة في كل . كما قال سيدنا الشيخ عبد السلام
بن مشيش قدس الله سره في الوظيفة الشاذلية « وزج بي في بحار
الاحدية ، المحيطة في كل مركبة وبسيطة « اي السعة الذاتية ، المحيطة
بالاشياء كلها . كما قال تعالى في كتابه العزيز : (ألا انه بكل^٣
شيء محيط) ه . ٢

وقال سيدنا علي وفا رضي الله عنه :

هو الحق المحيط بكل شيء هو الرحمن ذو العرش المجيد
هو المشهود في الاشياء يبدو فيخفيه الشهود عن الشهيد
هو العين العيان لكل غيب هو المقصود من بيت القصيد
جميع العالمين له ظلال سجود في القريب وفي البعيد
وعذا القدر في التحقيق كاف فكف النفس عن طلب المزيد^٤

* * *

والاحاطة باللغة ، الاحداق بالشيء من جميع جهاته ، والمراد بها هنا
السعة الذاتية ، التي يلزم منها اضمحلال الاشياء وفنائها في نظر صاحب
المشاهدة . قال الشيخ مصطفى نجبا : « من شهد احدية ذاته تعالى لم
يجد لنفسه ولا لغيره من الاكوان ثبوتاً ولا اثراً . بل يكون مستغرقاً
فيها ، فلا يشهد في ظاهره وباطنه ظهوراً لسواها » ه . ٤

(١) ديوان سيدي علي وفا خط يد لم يطبع .

(٢) كشف الاسرار للشيخ مصطفى نجبا ص ٩٣ .

(٣) ايقاظ الهمم لأبن عجيبة ص ٢٠٠ .

(٤) كشف الاسرار للشيخ مصطفى نجبا مفتي بيروت ص ٩٣ .

وقد نبه الأئمة الصوفية على ان في مقام الجمع اخطار التوحيد ،
 (توحيد الاحدية) إذ يخشى على صاحبه من غلبة الروح عليه في تلك
 الغيبة ، كما وقع للحلاج وغيره ، قال الشيخ محمود ابو الشامات : « يخاف
 على السالك في هذا المقام ، ان يقع في احوال التوحيد ، التي تطلق على
 اشياء كثيرة ، منها الكلام المجرد عن السمعيات ، فهذا أضرّ ما يكون
 على السالك ، والدعوى ، والاستقلال ، والانانية ، وكل ما يعيق الفقير
 عن اللحاق بربه » اهـ ١ . وقد اجمع السادة الصرفية ، ان هذا لعدم
 رسوخ القدم . قال شاعرنا الصوفي الكبير ابو الحسن الششتري الاندلسي
 رضي الله عنه :

فلا تلتفت في السير غيراً فكلاً سوى الله غيراً فأتخذ ذكره حصناً
 وكل مقام لا تقم فيه إنه حجاب فجدت السير ، واستنجد العونا
 ومهما ترى كل المراتب تجتلي عليك فعل عنها ففي مثلها حلنا
 وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب فلا صورة تجلي ولا طرفة تجني ٢

* * *

وقد أورد الشيخ عبد الكريم القشيري ابو القاسم صاحب الرسالة
 القشيرية رضي الله عنه ، طائفة من عبارات الاشياخ في التوحيد . فقال :
 « التوحيد لغة هو الحكم بان الله واحد ، والعلم بان الشيء واحد ،
 ويقال وحدته ، اي وصفته بالوحدانية ، كما يقال شجعته ، اي وصفته
 بالشجاعة ٣ ، وسئل ذو النون المصري رضي الله عنه عن التوحيد فقال :
 « ان تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء بلا مزاج ، وضعه للأشياء بلا
 علاج ، وعله كل شيء صنعه ، ولا علة لصنعه ، ومهما تصوّر في نفسك
 فالله عز وجل بخلافه ؛ وسئل الجنيد رضي الله عنه عن التوحيد ، وهو

(١) الالهامات الالهية للشيخ محمود ابى الشامات ص ٣٩ .

(٢) لباقاظ المهم في شرح الحكم العطائية للشيخ ابن عجيبة .

(٣) كشف الاسرار للشيخ مصطفى نجا ص ٩٤ .

شيخ الطائفتين في عصره ، فقال : « التوحيد أفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته انه الواحد الذي لم يلد ولم يولد ، بنفي الاضداد ، والانداد ، والاشياء ، بلا تشبيه ولا تصوير ولا تمثيل » ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ^١ ، وقال الشيخ مصطفى نجما وهو مفتي الطائفتين في عصره « التوحيد شرعاً أفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفات ، او في اصطلاح اهل الحقيقة ، تجريد الذات الالهية عن كل ما يتصور في الافهام ، ويخيل في الاذهان اه ^٢ .

وقال احد الكبراء من اهل المعرفة رضي الله عنه :

لم يبق بيني وبين الحق تبياني	ولا دليل ولا آيات برهان
هذا تجلي طلوع الحق نائزة	قد ازهرت في تلالها بسطان
لا يعرف الحق إلا من يعرفه	لا يعرف القدي المحدث الفاني
لا يستدل على الباري بصنعه	رأيتُ حدثاً ينبي عن ازمان
كان الدليل له منه اليه به	من شاهد الحق في تنزيل فرقان
كان الدليل له منه به وله	حقاً وجدناه بل علماً بتبيان
هذا وجودي وتشرحي ومعتدي	هذا توحد توحيددي وإيماني
هذا عبادة اهل الانفراد به	ذوي المعارف في سر واعلان
هذا وجودٌ وجود الواجدين له	بني التجانس اصحابي وخالني ^٣

* * *

(١) سورة الشورى .

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٣٥ .

(٣) من كتاب التعرف لمذاهب اهل التصوف تأليف الشيخ الكلاباذي ص ٣٨ .

حدثني الدكتور فيليب حتي الاميركي اللبناني الجنسية في زيارته الأخيرة للبنان وهو من اكابر علماء التاريخ في هذا العصر واستاذ التاريخ في جامعة برنستون في الولايات المتحدة بامريكا قال انه وزميل له في الجامعة ، قد اهتم وطبعاً كتاب التعرف لمذاهب اهل التصوف تأليف الشيخ الكبير الكلاباذي ، في تلك الجامعة ، ولا ريب في ان هذا النسخة غير النسخة التي طبعت في مصر واخذت عنها .

مقام الفرق الثاني

هو مقام الوحدة الجامعة للأسماء والصفات ، وهو مقام المحققين الذين لا يرون الاكون والاعيان إلا بعد مشاهدته تعالى ، ومشاهدة اسمائه وصفاته . قال خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه « ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله » وقال العارفون : « إن الاكون آثار الاسماء والصفات ، وتدل عليها كما قال تعالى في كتابه العزيز (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) ١ . فالعارف المحقق يرى الله قبل آثاره ويستدل به عليها ، والمحجوب يراها قبله ويستدل بها عليه ، وهذا مقام خاصة الخاصة ، اهل الرسوخ والتمكين ، الذين كلما شربوا من خمر الحقيقة ازداد صحوهم ، وتجوهر عقلمهم . ويقال لصاحب الوحدة ، هو في مقام البقاء ٢ لكونه يرى قيام الحق على كل شيء ، فهي بحر والاشياء الكونية بأسرها امواج ، يقيسها البحر ويقعدها وكلها به قائمة ٣ .

قال شاعرنا الصوفي الكبير سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه :
 وقامت بها الاشياء ثم لحكمة بها احتجبت عن كل من لاله فهم
 ولسيدي الجنيد رضي الله عنه ، ابيات تشير الى الفرق والجمع حيث قال
 وتحققك في سر ي فناجك لساني
 فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان
 إن يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني
 فلقد صيرك الوجد من الاحشاء داني ٥

(١) سورة فصط .

(٢) البقاء رؤية العبد قيام الحق على كل شيء . (اصطلاحات الصوفية في ذيل التعريفات للبرجاني

ص ٤) وفي الرسالة القشيرية قيام الاوصاف المحمودة ص ٣١ .

(٣) ايقاظ الهم لابن عجيبة ص ١٨٥ وكشف الاسرار للشيخ مصطفى نجما مفتي بيروت ص ٩٥ .

(٤) ديوان ابن الفارض ص ٩٥ .

(٥) ايقاظ الهم لابن عجيبة ص ٣٦٣ .

ويُسمّى مقام البقاء بالجمع والفرق ، من حيث ان شهود العبد لربه جمعه وشهوده لصنعه فرقه مع كمال الاستغراق فيه ، ويرى الشيخ مصطفى نجبا ، مفتي بيروت ، : « أن هذا المقام هو المعبّر عنه بجمع الجمع ^١ حيث ذكر في كشف الأسرار ، قول جماعة من الاشيّخ عن مقام جمع الجمع ^٢ وهو عبارة عن أخذ الحق عبده بعد فنائه فيُسكّره ^٣ في شهود ذاته تعالى فيصير فانياً عن نفسه وعن السّوى لكنه يُردُّ الى الصّحو ^٤ عند اوقات الفرائض ، والقيام بأمر الخلق فيكون هذا الرجوع لله بالله » قال : « وهذا الرجوع يسمّى : الفرق الثاني ، وهو شهود قيام الخلق بالحق ، ورؤية الوحدة في الكثرة ، والكثرة في الوحدة من غير احتجابٍ بأحدهما عن الاخرى ، وهذه هي الولاية الكاملة » اهـ .
وقال جماعة آخرون من اهل هذا الشأن : ان مقام الفرق الثاني غير مقام جمع الجمع . وإن عين الوحدة فوق المقامات . وهذه الرتبة مطمح شهود القطب الغوث الاكبر كونه منزّه من ان ينحصر في وصف دون الآخر من حال إلى حال .

وقال الشيخ - محمود ابو الشامات - في كتابه الالهامات الالهية « السّفر الرابع من أسفار العارفين هو سفر الخلق إلى الخلق بالمعرفة الكاملة والحقيقة الشاملة ، وهي النزول بظهور الآثار وأنصباغها بوجود الواحد القهار ، وهذا معنى قولهم ، النهايات رجوع البدايات ، ولا يفهم هذا السفر على ما هو عليه إلا الورثة المحمديون ، أصحاب الارشاد ، فاما السفر الاول فهو من الخلق إلى الحق بالفناء عمّا سواه سبحانه ،

(١) جمع الجمع ، في اصطلاحات الصوفية ، للشيخ محي الدين بن عربي ، المنشورة في ذيل التعريفات للجرجاني ، هي الاستهلال بالكية في الله ص ٤ .

(٢) السكر غيبه بوارد قوي « اصطلاحات الصوفية » ص ٤ .

(٣) الصّحو : رجوع الى الاحساس بعد الغيبة - « اصطلاحات الصوفية » - للشيخ محي الدين ص ٤

(٤) كشف الأسرار للشيخ مصطفى نجبا مفتي بيروت ص ١٤١ .

والثاني من الحقّ الى الحقّ بالتحقق والتنزه عن الاكوان وصفاتها بالكلية ، والثالث من الحقّ الى الخلق بالتنزّل في مراتب الاسماء الالهية والصفات الربانية ، وأما السفر الرابع الذي هو نهاية الاسفار ، فهو لوحد الزمان وفرد الأوان إنسان عَيْن الأعيان خليفة الرحمن في عالم الامكان - محمد الوقت - الذي فيه قلت في رسالة المُعَشَّرَات في حرف الميم « ١ » .

محمدُ أَوْقَتِ عَيْنٌ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ لَهُ الظهورُ بِحُكْمِ الوقتِ للأَمَمِ -
 موسى وعيسى وتلك الرسل كلهمُ هُم عَيْنُهُ بوجودِ الله لا بِدَمٍ -
 مظاهر الذات لا تعداد يلحقها حقيقة العَدَّةِ بِالأَسْمَاءِ للعَظَمِ اه
 ويرى السادة الصوفية رضي الله عنهم ، ان القول بالحلول كفر ، لأنه يقتضي حالاً ومحلولاً وتنزه الله عن ذلك . وعندهم ان الله سبحانه قائم على كل شيء ، والوجود قائم به ومظهر من مظاهره ، ويشبهون الاكوان في امواج البحر ، فالموجة لا يكون الماء حالاً بها لان لا وجود لها غير وجود الماء ، وإنما هي صور قائمة به .

وفي كتاب - الانسان الكامل - لسيدي عبد الكريم الجيلي ، رضي الله عنه تشبيه لطيف ، فقد شبه السر الالهي كماء الثلجة الذي في باطنها وبذلك يقول في قصيدته العينية الشهيرة :

وما الخلق في التمثال إلا كتلجة وانت بها الماء الذي هو تابع
 وما الثلج في تحقيقنا غير مائه وغيرات في حكم دعتة الشرائع
 ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماء والأمر واقع
 تجمعت الاضداد في واحد بها وفيه تلاشت وهو عنهن ساطع^٢

ثم مثل الكون بصورة جبريل عليه السلام حين كان يتصور بصورة -
 دحية الكلبي - رضي الله عنه فقال :

(١) الالهامات الالهية لشيخ عمود ابي الشامات ص ٣٥ .

(٢) الانسان الكامل لسيدي عبد الكريم الجيلي ص ٣٨ الجزء الاول .

تجلت بالتحقيق في كل صورة ففي كل شيء من جمالي لوامع
فما الكون في التمثال إلا - كدحية - تصور روحي فيه شكل مخادع^١
وقال سيدي عمر ابن الفارض ، رضي الله عنه ، في الحزمة الازلية :
شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل ان يُخلق الكرم
ثم يستوسل قائلاً :

لها البدر كأس ، وهي شمس يديرها هلال وكم تبسود إذا مزجت نجم
ويصفها فيقول :

يقولون لي صفها ، فأنت بوصفها خبير ، اجل عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ، ولطف ولا هواء ونور ولا نار ، وروح ولا جسم
تقدم كل الكائنات حديثها قديماً ولا شكل هناك ولا رسم
ويضي فيقول :

وعندي منها نشوة قبل نشأتي معي ابدأ تبقى وإن بلي العظم^٢

* * *

ويرى سادتنا الصوفية رضوان الله عليهم ، ان الكائنات كلها تكثيف
لاسرارها اللطيفة ، فلو ظهرت المعاني لاضحلت الاواني ، وقد اشار سيدي
عمر بن الفارض الى هذا بقوله :

ولطف الاواني في الحقيقة تابع للطف المعاني والمعاني بها تسمو^٣
وقال الشاعر الصوفي الاندلسي الكبير ابو الحسن الششتري في احد ازجاله
لا تنظر الى الاواني وخض بحر المعاني اعلك تراني
ولهذا الشاعر العظيم نشيد رائع في هذا المعنى أثبتته هنا :
لقد أنا شيء عجيب لمن رأني أنا المحب أنا الحبيب ما ثم ثاني

★

(١) شرح الحكم المطائبة لأبن عجيبة ص ٢٠٢

(٢) ديوان ابن الفارض ص ٩٤ .

(٣) ديوان ابن الفارض ص ٩٥ .

يا قاصداً عين الخبر غطاءً أينك أنظر لذاتك واعتبر ما ثم غيرك
أحمر منك والخبر والسر عندك وأنت مرآة النظر عين العياني
وفيك يطوى ما انتشر من الاواني

★

إسمع كلامي وانبه إن كنت تفهم لأن كنزك قد عرى عن كل طلسم
من هو المكتم والكلم عن طور الأفهام إسمع ندائي من قريب بلا آذان
فشمس ذاتي لا تغيب عن العياني

★

أنظر جمالي شاهداً في كل إنسان الماء يجري نافذاً في أس الاغصان
يسقى بناء واحد والزهر ألوان أسجد لهيبة ذي الجلال عند التداني
ولتقرا آيات الكتاب سبع المثاني

* * *

والوصول إلى الله تعالى لا يكون إلا بواسطة الحضرة المحمدية ، قال
الله تعالى « قل إن كنتم تحبون الله فأطيعوا الله فأتبعوني يحببكم الله » وقال جل
وعلا : « ومن يطع الرسول فقد اطاع الله : إن تطيعوه تهتدوا :
وابتغوا إليه الوسيلة » ١ قال الشيخ مصطفى نجا « من شهد الوسيلة فقد
شهد المقصد فالواصل الى حضرته ﷺ واصل الى ربه قطعاً بالاتفاق »
وقال : « ان الله تبارك وتعالى جعل الحقيقة المحمدية واسطة لأيجاد مخلوقاته ،
والنبي ﷺ هو الحجاب الأعظم وهو حياة ارواح العوالم ، والارواح التي
لا تشهد ذلك ولا تدرك انه عين حياتها فهي من الاموات اه ٢ .
وقد اجمع السادة الصوفية على ان الحقيقة المحمدية هي التعيين الاول ،
الذي ظهرت منه النبوة والرسالة والولاية ، ونشأت عنه جميع التعينات
ولأجل ذلك كان نبينا محمد عليه الصلاة والسلام سيد الوجود واصل كل

(١) كشف الاسرار للشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت ص ٨٢ و ٨٣ و ٩٧ و ٩٨ .

(٢) الفتوحات المكية للشيخ محي الدين بن عربي ص ٩٧ شرح القاشاني على الفصوص للشيخ

محي الدين بن عربي ص ٢٦٦ و ٢٦٧ .

موجود، وهو اول الاولين وخاتم النبيين، المختص بالاسم الاعظم الذاتي الذي لا يكون إلا له دون جميع الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث انه المرجع الاصيل، لجميع التعينات، قال رسول الله ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»^١.

قال السيد البكري رضي الله عنه:

قبضة النور من قديم أرتنا في جميع الشئون قبضاً وبسطاً وهي اصل لكل اصل تبدت بسطت فضلها على الكون بسطاً وهي وتر قد أظهرت عدد الشفع بعلم فجعل حصراً وضبطاً ولدت شكلها فأنتج شكلاً بشرياً أقام للعادل قسطاً وهو عبد قد حررت له لدها بيديها وكم افاد وأعطى حقيقته بحققها فهو حق جاء بالحق ينظم الخلق بسطاً

ويضي فيقول:

عالمٌ عنه آدمٌ 'علم السر وعلم الأشياء رسماً وخطاً'^٢
وقال سيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه:

يقولون لي ما العلم ما السر ما الذي هو الجوهر العالي عن البحر خبيرنا فقلت لهم هذي مطالع نورنا ومغربها فينا ومشرقها منا على الدرة البيضاء^٣ كان اجتماعنا ومن قبل خلق الخلق والعرش قد كنا

(١) لهذا الحديث شاهد من حديث ميسرة الفخري بلفظه كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد، أخرجه احمد والبخاري في تاريخه وصححه الحاكم، وقال السيوطي في الجامع الصغير حديث كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد، رواه ابن سلا عن عبد الله ابن شفيق عن ابي الجندعاه. ورواه قانع عن عبد الله ابن شفيق، عن ابيه، ورواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس، ورواه ابن سعد عن ميسرة الفخري.

حديث (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) استشهد به الشيخ مصطفى نجما واعتمده في كشف الاسرار ص ٦٢، وذكر حديثاً اخر فقال روي ان الله تبارك وتعالى قال لآدم عليه السلام، لولا محمد ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا ارضاً، كشف الاسرار ص ٦٣.

(٢) ديوان الحقائق للشيخ عبد الغني النابلسي ص ٢٠٩.

(٣) الدرة البيضاء هي النور المحمدي المسمى بالحقيقة المحمدية المشتق عنها ما كان وما يكون.

تركنا البحار الزاخرات وراءنا
وقال البوصيري رضي الله عنه ، في بردة المدح :

وكل آي أتى الرسل الكرام بها
فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها
يظهرن انوارها للناس في الظلم

* * *

وقال في الهزبية :

كيف ترقى رُفيعك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في علاك وقد حاسل سناً منك دونهم وسناء
إنما مثلوا صفاتك لنا س كما مثل النجوم الماء

* * *

ومضى يقول :

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الاسماء

*

وقال شيخنا سيدنا علي وفا قدس الله سره في مدح النبي ﷺ من

قصيدة مطولة :

قطب النهى غوث العوالم كلها أعلى عليّ سار احمد من حمد
روح الوجود حياة من هو واجد لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وموسى والصدور جميعهم هم أعين هو نورها لما ورد
لو أبصر الشيطان طلعة وجهه في وجه آدم كان اول من سجد
او لو رأى النمرود نور جماله عبد الجليل مع الخليل وما عند
لكن جمال الله جلّ فلا يرى إلا بتخصيص من الله الصمد

* * *

(١) ديوان الحقائق للشيخ عبد الغني النابلسي من ٢٧٧ .

المتجردون

حياة الفقراء في الزاوية

بدرُ المتى لما دنا زال العنا يا اولى الألباب ١
كونوا حزينا

★

يا هلالاً لاح من أم القرى نور العرش وأطباق الثرى
يا لقومي هل سمعتم في الورى مثله من يجعل الفقر غنى؟!

★

صار دهري كله فيه سرور وحباني بعد غيبي بالحضور
نقطة الباء التي منها السطور ظهرت بعد الحفا في عصرنا

★

روقت خمري بأقداح اليقين أزلاً قبل وجود العالمين
من شذاها صار كل العارفين يشهدون الحق في دار الفنا

★

أظهر الله بها كل المنح مذ عليُّ القدر للباب فتح
وعلينا قد تجلى بالفرح بعد ما زال سوى من حيننا

★

أشرفت من جانب الطور القديم أدهشت من نورها موسى الحكيم
عاد منها كل شيء كالرميم ما بقي حي سواها عندنا

* * *

حياة الفقراء في الزاوية

وبعد ، فالفقير الصوفي المنتسب الى طريق الله ، إما ان يكون في
مقام التجريد او الأسباب . الأول : معناه الانقطاع الى الله عما سواه ،
الثاني : ان يسلك في الطريق وهو باق على حاله يسعى الى الرزق ويعمل
لأمور دنياه . ولهذا ينقسم الفقراء الصوفية ، الى فريقين ، يجمعها السير
والسلوك في طريق القوم تحت تربية شيخ كامل من اهل الارشاد
(١) من اشيد الاذكار وفي مجالس انس القوم بالله ، للشيخ عبده الحمصي الدمشقي .

الوارثين . والمريد الداخل تحت تربية هذا الشيخ الكامل جميع مشاهدته واحواله لا تكون إلا بمرآة شيخه وواسطته ، وهذا معنى قولهم إن الفناء على ثلاثة اقسام : الأول في الشيخ ، الثاني في الحقيقة المحمدية ، الثالث في الله عز وجل . فالسالك إذا كشف له عن حقيقة ما من الحقائق المحمدية ، لا تنقطع الوساطة بينه وبين شيخه اصلاً . والمريد الموفق السعيد ، هو الذي لا يغفل عن شيخه في حال من الأحوال ، ولا في مقام من المقامات .

قال سيدي الشيخ - محي الدين بن عربي - رضي الله عنه في كتابه الوصايا اليوسفية ، (يجب على المريد ان يعتقد في شيخه انه المتعكف فيه ، وأن الله تجلّى له في صورته كما قال تعالى في حق الرسول ﷺ : من أطاع الرسول فقد أطاع الله ، فان كل مخبر إذا لم يخبر عن نفسه واخبر عن غيره فإنه قد تجلّى لك في صورة ذلك الغير من حيث ما اخبر به ، وقد تجلّى ذلك الغير في صورته من حيث انه المترجم عنه فهو القائل لا هذا المشافه بالخبر .)^١

والحقيقة الانسانية عند محققي الصوفية ، هي اللطيفة المدركة الربانية المودعة في ذات الانسان ، وهي التي تميز بها النوع الانساني عن الحيوانات العجم ، ويقال لها النفس الناطقة ويعبر عنها بالنفس والروح والقلب والعقل والسر ، فجميع هذه الاسماء شي واحد ، واختلاف الاسماء لاختلاف الصفات فهي ان مالت الى النقائص كانت نفساً ، فان مالت الى الكمالات كانت روحاً وقلباً وعقلاً ، وان تخلصت وصفت وتمكنت من الكمال بذهاب آثار النقص ، كانت سرّاً ، وحينئذ تقوى على حمل الأسرار ، وتسطيع على ذات صاحبها الانوار^٢ . قال سيدي الشيخ ابن عجيبة رضي الله عنه : في - شرح المباحث الاصلية - « إذا تركت

(١) شرح الوظيفة الشاذلية للشيخ محمود ابني الشامات دمشقي ص ٢١ .

(٢) كشف الاسرار للشيخ مصطفى نجا ص ٩٨ .

النفس من لوث الانوار ، وهو الوقوف مع المقامات او الالتفاتات
والكرامات ، سميت سر السر ، ^١ . وقال ايضاً :

« إعلم ان تطورات الروح من النفس والعقل والقلب والروح
والسر ، كل طور له حد ينتهي اليه في العلم والادراك ، اما النفس
فحد علمها وادراكها زينة ظاهر الكون اغتراراً بمتعة ظاهرة ، وغفلة من
عبوة باطنة ، واشتغالاً بمحوظها . واما العقل فحد علمه وادراكه التوجه
الى خالقه بتوك الاغيار وطلب الانوار ، فقد انطلق من العقال وشد في
طلب مولاه الرحال ؛ واما الروح فحد علمها وادراكها مواجهة انوار
الملكوت طالبة اسرار الجبروت قد استراحت من تعب السير ، لكنها لم
تتمكن من السر ؛ واما السر فحد علمه وادراكه الجبروت نفذت
البصيرة من الوقوف مع انوار الملكوت ، وهذا منتهى السير . قال
تعالى : (وان إلى ربك المنتهى) ^٢ وفي هذا قال شيخنا سيدي
ابو العباس المرسي قدس الله سره :

لو عاينت عيناك يوم تزلزلت ارض النفوس ودكَّت الاجيال
لرايت شمس الحق يسطع نورها يوم التزلزل والرجال رجال ^٣ ،

قالوا : « إن النفس وهي الروح باقوتة رفيعة ، جعلها الله في صدف
بشريتك ، فاذا صحبت الأبرار الأخيار ، فقد صنتها ورفعتها واعتنيت
بها ، لأن مقام الشهود والوصول الى الله تعالى ، لا ينال إلا بصحبة فرد
كامل أكمل ، والمراد بانها لا تنال على أكمل وجوها ، وأتم شهودها ،
وإلا فربما تنال بطريق الجذب لشخص مجذوب لا يُنتفع به في الارشاد ،
فوجود الشيخ الركن الأول في الطريق ، وعلوم القوم لا تؤخذ عن
الكتب ، وانما تؤخذ عن الرجال . ولا بد للسالك من شيخ بصير يدلته

(١) شرح المباحث الاصلية للشيخ ابن عجيبة ص ٢٢٠ .

(٣) سورة النجم .

(٤) شرح المباحث الاصلية للشيخ ابن عجيبة ص ٥٩ .

على اللائق بصلاح احواله في مقام الاستقامة وقطع مسافة النفس ، قال شيخنا سيدي احمد زروق قدس الله سره « رب شخص ضره ما انتفع به غيره ، ويدل على ذلك اختلاف احوال الصحابة رضوان الله عليهم في اعمالهم ووصاياهم عليهم السلام لهم ومعاملتهم معهم ، فقد نهى عبد الله بن عمر عن سرد الصوم ، وأقر عليه حمزة بن عمر الأسلمي ، وقال في ابن عمر : نعم الرجل لو كان يقوم في الليل . وأوصى ابا هريرة ان لا ينام على وتر . وامر ابا بكر برفع صوته وعمر بالاختفاء ، وتفقدها عالياً وفاطمة لصلاتها في الليل وعائشة تعترض بين يديه لا يوقظها ، وأعلم معاذاً بان من قال لا إله إلا الله ، وجبت له الجنة ، وأمره بإخفاء ذلك على الناس ؛ وخص حذيفة بالسر وأسرّ لبعض الصحابة أذكراً مع ترغيبه في العبادة عموماً . وهذه كلها تربية منه عليه السلام ، في مقام الاستقامة . ومذهب الصوفي تابع لمذاهب السلف . وحكم التابع كحكم المتبوع فيما سبق فيه ، وإن كان المتبوع افضل » ١ ، ولهذا كان المرید يقفني آثار شيخه ، ويتكامل بكماله حتى بعد انتقال الشيخ الى دار البقاء ، وإن عدم الاجتماع بالشيخ لا يوقف سير المرید ، ولا يقدح في محبته وصحبته لشيخه وانتسابه اليه . فنحن نحب صحابة رسول الله عليه السلام ، والتابعين والأئمة المجتهدين وما رأيناهم ولا عاصرناهم وقد انتفعنا بأقوالهم وافتدينا بهم ، ولكن من شرط طالب العلم في بدايته الاستماع والقبول ، ثم التصور والفهم ، ثم التعليق والاستدلال ، ثم العمل والنشر . ومن قدم رتبته عن محلها حرم الوصول الى حنيفة العلم ، والعالم بغير تحصيل مذلة ، ومحصل دون تصوير لا عبرة به ، وصورة لا يحصنها الفهم لا يفيدها غيره ، وعلم عربي عن الحجة لا ينشرح به الصدر ، وما لم ينتج فهو عقيم » ٢ .

وقد اختلف السادة الصوفية في بذل علمهم لغير اهلهم ، فمن قائل :

(١) قواعد التصوف لسيدي الشيخ احمد زروق ص ٣٣ .

(٢) قواعد التصوف لسيدي الشيخ احمد زروق ص ١٤ .

لا يُبذل إلا لأهله ، وهو مذهب الثوري ، وغيره . ومن قائل :
يُبذل لغيرهم ، ومذهب الجنيدي رضي الله عنه ، أن العلم أسمى من أن
يصل لغير أهله ، وقيل له : يسألك الرجلان عن المسألة الواحدة فتجيب
هذا بخلاف ما تجيب الآخر ، فقال : « الجواب على قدر السائل . قال
رسول الله ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدَرِ عُقُولِهِمْ »^١
وفي رواية ثانية للترمذي : « أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدَرِ
عُقُولِهِمْ »^٢ .

وقد كثرت اقوال السادة الصوفية في الصجبة وهم يرون ، ان في
صحبة العارفين والجلوس بين أيديهم مددآ كبيرآ للقلوب والأرواح ، لأن
الأسرار غذاؤهم وشرابهم وفيه دواؤهم وشفائهم ، كل على قدر صدقه
ومحبته وعلى قدر مقامه ومرتبته ، قد علم كل أناس مشرهم .

« فالشيخ طيب القلوب وأبو الأرواح ، وهو مفضل على الي
الاشباح ، ويشتد فيه ان يكون عارفاً بأدوية القلوب وأغذية الأرواح
وأسقيتها ، عالماً بمنافع الأذكار وأذواقها ، ونتائج الأفكار ومعارفها .
فلأذكار كالأغذية للقلوب ، والعلوم كالأسقية لها ، والمذاكرة كالأغذية
للأرواح والفكرة والنظرة كالأسقية لها ، والشيخ يعطي المرید حسب القابل
والاستعداد ، ولا بد ان يكون عند ذلك الشيخ دين الانبياء بالاتباع
وتدبير الاطباء وسياسة الملوك ، وحينئذ يقال له استاذ . ويشتد فيه
ايضاً ان يكون عارفاً باحواطر النفسانية والشيطانية والملكية والربانية ،
وبالمقاصد السنية والدنية ، والهمم العالية ، فيعالج المرید من الاخلاط
بجمع قلبه على الله ، والغيبة عن سواه ، والفناء التام ، وتفرغ القلب
على الدوام ، ويعالجه من المقاصد الدنية ، كحب الحظوظ والحروف ،
بالدلالة على تحقيق العبودية ، والقيام بوظائف الربوبية ، وهو مطلب

(١) قواعد التصوف لسبدي الشيخ احمد زروق ص ٨ و ٩

قال جماعة من العارفين : « لا بد للشيخ ان يرضَ العلوم ، أي ان يتمرّ فيها حتى تصير طوع يده ليكون في اموره على بينة من ربه ، ويعلم الموجود الحقيقي وهو واجب الوجود ، والمعدوم الحقيقي ، وهو ما سوى الله ، وأن يكون في ابتداء امره فقيهاً اذ لا يحل لامرئ ان يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه ، وأن يعلم سائر الأحكام ليفرق بين ما يحل وما يحرم عليه ، وان يدري حدود الاشياء ورسومها في المنطق والأصول ، والمراد هنا اصول الفقه .

كمعرفة الواجب والمندوب والمكروه والحرام والحاص والعام ، والقياس والاجماع وغير ذلك مما هو مقرر في فن الاصول ، وان يعلم اللسان وهو علم العربية والتصريف واللغة والبيان والمعاني ، وان يدري معاني الذكر الحكيم اي التفسير ليتمكن من التدبر فيه ، وان يعلم حديث رسول الله ﷺ ، اذ التصوف مبني على الكتاب والسنة ولهامات العارفين المؤيدة بها « ٢ قال الجنيد رضي الله عنه : « علمنا هذا مؤيد بالكتاب والسنة ، فمن لم يكتب الحديث ويجالس العلماء لا يقتدى به في هذا الشأن . وقال : من لم يكتب الحديث ويجالس العلماء ويتأدب بأدب المتأدبين ، افسد من اتبعه » فان قيل كيف هذا ، وقد كان من رجال الطريق وأئمة التصوف أفراد كمل أميون ؟ والجواب في الآية الكريمة « واتقوا الله ويعلمكم الله » . فهذا شيخنا سيدي - محمد وفا - بحر الصفا من اقطاب سلسلة طريقتنا العلية ، كان أمياً وهو صاحب - كتاب الأنفاس - وكتاب العروش - وكتاب فصول الحقائق وكتاب الشعائر - والتائية الكبرى - وله ديوان ضخم في الموشحات والأناشيد الصوفية ، وله كلام عالٍ في علوم القوم ، وكان سيدي - علي الحوّاص - الذي تلقى عنه

(١) شرح المباحث الاصلية لأبن عجيبة ص ١٨٣ و ١٨٤ .

(٢) مقتبس من شرح المباحث الاصلية لأبن عجيبة من ص ١٧٦ و ١٧٩ و ١٨٤ .

مريده سيدي - عبد الروهاب الشعрани - كتاب الجواهر والدر الكبير -
وكتاب الجواهر والذُرر الثاني - وكتاب درر الغواص على فتاوي
الخواص - كان أمياً .

وكان سيدي - عبد العزيز الدبّاغ - أمياً وهو صاحب كتاب
- الابريز - ، وكثير من علمهم الله وخرقت لهم العادات ، اولئك
الذين انعم الله عليهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب .
ولكن لا ينبغي لنا ان نجعل هؤلاء السادة الذين علمهم الله مقياساً
لغيرهم من الشيوخ الأميين ، هؤلاء السادة الافراد الكُمَّل من فحول
الرجال وأئمة الطريق حتى ان معظم الفقهاء في عصر كل واحد منهم ،
كانوا يجلسون بين ايديهم جلسة المستفيد ، يتلقون عنهم نفعنا الله بهم
وباقوالهم ، إذن لا بد للعارف في بدايته ان يأخذ ما يحتاج اليه من
العلم الظاهر وقد يتبحر فيه ، ثم ينتقل إلى العمل على اكمل حال ،
وإلا فلا عبارة بمعرفته إن لم يعبد معروفه ثم يزيد عليها بوراة الاخلاق
التي كان عليها باطن رسول الله ﷺ ، من زهد وورع ، وخوف ورجاء
وصبر وحلم وكرم ، وشجاعة وقناعة وتواضع وتوكل ومحبة ومعرفة ،
 وغير ذلك مما يطول ذكره ، ' ، ولهذا قالوا : « الناس على ثلاث :
عالم ، وعابد ، وعارف ، فالعالم ورث اقوال رسول الله ﷺ ، تعلماً
وتعليماً بشرط اخلاصه ، وان لا يجعل علمه غاية لدنياه ، وإلا خرج
من الوراثة بالكلية . والعابد ورث افعاله ﷺ ، من صيام ، وقيام ،
ومجاهدة ظاهرة ، فقد قام رسول الله ﷺ الى ان تورمت قدماه
الشريقتان ، وكان يصوم كثيراً ويفطر كذلك ، والعارف الصوفي ورث
الجميع ، فهو عالم ، وعابد ، وعارف ، فقد جمع بين العلم والعمل
والحقيقة والمعرفة ، وقد اجمعوا على انه لن ينال احد من العلماء والعباد
والصوفية من علمه ﷺ او عمله او خلقه إلا رشفة او رشة ، فقد اختص

(١) قواعد التصوف لسيدي احمد زروق ص ٦ .

رسول الله ﷺ بخصائص لم يشاركه فيها احد ، فكان على مقام لا يدرك ولا يلحق ولا يعرف ، قال شيخنا وإمامنا الأكبر سيدي عبد السلام بن مشيش - رضي الله عنه في الوظيفة الشاذلية : (وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق ، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منّا سابق ولا لاحق) وقال شاعرنا الصوفي الكبير سيدي البوصيري رضي الله عنه في بردة المدح :
كلهم من رسول الله ملتصق غرقاً من البحر او رشفاً من الدير
وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم او من شكلة الحكم^٢
ولهذا كان الاقبال على الانتساب الى اقطاب سلسلة طريقتنا الشريفة ،
الوارثين في كل عصر من العصور عظيماً ، سواء كان الفقير المنتسب من
اهل التجريد او الاسباب .

وينقسم أهل الأسباب الى ثلاثة أقسام :

منهم الذين يسعون الرزق في بلادهم ، ويزورون الشيخ فيأتوت من بلاد شتى ومن قبائل شتى ، ثم يعودون الى اوطانهم واعمالهم ، ومنهم الذين يعملون لدنياهم ويعيشون بجواره من سكان المدينة ، ومنهم الفقراء الذين هاجروا ليكونوا على مقربة من الشيخ ثم اوجدوا لأنفسهم عملاً في تلك المدينة .

اما الذين اقامهم مولاهم سبحانه وتعالى في مقام التجريد ، فهؤلاء يعيشون في الزاوية بين يدي الشيخ لا يلتفتون الى الدنيا ، بعد انقطاعهم الى الله عز وجل ، وقد كان في زاويتنا عدد كبير من هؤلاء المتجردين المنقطعين إليه جل وعلا ، من طبقات متفاوتة ، واجناس مختلفة منهم العربي ، والتركي ، والمغربي ، والهندي ، والفارسي ، والسوداني ، كانوا

(١) شرح المباحث الاصلية للشيخ ابن عجيبة ص ١٠٠ و ١٠١

(٢) من قصيدة البردة .

اخوة بالله في الطريق ظاهراً باطنياً ، على منهاج الشرع الشريف الحمدي ،
 بتهديب النفوس وصل الطباع ، وانكار الذات ، والاستغراق بشهود
 ذات الله تعالى ، كما قيل :

فما لهم همهم تسمو على أحد	قوم همومهم بالله قد عقلت
يا حسن مطلبهم الواحد الصمد	فطلب القوم مولاهم وسيدهم
من المطاعم والذات والولد	ما ان تنازعهم دنيا ولا شرف
ولا لروح سرور حل في بلد	ولا للبس ثياب فائق أنقى
قد قارب الحطو فيها باعد الأبد	إلا مسارعة في إثر منزلة
وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد	فهم رهائن غدران وأودية

* * *

فبادر ذوي الدين ٢	هلال الهدى قد لاح
من قبل تكويني	صوت به يا صاح

*

عياناً بلا ستر	تجلى على الاكوان
ها ليلة القدر	يا ربّة العرفان

*

من جانب الغرب	عير الحمى قد فاح
من عالم الغيب	صرنا به ارواح

*

فؤادي يناجيني	لولا العلى ما كان
للقرب ناديني	يا ربّة العرفان

*

ان جئت خلّاني	نسيم الصبّا بالله
رفقاً بولهان	قل يا أهيل الجاه

(١) الايات من كتاب التعرف للكلاياذي لم يذكر المؤلف اسم ناظمها ص ١٠ .
 (٢) من اناشيد مجالس القوم للشيخ عبده الحمصي الدمشقي .

صلاة من الغفار
على معدن الاسرار

حُلاها من الجوهر
من للهدى اظهر

★

محمد ضيا الأبخار
مدى الدهر في (ال

من خُص بالكوث
اسجار) ما ربُّنا يُذكر

★

كذا آله الاخيار
خصوصاً رفيق الغار

واصحابه تنشر
صديقه الاكبر



اوراد

الطريقة الشاذلية اليشرطية

اوراد الطريقة الشاذلية البشروطية

يجب على كل منتسب الى الطريقة الشاذلية البشروطية ، تلاوة اوراد الطريق صباحاً ومساءً بعد صلاة الفجر ، وبعد صلاة المغرب ، وهي (استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه) مائة مرة ، والصلاة على النبي وآله وصحبه مائة مرة ، وقول : لا اله الا الله مائة مرة ، وتختتم بقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتتلى الوظيفة الشاذلية المسماة بالورد الكبير في كل يوم مرتين بعد صلاة الصبح ، وبعد صلاة العشاء الاخيرة عملاً بحكم الآية الكريمة (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) وقد سماها سيدنا الشيخ ابو الحسن الشاذلي قدس الله سره : صلاة الفتح : وهي الصلاة الممزوجة . الأصل منها لسيدنا الفرد الكامل الشيخ عبد السلام بن مشيش قدس الله سره ، والمزج لسيدنا الفرد الكامل الشيخ ابي احمد العربي الدرقاوي قدس الله سره . اما الآيات والسور وترتيبها على هذا النسق فهو مأخوذ عن : - سفينة النجا لمن التجا - لسيدنا الفرد الكامل الشيخ (احمد زروق) قدس الله سره ، ولن يتم سير الفقير وسلوكه في مراتب الكمال ولن يحصل له الفتح المبين ، بدون تلاوتها صباحاً ومساءً اما ان يتلوها وحده او جماعة . والمداومة على ذلك بلا انقطاع طول ايام حياته وهي :

الوظيفة الساذجة البسطة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صلّ وسلم بجميع الشئون في الظهور والبطون على من منه
انشتت الأسرار الكامنة في ذاته العلية ظهوراً ، وانفلقَت الأنوار
المنطوية في سماء صفاته السنية بدوراً ، وفيه ارتقت الحقائق منه اليه ،
ونزلت علوم آدم به فيه عليه ، فأعجزَ كلاً من الخلائق فهماً ما
أودع من السر فيه ، وله تضاءت الفهوم وكلّ عجزه يكفيه ،
فذلك السر المصون لم يدركه منا سابق في وجوده ، ولا يبلُغه لاحق
على سوابق شهوده ، فاعظم به من نبيّ رياض الملك والملكوت بزهر
جماله الزاهر موقنة ، وحياض معالم الجبوت بفيض أنوار سره الباهرة
متدفقة ، ولا شيء إلا وهو به منوط ، وبسره الساري محوط ، إذ
لولا الوسطة في كل صعود وهبوط لذهب كما قيل الموسوط ، صلاة تليق
بك منك اليه ، وتتوارد بتوارد الخلق الجديد والفيض المديد عليه ، وسلاماً
يجاري هذه الصلاة فيضه وفضله كما هو اهله ، وعلى آله شمس سماء
العلا ، واصحابه والتابعين ومن تلا ، اللهم انه سرّك الجامع لكل
الأسرار ، ونورك الواسع لجميع الأنوار ، ودليلك الدالُّ بك عليك ، وقائد
ركب عوالمك اليك ، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك ، فلا يصل

واصل إلا الى حضرته المانعة ، ولا يهتدي حائر إلا بانواره اللامعة ،
 اللهم ألحقني بنسبه الروحي ، وحققني بحسبه السُّبُوحي ، وعرفني إياه
 معرفة أشهد بها حياته ، واصير بها مجلده كما يحبه ويرضاه ، واسلم بها
 من ورود موارد الجهل بعوارفه ، واكرع بها من موارد الفضل
 بعارفه ، واحملي على نجائب لطفك وركائب حنانك وعطفك ، وسر بي في
 سبيله القويم وصراطه المستقيم ، الى حضرته المتصلة بحضرتك القدسية ،
 المتبَلِّجة بتجليات محاسنه الانسية ، حملاً مخفوقاً بجنود نصرتك مصحوباً
 بعوالم اسرتك ، واقذف بي على الباطل بأنواعه في جميع بقاعه ، فأدمغه
 بالحق على الوجه الأحق ، وزجّ بي في بحار الأحدية المحيطة ، بكل
 مُرَكَّبَةٍ وبسيطة ، وانثني من احوال التوحيد الى فضاء التفريد ،
 المنزه عن الاطلاق والتقييد ، واغرقني في عين بحر الوحدة شهوداً ، حتى لا
 ارى ولا اسمع ولا اجد ولا احس إلا بها نزولاً وصعوداً ، كما هو
 كذلك لم يزل وجوداً ، واجعل اللهم ذلك لديه ممدوحاً وعندك محموداً ،
 وأجعل اللهم الحجاب الاعظم حياة روعي كشفاً وعياناً ، إذ الأمر
 كذلك رحمة منك وحناناً ، وأجعل اللهم روحه سر حقيقي ذوقاً وحالاً
 وحقيقته جامع عوالم في مجامع معلمي حالاً ومالاً ، وحققني بذلك على
 ما هنالك بتحقيق الحق الاول والآخر والظاهر والباطن ، يا اول فليس
 بملك شيء ، يا آخر فليس بعدك شيء ، يا ظاهر فليس فوقك شيء ، يا باطن
 فليس دونك شيء ، اسمع ندائي في بقائي وفتائي بما سمعت به نداء عبدك
 زكريا ، واجعلني عنك راضياً وعندك مرَضياً ، وانصرتني بك على عوالم
 الجن والانس والملك ، وايدني بك لك بتأييد من سلك فملك ومن ملك
 فسلك ، واجمع بيني وبينك وازل عن العين عينتك ، وحلّ بيني وبين
 غيرك ، واجعلني من ائمة خيرك وميرك ، الله ، الله ، الله ، الله منه
 بُدِيء الأمر ، الله الأمر اليه يعود ، الله واجب الوجود وما سواه
 مفقود ، ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد ، في كل اقتراب

وابتعاد وانتهاض واقتعاد ، ربنا آتينا من لدنك رحمة وهيء لنا من
 امرنا رشداً ، واجعلنا من اهتدى بك فهدى حتى لا يقع منا نظر إلا
 عليك ، ولا يسير بنا وطر إلا اليك ، وسر بنا في معارج مدارج ان
 الله وملائكته يصلون على النبي ، يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
 تسليماً ، اللهم فَصِّلْ وَسَلِّمْ مِنْنا عليه افضل الصلاة واكمل
 التسليم ، فإننا لا نقدرُ قدره العظيم ولا ندرك ما يليق به من الاحترام
 والتعظيم ، صلواتُ الله وسلامه وتحياته ورحمته وبركاته على سيدنا محمد
 عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه عددَ الشفع والوتر
 وعدد كلمات ربنا التامات المباركات ، اعوذ بكلمات الله التامات من
 شر ما خلق ، اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، اعوذ بكلمات
 الله التامات من شر ما خلق ، تَحَصَّنْتُ بِذِي الْعِزَّةِ وَالْجَبْرُوتِ وَأَعْتَصَمْتُ
 بِرَبِّ الْمَلَكُوتِ ، وتوكلتُ على الحي الذي لا يموت ، إصرف عنا الأذى
 انك على كل شيء قدير ، إصرف عنا الأذى انك على كل شيء قدير ،
 إصرف عنا الأذى إنك على كل شيء قدير ، تَحَصَّنْتُ بِذِي الْعِزَّةِ
 وَالْجَبْرُوتِ وَأَعْتَصَمْتُ بِرَبِّ الْمَلَكُوتِ ، وتوكلتُ على الحي الذي لا يموت ،
 إصرف عنا الأذى انك على كل شيء قدير ، إصرف عنا الأذى انك على
 كل شيء قدير ، إصرف عنا الأذى انك على كل شيء قدير ، تحصنتُ بذِي
 الْعِزَّةِ وَالْجَبْرُوتِ ، واعتصمتُ بِرَبِّ الْمَلَكُوتِ على الحي الذي لا يموت ،
 إصرف عنا الأذى انك على كل شيء قدير ، إصرف عنا الأذى انك على
 كل شيء قدير ، إصرف عنا الأذى انك على كل شيء قدير .

بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو
 السميع العليم ، بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الارض ولا في
 السماء وهو السميع العليم ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض
 ولا في السماء وهو السميع العليم ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، حسبنا الله
 ونعم الوكيل ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، لا حول ولا قوة إلا بالله

العليّ العظيم ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لا حول ولا
 قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
 وسلم ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، اللهم صل على
 سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ ، فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ ، فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ
 الرَّاحِمِينَ ، فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
 وَهِيَ: لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ: لَنَا مِنْ أَمْرِنَا
 رَشَدًا ، رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ: لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، وَأَفْوِضْ أَمْرِي
 إِلَى اللهِ ، إِنَّ اللهَ بِصِيرِ الْعِبَادِ ، وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللهِ ، إِنَّ اللهَ بِصِيرِ
 الْعِبَادِ ، وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللهِ ، إِنَّ اللهَ بِصِيرِ الْعِبَادِ ، اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
 خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَهِيَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتُ
 وَالْأَرْضُ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ،
 إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ ، قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ
 وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتَقْذِفُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ
 الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
 لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
 رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ
 تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ،
الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ، وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ،
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ،
فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ،

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ،
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا ،
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ ، هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلْفُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، إِبْلَاقِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ،
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ (وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ) (ثَلَاثًا) .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ،
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، (ثَلَاثًا) .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ،
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ،

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ، غَيْرِ
الْمَغضُوبِ عَلَيْهِمْ ، وَلَا الضَّالِّينَ . آمِينَ .

* * *

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ .

* * *

الاستغفار

أما الاستغفار فقد ورد فيه آيات بينات منها قوله عز وجل « ما
كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله يعذبهم وهم يستغفرون »^١
وقوله عز شأنه « اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ
مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً »^٢ .

قال شيخنا سيدي ابو الحسن الشاذلي قدس الله سره « عليك بالاستغفار
وان لم يكن هناك ذنب واعتبر باستغفار النبي ﷺ ، بعد البشارة واليقين
بغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، هذا في معصوم لم يرتكب ذنباً
قط ، وتقديس عن ذلك ، فما بالك بمن لا يخلو من الذنب والعيب في
وقت من الاوقات ؟ »^٣

(١) سورة الانفال .

(٢) سورة نوح .

(٣) كشف الاسرار للشيخ مصطفى نجا ص ٢٨

الصلاة على النبي ﷺ

أما الصلاة على النبي ﷺ فهي بحكم الآية الكريمة « إن الله وملائكته يصلُّون على النبي » ، يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليماً ، قال الشيخ مصطفى نجبا مفتي بيروت « الذي استقر عليه الأمر بين العلماء على أن الأمر في الآية للوجوب ، وقد اجمعوا عليه وقالوا : ولو في العمر مرة وما زاد على الواجب فهو متأكد الاستحباب فينبغي الاكثار منها ، لما فيها من القيام بمراسم العبودية والتخلق باخلاق الله تعالى ، ولعظم فضلها ونفعها للمصلِّي ، وقد اجمع العلماء على أن في هذه الآية الكريمة من تعظيم النبي ﷺ والتنويه بقدره ما ليس في غيرها » ٢ .

التوحيد بقول لا إله إلا الله والتأقن

أما التوحيد بقول لا إله إلا الله ، فقد روى الامام احمد والطبراني وغيرهما ان النبي ﷺ لقن اصحابه جماعة وأفراداً ، فاما تلقينهم جماعة ، قال شداد بن أوس : كنا عند النبي ﷺ ، فقال : « هل فيكم غريب ؟ - يعني من اهل الكتاب - ، قلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بعلق الباب وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله ، فرفعنا أيدينا وقلنا : لا إله إلا الله ثم قال : الحمد لله ، اللهم انت بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ، ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخاف الميعاد . ثم قال ﷺ : أ بشروا فإن الله غفر لكم » ٣ .

واما تلقينه لأصحابه فرادى فقد روى الشيخ - يوسف الكوراني العجمي - رضي الله عنه بسنده الصحيح « إن علياً كرم الله وجهه ، سأل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، دلني على أقرب الطرق إليك وأسهلها

(١) قرآن كريم سورة الاحزاب.

(٢) كشف الاسرار للشيخ مصطفى نجبا ص ١١٢ .

(٣) المغاخر العلية للشيخ ابن عباد ص ١٨١ .

على عباده وفضلها عند الله ، فقال ﷺ : أفضل ما قلته وقاله النبيون من قبلي : لا إله إلا الله ، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهم لا إله إلا الله ، فقال علي رضي الله عنه : كيف اذكر يا رسول الله ؟ قال : غمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ، ثم قل ثلاث مرات وأنا أسمع ، فقال رسول الله ﷺ : لا إله إلا الله ، ثلاث مرات ، مغمضاً عينيه رافعاً صوته ، وعليّ يسمع ، ثم قال علي : لا إله إلا الله - ثلاث مرات - مغمضاً عينيه رافعاً صوته ، والنبي ﷺ يسمع . وهذا سند القوم بالتلقين وقد تقدم اتصال السند من رسول الله ﷺ الى الأفراد الكامل ، رضي الله عنهم في سلسلة الاقطاب الوارثين ، ١ .

* * *

الذكر الحقي باسم الله الأعظم بالمد

والسير والسلوك في طريق السادة الصوفية ، لا يكون بإقامة حلق الذكر والجهر به ، فهذه لجمع الخلق على الله ، وإنما هو بالذكر الحقيّ باسم الجلالة باسم الله الأعظم ، الذي يُلقن به المرشد وهو الركن الثاني في طريق السادة الشاذلية ، بعد وجود المرشد الكامل صاحب الوقت ، الذي هو الركن الاول ، وبدونه لا يحصل الاطمئنان للذاكر بما ينتجه الذكر .

يختار الفقير الذاكر مكاناً هادئاً ساكناً ، سواء كان هذا في الليل او النهار وأكثر ما يكون ليلاً ، يجلس فيه يذكر الله . وكيفية الجلوس للذكر ، ان يجتمع اقدم في قعوده وينصب ركبتيه ، إذ من التواضع الاجتماع في الجلسة ، فجلوسهم بالذكر الاحتباء او القعود على أليتيه ونصب ركبتيه ، وقد روي عن النبي ﷺ انه كان يقعد القرفصاء

(١) المفاخر العلية لابن عباد ص ١٨١ و ١٨٢ .

ويحتجب بيديه ١ .

قال الامام السيوطي رضي الله عنه ، وقد كان من هدي اهل العلم في قعودهم ان يجتمع احدهم في قعوده وينصب ركبتيه ، ومنهم من كان يقعد على قدميه ويضع مرفقيه على ركبتيه ، كذلك كانت شمائل كل من تكلم في هذا العلم الى وقت سيدي - ابي القاسم الجنيد - رضي الله عنه ، وأول من قعد على كرسي - يحيى بن معاذ الرازي - وفي زمن - الجنيد - ابو حمزة البغدادي - فعاب الاشياخ ذلك عليه ، ولم يكن ذلك سيرة العارفين الذين يتكلمون في علم المعرفة واليقين ، إنما كان جلوسهم الاحتباء ٢ هـ .

وأرى ان هذا هو الأصل في جلوس الذاكر على تلك الحالة ، وقد كان لبس الجبوة للذاكر من اجل الراحة ، وهي عبارة عن (حزام جلد) بعرض ثلاث (قراريط) يضعه احدهم وراء منكبيه ويشده الى الأمام بعد ان ينصب ركبتيه كما تقدم ، ولست اعني ان لبس الجبوة من شروط الذكر ، وإنما هي لراحة الذاكر . ورغم هذا لم أر غير بعض اشخاص في الزاوية كانوا يلبسونها في أوقات الذكر ، اما بقبعة الفقراء المتجردين والزائرين ، فكانوا يتوجهون للذكر بدونها ، وحسب اصطلاح القوم لا يقال : جلس يذكر ، بل يقال : هو متوجّه او في التوجّه ، ذلك لأنهم كانوا يستقبلون القبلة الشريفة اثناء الذكر ، وكيفية جلوس الذاكر ان يجلس مستقبلاً القبلة الشريفة ، مغمض العينين

(١) روى ابو داود والبخاري في الأدب والترمذي في الشمائل ، والطبراني عن قبلة بنت مخرمة انها رأت النبي صلى الله عليه وسلم وهو قاعد القرفصاء ، قالت فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخشع في الجلسة ارعدت من الفرق . وفي صحيح البخاري عن ابن عمران رأى النبي صلى الله عليه وسلم بفتاء الكعبة محبتاً بيديه . وأخرج ابو داود والترمذي في الشمائل باسناد ضعيف عن ابي سعيد ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جلس احتبأ بيده .

(٢) كتاب تأييد الحقيقة العلية بتشديد الطريقة الشاذلية ص ٢٧ و ٢٨ تأليف الامام جلال الدين السيوطي .

مستغرقاً بذات الله ، غائباً عما سواه ، قائماً بحكم الحديث الشريف (اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

يلفظ الذاكر اسم الجلالة همساً بالمدّة على قدر ما يستطيع تنفّسه بذلك ، حيث يُطلب من الذاكر المدّة بهذا الاسم الشريف الى نهاية امكانه ، ولا مانع من ذلك اصلاً ، فتجديد حركات المدّة في علوم التجويد إلى اثني عشر حركة ، مختصة في تلاوة آي الذكر الحكيم ، وقد علّل علماء التجويد ذلك ، خوفاً من تغيير اللفظ والمعنى في الآية الكريمة ، اما هنا فلا تغيير لشيء من ذلك ، وزيادة المدّة في الذكر ، تقيّد الحضور والحشوع والتعظيم لله عز وجل ، قال الامام النووي رضي الله عنه في كتاب الاذكار والصحيح المختار : « استحباب مدّة الذاكر ، كلمة الذكر ليتدبر معنى الذكر المقصود منه ذلك »^١

وهذا هو الاسم الاعظم ، الذي يلقن به المرید والذي لا يحصل له الفتح بدونه ، ولا يصل الى منازل الابرار إلا في حالة الذكوة به ، ولا يصح الذكر إلا بالانقطاع الى المذكور عن كل شيء سواه ، لأن مبنى الطريقة الشاذلية على الكتاب والسنة ، وطلب العلم وكثرة الذكر مع الحضور في موقف العبودية ، ولذلك كانت بهذا الاستحضار اسهل الطرق واقربها ، إذ ليس فيها عظيم مشقة وكثرة مجاهده ، لأن ما في النفس من النور الاصلي يتعاقد بنور العلم لمن يشتغل به ، وينور الذكر حتى يندفع ما بها من الشوائب والادران ، ويزداد اقبالها على حضرة القدس حتى تتمحق بالكلية ويحرق الذكر ما سوى المذكور .

المبايعة

والمبايعة عند اخذ الطريق مصافحة ومعاودة ، حيث يجلس المرید بين يدي الشيخ يتلقى عنه ما تفرضه عليه الطريق من الواجبات ، ولذلك يقال

(١) الالهامات الالهية للشيخ محمود ابى الشامات ص ٤٩ .

فلان اخذ العهد ، أي قطع على نفسه عهداً ان يعمل بها وأن يطيع
 اوامر الشيخ . قال شيخنا سيدي ابو احمد العربي الدرقاوي رضي الله عنه
 (يجب على المرید ان يكون بين يدي شيخه كالجنة بين يدي الغاسل)^١
 وبذلك يقول مرید والدي الشيخ محمد السرطاوي :

يا صادق العهد إن العهد مسئولُ والأمر يومئذ لله موكولُ
 هيّا بنا نمتطي متّ الوفا كرمًا في جانب الله فالأشياء تمائيلُ
 ندور حول رسول الله وهو لها قطبٌ بمجوره التحقيق موصول
 هذي الظواهر احداثٌ بها دررٌ فأشهد تكوئها فالقرب مأمول
 لو لم يكن سترها المكنون في صدف آل أوهام ما كثرت فيها الاقاويل^٢

* * *

يا عليّ يا غريباً يا ولي بشرطياً^٣
 لازمة

بابن بشرط قد لذنا وبه حقاً فزنا
 صراط الوهم جزنا سدنا على البرية

*

بك أبصر أعمانا بعد جهل اعمانا
 وشهدنا مولانا بقلوب بجليّة

★

علمنا من لذنا معرب بنا عنا
 عن يقين لا ظنا رشدنا ليس غيبا

*

صلّ يا ذا الافضال على النبي الغالي
 والصحب مع الآل كذا من كان حيا

(١) توضيح جلوس الذاكر مغمض العينين لضبط الحواس .

(٢) من مجموعة اناشيد اخواننا خط يد .

(٣) من اناشيد الازكار ومجالس القوم لحسن الحكيم الحلي .

كيف تقام حلل الذكر جهراً

قلت إن الفقراء يتلون الورد الكبير ، أعني الوظيفة الشاذلية ، مرتين في كل يوم ، أما كيفية ذلك ، فهو أنهم يتلونها جماعة بصوت عال بعد صلاة الفجر مباشرة مرة ، وبعد صلاة العشاء الاخيرة مرة ثانية ، حيث يجلس الشيخ والمريدون في حلقة متلاصقين ، ويركع كل واحد منهم على ركبتيه ويبدسط كفيه ويضعها فوق ركبتيه ، وبعد الانتهاء من القراءة تختم بقول لا إله إلا الله مائة مرة ، ويقول محمد رسول الله في المرة الاخيرة ، ثم يُتلى عشر من القرآن الكريم ، وسورة الفاتحة ، ويتكلم الشيخ او المقدم بعدها بما فتح الله عليه من فيض مدد رسول الله ﷺ ، حسب التجلي الالهي ، وهم جلوس على تلك الحالة المتخشعة ، فإذا كانت ليلة الجمعة او الاثنين ، فقراءة الوظيفة لا تختم كما هي العادة المتبعة ، بل يبدأ الشيخ او المقدم بقول : لا إله إلا الله مرة واحدة ، ثم يتبعه الفقراء الذاكرون بصوت واحد ولهجة واحدة ، يرددونها مرات ، ثم والشيخ معاً ، ثم يقول الشيخ : ، الله ، الله ، ويردد اسم الجلالة بالمد قليلاً ، وبالنغمة التي بدأ بها قول لا إله إلا الله ، بعد ان ينهض واقفاً ويتبعه الذاكرون ويأخذ كل واحد منهم بيد الآخر ، ويجعل باطن كفه يباطن كف اخيه الفقير ، مع تشبيك الاصابع ؛ بينما يتوسط الشيخ تلك الدائرة ويمشي باتزان متنقلاً من مكان الى آخر ، والفقراء يتبعون حركاته ولهجته في الذكر ، وهم وقوف ، ثم ينتقل بهم من لهجة الى لهجة ومن طبقة الى طبقة ، إذ ان للأذكار طبقات متعددة بارتفاع الصوت وانخفاضه ، ثم بتغيير اللهجة وسرعة الحركة او تخفيفها ، وتغيير اللفظ بقول الله ، الله ، او هو هو ، او آه آه ، ثم لهجة الصدر ، وغيرها . ويقف المنشدون في حلق الذكر مع الذاكرين ، فاذا كثر عدد الفقراء دخل المنشدون وسط الحلقة في صفين متقابلين ، هنا خمسة او اربعة ، يقابلهم

مثلهم ، فاذا ازداد عدد الذاكرين ، دخل الفقراء وسط الحلقة فيؤلفون بذلك مع المنشدين حلقة ثانية داخل الاولى ، فإن ازداد العدد كذلك ، دخل المنشدون داخل الحلقتين ، وبذلك تصبح حلقة الذكر عبارة عن صفين شبه دائرة في حلقة واحدة ، والمنشدون في الداخل ، وقد تكون في كثير من الاحيان ثلاث صفوف شبه دائرة ، والشيخ والمنشدون في الوسط ، هذا وعلى الشيخ والمنشدون ان ينقلوا الذاكرين من لهجة الى لهجة ، ومن طبقة الى طبقة ، في الصوت دون انقطاع الذكر او الانفصال بين الوحدة الموسيقية ، ذلك لأن جميع الطبقات واللهجات موزونة على الوحدة الموسيقية حسب النغمات والألحان ، وعند الانتهاء بينما يكون الشيخ او المقدم في وسط الحلقة يمشي ويدور يسرع باللهجة ، والجميع يذكرون معه بتلك السرعة بصوت عال ، اذا به يقف ويرفع يده اليمنى الى فوق رأسه امام وجهه ويشير بسبابة يده كمن يتشهد ويقول : محمد رسول الله ، ومعنى هذا الختام ، لأن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، هنالك يجلس الذاكرون في حلقة واحدة كما كانوا وقوفاً ، ويجلس الشيخ معهم كواحد منهم لا في الوسط ، لكنه يتصدر المجلس ، وعندما يقرأ احدهم ما تيسر من آي الذكر الحكيم وفاتحة الكتاب العظيم ، وهكذا تختم حلقة الذكر المسماة بالحضرة . ثم يبدأ الشيخ بالمذاكرة فيعظ ويرشد الى سبيل الله بالتذكير والتنبيه ، ويتسكّم بالعلوم الروحية في الشريعة والحقيقة ، ثم يقرأ الفاتحة ويرجو الله حسن الختام .

على انهم قد ينشدون اناشيد خاصة بعد جلوسهم في شبه دائرة قبل قراءة عشر القرآن الكريم ، وبعد الانتهاء من الذكر مباشرة . ويردد الجميع بعد كل بيت من تلك الانشودة التي تتشدها فرقة الاناشيد ، قول لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، او يرددون قول : الله الله الله الله محمد رسول الله . او الله دايم ، الله

دائم ، الله الله مولانا لا إله إلا الله ، بنعمة كنعمة الانشاد ذات الوزن
في الوحدة الموسيقية بالنغم ، وبعد الانتهاء ، إما ان يقول الشيخ : الله
الله ، فتقام حلقة ذكر ثانية او تختم بقول : محمد رسول الله ، وبتلاوة
آي الذكر الحكيم كما تقدم ، وبذلك تنتهي الحضرة ، ويذهب
كل في سبيله ١ .

وتسمى النشيدة التي تنشد في الحلقة بعد الجلوس على تلك الصورة
- تجريدة - وهذه واحدة من تلك الاناشيد ، لسيدى الشيخ ابى مدين
قدس الله سره :

أهدى إلي الشذا من عرفه خبرا	فهمت بالسر لما ان إلي سرى
وغبت ما بين اصحابي ولو علموا	بكأس حبي لما لاموا الذي سكرنا
في خمره العشق معنى ليس يعرفه	إلا فتى مزق الاطهار واشتهرا
عندي كنوز رموز ليس يدركها	من أمة العشق إلا من علي قرا
فاشرب بكأس ضياء قد شربت بها	وانظر ترى علم العرفان قد ظهرا
وطُف بكعبة قلبي إن عزمت على	وصل الحبيب ودع من صد او هجرا
قد اوجب الحب عندي الوقوف على	عرفان معرفتي إن كنت مقتدرا
فامح العلوم ولا تبقي الرسوم ولا	تنظر لاياك لا عبداً ولا أثرا
وغيب عن الاسم واشهد عند غيبته	ذاك المسمى وذاك السمع والبصرا
هناك تشهد اهل العشق كلهم	في حومة الحب في حكم الهوى أسرا

* * *

المجردود في الزاوية

المشهور على لسان معظم الناس ان فقراء - التسكيا - يعيشون حياة
خمول وكسل بلا عمل ، ولم يكن هذا حالهم في زاويتنا ، بل كان لكل

(١) لا يوجد في حلق الذكر عند السادة الشاذلية آلات موسيقية ولا قاييل ، الى الجانبين ،
ولا خروج ، عن الترتيب المذكور ، بغلبة الروح على الذاكر بحالة غيبوبة ، لأن طريق السادة
الشاذلية طريق الصحو التام .

فقير عمل يؤديه على قدر حاله وحسب استعداده وثقافته ، غير مفروض عليه ، ولكن بالتعاون والتواؤ والحب والرحمة ، الكل سواسية لا رفيع ولا وضيع ، العارف والعالم يُرتي الأمي والعامي ، والعامل والفلاح والمزارع ، ويجتهد بتثقيفه الثقافة الروحية التي تؤهله لهذه النسبة المحمدية ، والكبير يعطف على الصغير ، والتاجي يأخذ بيد اخيه .

وكان الامام والواعظ والمُدّرّس والمؤذّن والمنشد والمقريء في زاويتنا من اخواننا المنتسبين إلى طريقتنا الشريفة ، إما من المتجردين أو من اهل الاسباب من أهل المدينة ، وتعتبر هذه الاعمال جزءاً من العبادة التي يقومون بها دون أقل أجر ، وإنما هي خالصة لوجه الله تعالى . ويُعين الشيخ مُقدِّماً في الزاوية ، ينوب عنه باعطاء الطريقة وتربية المريدين وإقامة الاذكار ، وإلقاء الدروس الدينية ، ولا بد ان يكون ذلك المقدم عالماً فاضلاً مُحققاً عارفاً طلق اللسان ، يجمع بين العلم في الشريعة والحقيقة ، سواء كان من اخواننا المتجردين او من اهل الاسباب في المدينة ، إذ لا فرق بين هذا وذاك . وقد تولى المقدمية في زاويتنا على عهد سيدي الوالد رضي الله عنه ، جماعة من اكبر علماء الشريعة الذين تلقوا الطريق عنه ، وتحققوا على يديه ، وأول من تولى المقدمية الشيخ - احمد عبد الرحمن - الذي ذهب يدعو الناس الى طريق الله ، وقد ذكّرتُ فيما تقدم انه كان واسطة دخول عشرات الالوف من المريدين في طريقتنا الشريفة في هذه البلاد ، وكان الفقراء جميعاً يخشونه ويهابونه ويخضعون لأوامر الطريق ، بفضل رعايته وتربيته لهم التربية الصحيحة اللائقة بهذه النسبة الروحية الصوفية ، ثم كان الشيخ - محمد اللاز - ، وبعده تولى الشيخ - عبد الله السعدي - ، القاضي الشرعي وهو من اشراف المسلمين في مدينة - عكا - .

حدثني السيد - عبد الفتاح السعدي - رئيس بلدية - عكا - وأحد وجهاء - فلسطين - وزعمائها ، قال : كنت والشيخ عبد الله الجزّار

والسيد عيد الرحمن العاقل ، وأخي محمد السعدي ، من فرقة المنشدين في حلقة الذكر وكنا نهاب الشيخ عبد الله السعدي ونخشاه ، لأنه كان إذا لمع شبه ابتسامه على وجه احدنا اثناء الذكر او رآه لا يحسن تأديته الذكر كما ينبغي ، كان يُخرجه من الحلقة علناً امام الجميع تأديباً له ، ولذلك كنا في مطلع شبابتنا نسير مع الشيوخ وكل هذا بفضل تربية الشيخ عبد الله لنا .

ثم تولى المقدمة بعده الشيخ الجليل الكبير الشيخ اسماعيل احمد الخطيب الشهير بالطوباسي ، وبعد وفاته تولاها الشيخ عبد الله الجزار ، مفتي - عكا - الأخير وبقي في المقدمة الى ان توفاه الله بعد انتقال سيدي الوالد رضي الله عنه الى دار البقاء ، ومن وصايا والدي رضي الله عنه قبل الانتقال قوله لأخي ولأخواننا جميعاً : الشيخ عبد الله الجزار مقدمكم الى ان يموت ، وكان الشيخ المذكور قبل توليه المقدمة منشداً في حلقة الذكر ، إذ كان من اصحاب الصوت الحسن .

وكذلك كان حال من تولوا المقدمة في المدن الكبرى ، والقرى ، فكان في - بيت المقدس - الشيخ - حامد البديري - ، وفي - بيروت - الشيخ - احمد عباس - الازهري ، والشيخ - مصطفى - نجا - مفتي - بيروت - الاكبر وفي - دمشق - الشيخ - محمود ابو الشامات - والشيخ - اسعد حمزة - وفي - حلب - الشيخ - اسماعيل اللبابيدي - ثم من بعده ولده الشيخ - احمد - وفي صيدا الشيخ - محمد صالح لطفي - ، وفي - دير الزور - الشيخ - حسين الحسيني البغدادي - وهؤلاء من اكابر علماء الشريعة في بلادنا .

وكان الاعتناء بالصحة والنظافة من أهم الأمور في زاويتنا ، لدرجة تفوق حد التصور والوصف ، فاذا مرض سيدي الوالد رضي الله عنه استدعى الطبيب ، وكذلك كان فيما يختص بأهل بيته واولاده ومريديه جميعاً ، فان احتاج مريد ان يكون تحت رقابة الطب يرسل الى

المستشفى في - عكا - فان كان بحاجة لاجراء عملية جراحية في المستشفيات الكبيرة في - بيروت - يرسل اليها ، فان احتاج لتبديل الهواء ، نقل الى الجبال ، فاذا اصيب احدهم بمرض سارٍ ، يُعزل لوحده . وهكذا ، وعلى رغم كثرة الوفود والزائرين من بدو وحضر ، كان الاهتمام بالصحة والنظافة ظاهراً تاماً ولم يصب احد بمرض ما ايام المواسم اصلاً ، والحقيقة ان الحياة لم تكن في زاويتنا حياة (دروشة) بل حياة رقيّ روحي اسلامي ، تجمع بين الذكر والعلم والعبادة والمعرفة ، وتأدية واجبات انسانية وسير مجدّ في مراتب الكمال ، اعني المراتب المعبر عنها بالمقامات والاحوال ، ثم الوصول الى حضرة القرب بين يدي الله تعالى .

وتقدّم زاويتنا الطعام للمريدين الزائرين الذين لا يقل عددهم عن اربعمائة او خمسمائة في كل يوم ، هذا عدا عن المتجرّدين وعائلاتهم وأولادهم ، ويبيت هؤلاء الزائرون فيها ، وتمتدّ المواسم فيجلس الفقراء جماعات يأكلون ، ويقف بعضهم يحملون بأيديهم اباريق الماء وينشدون الاناشيد الروحية ، ويزداد عدد الزائرين في ايام المواسم الى ما فوق الالف او الألفين في كل يوم .

ويُنفق على الزاوية من ربيع ما يُحسب لها من الاوقاف ، وبما يقدمه المريدون من المال والهدايا ، ومن مال الشيخ إذا كان له مال ، فيشترك الجميع بالانفاق عليها ، فان كان لها اراضٍ زراعية وأشجار زيتون وخلافه يقوم المتجرّدون من الفلاحين والمزارعين بحرث الارض وزرعها ، وجمع الحصاد وقطف الثمر وعصر الزيتون لاستخراج الزيت في المعاصر ، ونقل المؤن وتربية المواشي ، وكذلك كان حالهم فيما يحتاجون اليه من حياة الثياب وتنجيد الفراش وشراء الحاجيات من السوق والكنس والرشّ والتنوير ، وغير ذلك من الاعمال التي لا غنى عنها ، كل هذا كان يقوم به المتجرّدون من اهل الحرف والعمال . وقد كانت لنا - زوايا -

كثيرة منتشرة في البلاد والقرى ، تقام فيها الصلوات الخمس والأذكار ،
وتقرأ فيها الدروس الدينية ، الفقه والحديث والتفسير وغيره ، ويتعلم
فيها المرید امور دينه وآداب الطريق ، على انها لم تكن تقدم طعاماً ما
للمريدين قط ، ولا يبیت فيها احد ، إنما هي للاجتماع ولاقامة شعائر الدين
الحنيف وإحياء سنة رسول الله ﷺ .

ولكن إذا مرّ بتلك المدينة فقير قاصد زيارة - عكا - ، فيبیت فيها
ثم يتابع السير في اليوم الثاني . اما البلاد التي لا توجد فيها زوايا ،
فبيوت الفقراء من ابناء طريقتنا كالزوايا ، يجد فيه المسافر مأوىً
يحلّ فيه حين سفره ، ويقدم له إخواننا ما يحتاج اليه من الطعام
والخدمة .

والزاوية الوحيدة التي تقدم الطعام دائماً هي زاوية - عكا - وهي
محل إقامة سيدي الوالد رضي الله عنه ، فإذا انتقل في شهر الصيف الى
- ترشيفا - او - حيفا - ينتقل المريدون الى هناك ، فتصل الوفود
الى محل إقامته كما كان الحال في الزاوية الاولى ، إذ الغاية من الزيارة
الاجتماع بالشيخ .

ويُـهـيـئـن في كل زاوية من تلك الزوايا مقدّم يتولى امور الفقراء كما
بيّنت ذلك سابقاً .

* * *

وكان معظم الفقراء المتجردون في زاويتنا على عهد سيدي الوالد رضي
الله عنه ، من ابناء العائلات الكريمة والاسر القديمة .

فهذا العارف بالله ، الصادق بجانب الله ، الفاني بحب الله ورسوله ﷺ
- الحاج مصطفى ابن الشيخ سعيد السعدي - كان قبل أخذه طريقتنا
الشريفة من وجهاء مدينة - عكا - ورئيس المجلس البلدي فيها . ثم هو
من اصحاب الاملاك والاراضي الزراعية ، ومن اشراف المسلمين ، فلما
تشذّل وانتسب إلى والدي رضي الله عنه ، خلع رداء الافتخار وانقطع

إلى الله معتكفاً في زاويتنا بعد ان قدم استقالته من الوظيفة واعتزم ان
 يب كل ما يملك الى الزاوية ، فأبى عليه والذي رضي الله عنه ذلك ،
 وأمره ان يوزع املاكه وامواله على اولاده ، ثم عينه وكيلاً للزاوية
 فاستلم إدارتها المادية فكان يشرف على كل شيء يختص بها ، البناء ،
 والايجار ، والتصليح ، والاتفاق عليها ، وتدبير المؤن وغير ذلك من
 الاعمال ، فقام بهذه الخدمة المقربة الى الله على الوجه الاكمل ، دون
 اقل أجر ، فقد رتب له اولاده معاشاً شهرياً بسيطاً ، ينفقه على نفسه فيما
 يحتاج اليه من مأكّل وملبس ؛ فكان لا يأكل من طعام الزاوية رغم تلك
 الخدمات الجليلة التي قام بها احتساباً لوجه الله تعالى ، وكان الفقراء جميعاً
 يخشونه ويهابون سطوته ، ويمثلون أوامره ، ولما كانت والذي رضي الله
 عنه لا يزور احداً من القواد والحكام والعظماء ، كان - الحاج مصطفى
 السعدي - ينوب عنه برد الزيارة لهم في المواسم والاعياد .

* * *

فأخلع رداء الافتخار^١ والبس بخلق من جديد
 تراه بعد الافتقار أقرب من جبل الوريد

*

قد أشرقت شمس الهدى رغماً على كيد العدا
 واستوردتني مورداً في الكون يا خلتي فريد

*

يا قاصداً نيل المني دع عنك اغيار العنا
 وألزم حمي أستاذنا تهدي على بيت القصيد

*

لاحت امانيك انتبيه وبالسوى لا تشبهه
 فبهدهم اقتده إن كنت ذا رأي سديد

*

(١) بمناسبة تجريد السيد مصطفى السعدي اثبت هذا النشيد للشيخ عبده الحمصي الدمشقي .

يا سائراً نحو العُلى قد كان سيرك أوّلاً
من قبل ما قالوا بلى عشقي لذاتك في مزيد

★

يا ابن المداني يا إمام يا قوت ارواح الأنام
بالمُصطفى بدر التمام عطفاً على هذا المرید

* * *

وبمناسبة تجريد الشيخ - محمود سكيك - في زاوية ترشيحاً نظم ابن أخيه
الشيخ صالح سكيك قصيدة مطولة منها هذه الابيات :

شيخ الطريقة والشريعة والمهدي مهدي الوري عزاً وكشفاً كاشفاً
وعقائداً ومعاهدأً ومحامداً ومواردأً ولطائفأً وطرائفاً
البشرطيّ ابن الحسين وحبذا نسب يريك معلماً ومعارفاً
الشاذلي طريقة وحقيقة وشريعة ومعارفاً وعوارفاً
المغربي الحاتمي عطاؤه ختم الولاية كن اليه عارفاً

* * *

وهكذا نجد ان اكثر المتجردين في زاويتنا ، ليسوا من ابناء
العائلات الكريمة والأسر القديمة فحسب ، بل ان معظمهم من اكبر علماء
الشريعة ، فهذا العلامة الكبير الشيخ حسين الحسني البغدادي ، كان شيخاً
لرواق الطلبة البغداديين في الأزهر الشريف ، فلما اخذ الطريقة الشاذلية
البشرطية عن سيدي الوالد رضي الله عنه ، تجرد في زاوية ترشيحاً
سنين كثيرة ، وكان تجريده فيها اثناء تجريد السبيح محمود ابي الشامات
الدمشقي ، ونشأت بينها صداقة واخوة بالله ، وتجرد في زاويتنا الشيخ
محمد الرودسلي ، والعارف الكبير الشيخ سعيد السواحلي
المعروف بالدرويش .^١

(١) طريقتنا الشاذلية البشرطية ، منتشرة في زنجبار وسواحلها ، وفي جزر الكمرن ، وفي
مدغشكر ، وفي كينيا ، وفي غينيا الجديدة ، وفي طنجيكا ، وغيرها ، وفي كل بلد من بلدان هذه

والشيخ محمد سنجار ، الذي عهد اليه بالاشراف على تربية اخي السيد محيي الدين
والشيخ محمد السليمانى وهما من علماء الاكراد ، والشيخ محمود سكيك من
علماء « غزة » وولده عبد السلام ، والشيخ اسماعيل الطوباسي من علماء
« جبل نابلس » والشيخ محمود ابو الشامات من علماء « دمشق » والشيخ
محمد جدية ، من اكابر إخواننا العارفين في « صيدا » والشيخ محمد الشريف
والحاج علي كلاهما من علماء المغرب ، والشيخ يوسف المعبي من اكابر
إخواننا العارفين في « بيروت » والعارف الكبير الحاج سليم بليق الذي
عهد اليه بالاشراف على تربيتي ، والشيخ حامد واخوه الشيخ احمد حشيشو
من علماء « صيدا » والشيخ مصطفى الخليلي ، من اكابر إخواننا العارفين
من « خليل الرحمن » والعالم الفاضل الشيخ محمد البادنجكي من حلب ،
والشيخ مصطفى كنعان من « حلب » وتجرد في زاويتنا السيد ابو سعيد
الجزر والسواحل زوايا عديدة انشئت هناك لأبناء طريقنا الشريفة ، واخواننا بالله في تلك الأقطار
البعيدة من اكابر رجال الطريق ، علماً ومعرفة وشهوداً وحالاً وذوقاً وفناء بالله ، ومنهم علماء اعلام
جمعوا بين العلم في الشريعة والحقيقة ، وقد كان لهم اثر فعال في نهضة الاسلام المباركة في تلك البلاد ،
وقد اسلم على ايديهم خالق كثير من المحوس وغيرهم ، من هؤلاء السادة الكرام العارفين بالله والذال
على الله سيدي الشيخ محمد معروف بن الشيخ احمد ابي بكر آل سالم ، الشاذلي البشريطي ، اخذ عن
مريد والدي سيدي الشيخ عبد الله بن سعيد الملقب بالدرويش ، وكان مولد سيدي الشيخ محمد معروف
في مدينة انجزيمة ، وقد خرقت له العادات ، وقال فتحاً مبنياً في نشر الطريقة وبناء الزوايا ، وله ترجمة
خاصة في مناقبه وشأله وادعيته ، جمعها مريده العارف الكبير بالله ورسوله ، خادم الطريقة الشاذلية
البشريطية ، السيد احمد بن عبد الرحمن بن سلطان علوي . الشاذلي البشريطي ، ونقلها من الائمة الهنزوانية
الى العربية اخونا العارف الكبير بالله ورسوله السيد كعب بن السيد احمد بن السيد عبد الله المسيبي
با علوي ، الشاذلي البشريطي ، فن شاء فليطلع عليها فقد طبعت في مصر ، الطبعة الثانية في مطبعة الخلمي
الباني ، واولاده ، سنة ١٣٥٣ الموافق سنة ١٩٣٤ م ونشر بذيلها هذه الجملة تم - بحمد الله طبع
كتاب مناقب السيد محمد الشاذلي البشريطي مصححاً بمعرفتي . التوقيع احمد سعيد علي - احد علماء
الأزهر وقد توفي سيدي الشيخ محمد معروف في سنة ١٣٢٣ هجرية ودفن في زاويته وضرِيحه بزار .
ومن اخواننا في تلك البلاد ، اخونا العارف الكبير بالله ورسوله المحقق السيد علي وفا ابن السيد
محمد المعروف آل ابي بكر سالم الشاذلي البشريطي ، ومنهم اخونا العارف بالله ورسوله المحقق ، الشيخ
حسين بن محمود الشاذلي البشريطي ، وغيرهم ممن انار الله بصائرهم وأحى قلوبهم فكانوا من
عباد الله المخلصين .

القاضي نجل الشيخ محمد صالح قاضي « ترشيحا » ، فكان وكيلاً لزاويتها ومتجرداً فيها الى ان توفاته الله . وتجرد ايضاً السادة : محمود الادلبي من « حلب » والعارف الكبير سيدي خليل الكردي من « دمشق » وسعيد الحنبلي من « دمشق » ، محمود الفوّاني « المصري » ، محي الدين الهلبي « الصيداوي » ، عبد الله المكاوي من « مكة المكرمة » ، إبراهيم الطرطوسي ، عدا جماعات كثيرين من اهل القرى والمزارعين والعمال ، وأصحاب الحرف .

وقد تجرد في الزاوية الشيخ درويش السقاء ، من إخواننا الاترك ، هذا الولي الصالح كان يحمل على ظهره قربة ماء ، يسقي العطاش ، وقد ذهب مع الجيش التركي في اثناء حرب اليونان ، متطوعاً حاملاً قربة الماء احتساباً لوجه الله تعالى .

وكان والدي رضي الله عنه يقدر تفانيهم في محبة الله ورسوله ، فكان يعاملهم معاملة الاب لابنائه ، لا فرق بينهم وبين أخي السيد محي الدين وكثيراً ما كان يقول : لو لم يكن محي الدين فقيراً ما كنت لاحبه . فقد عاش أخي المذكور رغم كونه وحيداً لوالدته السيدة خديجة المثوية الكبيرة ، صاحبة المكانة في الهيئة الاجتماعية كأحد الفقراء المنجردين . والحقيقة انه لم ينل منا نحن ابناء الشيخ من شرف التربية بين يدي والدنا طوال ايام حياته منذ الولادة الى يوم الوفاة ، ما ناله أخي محي الدين ، فقد توفي شاباً في الربيع الخامس والعشرين من عمره ، وقضى حياته كلها في مجالس العلم والذكر بين يدي والده العظيم ، وتحت رعايته فكان من أكبر العارفين بالله ورسوله المحققين الواصلين .

ولما جاء أخي السيد إبراهيم من تونس الغرب تصحبه زوجته واولاده بعد وفاة أخيه محي الدين ، ولم يكن لشيخنا رضي الله عنه اولاد ذكور غيره ، رغم هذا امره والده ان يسلك في الطريق في مقام التجريد مع الفقراء في الزاوية سنين ، قبل ان يصعد الى بيت ابيه ، فكان ينام مع

الفقراء ويشغل بمساعدتهم مع العمال منهم في البناء ، ويحمل الطين على يديه ، ويلبس ثوب الخام المصبوغ ، وكذلك كان حال ابن اختي السيد حسن ، الذي جاء من بلاد المغرب صحبة خاله ١ .

حدثني اخونا بالله السيد محمود اللحام ، عن اخيه السيد عبد الله اللحام ، وهما من ابناء العارف الكبير ، الشيخ محي الدين اللحام ، فهو واولاده من اخواننا السابقين المنتسبين لسيدي الوالد رضي الله عنه ، ومن اكابر تجار السجاء في دمشق .

وقد انعم الله سبحانه على السيد محمود اللحام ، فاعطاه لسان صدق في طريقنا ينفع الفقراء ويقربهم إلى الله تعالى ، بالاقتداء بشيخه ، والتفاني في حبه ، فعاش اربعة وخمسين عاماً بعد انتقال شيخه الى الرفيق الأعلى على تلك الحالة المشرفة ، فكانت حياته جهاداً موصولاً في سبيل الله تعالى وخدمة الطريق ، وآل بيت شيخه ، وقد فاجأه القدر وهو في حالة استغراق كلتي بالله ، وعلى ذكر الله ، فذهب إلى احضان ابيه بالروح (اعني شيخه) راضياً مرضياً .

حدثني فقال : « قال اخي عبد الله : كنا في الزاوية فبلغنا خبر قدوم سيدي ابراهيم ابن حضرة سيدنا المعظم ، إلى حيفا ، وانه وصل اليها ، وكنت مع جماعة من اخواننا الدمشقيين ، فاعتزمنا ان نذهب الى حيفا وان نحتفل مع بقية اخواننا الموجودين في الزاوية باستقباله ، وإذ بحضرة شيخنا وسيدنا يشرف مجلسنا ويقول : (هذا ابراهيم ، جاء الى حيفا ، اريد منكم ان تربوه كما ربيتكم ، لا تفعلوا معه ما فعله فقراء سيدي الشيخ « الفلاني » مع اولاده ، لقد دللوهم وعللوهم ، وألبسوهم الحرير ، فبدأ الاولاد يمشون وينظرون لأنفسهم ، فقطعوهم عن جانب الله) » قال اخي عبد الله

(١) كان والدي ، قد ترك اخي السيد ابراهيم طفلاً صغيراً في بلاد المغرب عند اهل امه ، فلما جاء الى هذه البلاد اراد ان يريه تربية طريفة ، وقد امتثل اخي الى اوامر ابيه فسلك في الطريق في مقام التجريد .

« فبقينا في الزاوية ، ولم يذهب احد منا لاستقبال ابن شيخه ، إلى ان جاء مع أسرته ، ودخلوا الزاوية وخدمهم » وقال سيدي الوالد لبعض الفقراء ، بعد وصول اخي الى عكا « اتركوا الطريقة تربيه » . هكذا كانت حياة الفقراء في زاويتنا ، حياة ديموقراطية اسلامية صحيحة مستمدة من انوار رسول الله ﷺ .



دقائق

المشاهد الصوفية

يا بدر نحم

يا بدر تيمّ بدا من جانب الغربِ أشرقتَ يا ذا الهدى في مغرب القلبِ
روحي لديك الفدا يا نعمة الربّ أزلتَ عنا الردى من عالم الغيبِ
جلّ اللهُ ، ما أحلّاهُ ، في مجلّاهُ ، أحيّا لِموتانا
كُنْ مرآه ، كي تراه ، أو تهواه ، تسرّ بِسمرانا

★

أترك حديث الهوى يا قاصر الفهمِ كم مدّعٍ قد هوى لأسفل الوهمِ
واخلع رداء السوى واجنح الى السلمِ نحن عرفنا الدوا من مبدى العلمِ
خلّ المالُ ، والآمالُ ، والأعمالُ ، وأستغنّ بالواحدِ
إن القالُ ، دون الحالُ ، والأفعالُ ، دعوى بلا شاهدِ

★

نحن البذور التي حارتْ بمعناها عقول اهل النهى لا غيم يفشاها
في الشرق قد أشرقتْ والغرب منشأها سبحان من خصّها من قبل مبدأها
بالأسرارُ ، والأنوارُ ، والأذكارُ ، والمشهد الأرفعُ
والاشهارُ ، في الأقطارُ ، والانكارُ ، للأجندم الأقطع

★

دارت كؤوس الصفا في روض ناسوتي بمزوجة بالوفا من نور لاهوتي
مرضىيتي أقبلتْ أمّارتي موتي داود روحي قضى في قتل جالوت
كأسي راقنُ ، يا عشاقُ ، والاطلاقُ ، قد صار لي ملّة

(١) موشح من اناشيد مجالس القوم للشيخ عبده الحمصي الدمشقي .

بدري فاق ، على الآفاق ، بالاشراق ، وزالت العِلْمَةُ

★

أصبحتُ بين الملا كالعين للناظر لما حبيبي علا كسوفي غدا ناظر
من يوم قالوا بكلي قد كان لي ناظر والآن إتني إلى ميعاده ناظر
عقلي ناه ، في معناه ، ما أباه ، في عين رائيهِ
صبّ فاه ، في شكواه ، يا رباه ، حقق دعاويه

★

سحب المعاني همت في مهجتي منّي ومن لساني سقت للانس والجن
عين البيان جرت في الكون من فني رب الزمان جلت أسراره دنسي
فهو الراح ، والاقداح ، والارواح ، والشرب والساقى
والفتّاح ، والمفتّاح ، والافلاح ، والدائم الباقي

★

يا ربنا بالصفاء صل على المصدر محمد المصطفى من خص بالكوث
وآله ذي الوفا والصحب ما أظهر عبئده من خفا كينونة المظهر
من تلويح ، او تصريح ، او تسبيح ، لشأنك العالي
او تصليح ، او تنقيح ، او توضيح ، لسرك العالي

رقائق المشاهد الصوفية

في ذات يوم جلس سيدي الوالد رضي الله عنه في الحرم ، وإذ
بريديه من اهل قرية - ام الفحم - يأتون للزيارة ، ومعهم ما يملكون
من الماشية ، جاؤا يقدمونها الى الزاوية ، فقال سيدي الوالد : آتوني
باربع عقلاء منهم ، وكان بين هؤلاء الاربعة - مصطفى الطه - ، فلما
وقفوا بين يديه قال لهم : اعيدوا ماشيتكم بارك الله لكم في اموالكم ،
احرثوا الارض واخرجوا ما فيها من الخيرات ، ثم اعطوا الزاوية بعض
ما تنتجون ، إن بيوت الفقراء زوايا ، وأنا لا اريد ان اهدمها لعمار

زاوية واحدة ، ان عمار بيوتكم هو عمار الزاوية ، فبكوا وطلبوا منه ان تكون قلوبهم عامرة بذكر الله تعالى ، فقال : إن عمار قلوبكم بيد الله وسأدعوا لكم .

* * *

وذات يوم جاء المریدون من اهل - صيدا - رجالاً ونساء واطفالاً ، بعد ان قرروا التبرع بكل ما تملكه السيدات من الحلي والمجوهرات الى سيدي الوالد رضي الله عنه ، وبعد ان قدموها اليه ، اخذها منهم وابقاها معه لحظات ، ثم قال لهم : لقد تقبلت هديتكم قبولاً حسناً ، واني ارجو الله ان يفتح عليكم ، وها أنا اعيدها اليكم هدية مني ، فلهذا سمع بكاءهم وشدة ما هم عليه من الحزن والالم ، تناول خاتماً صغيراً من الذهب وخطباً فيه حبات لؤلؤ صغيرة من النوع الرخيص ، اخذها ليرضهم واهداها إلي امامهم ، وما زلت احتفظ بها واعتز بتلك المناسبة السعيدة .

* * *

وكان رضي الله عنه ، زاهداً حسناً ومعيناً ، معرضاً عن الدنيا رغم اقبالها عليه ، فكل ما جاءه منها شيء بذله في سبيل الله . حدثني اخونا الشيخ - ابراهيم الكنفاني - رحمه الله قال : كان من عادة شيخنا رضي الله عنه ، انه اذا نزل الى السوق ان يجلس في جانب رجل فقير الحال من اخواننا يدعى يوسف الصقدي .

وذات مرة دخل الحانوت رجل من اهل المدينة ، وجعل يشكو اليه سوء الحال ، ويطلب منه الدعاء له يتيسر الأمور ، ذلك لأنه في حالة ضيق مادي وكرب عظيم ، واثناء الحديث جاء احد المریدين الزائرين ، وقدم الى شيخنا رضي الله عنه نقوداً موضوعة في مندبل ، فتناولها دون ان يفتحها وابقاها في يده ووضعها بلطف في جيب ذلك التاجر المفلس ولم يدع الجالسين يشعرون بذلك ، فلما رجع الرجل الى بيته وجد في المندبل خمسين ديناراً عثمانياً ذهباً ، فرجع الى شيخنا يخبره بما وجده ويرى

المبلغ كبيراً ، فأجابته رضي الله عنه ؛ هي لك لتصلح بها حالك .

* * *

وكان المريدون يتعشقون ذاته الكريمة ويتفانون في حبه ، ويفضلون حياة التجريد على الأسباب ، ليعيشوا دوماً بين يديه . على انه رضي الله عنه لم يكن يأمر احداً من مريديه بتترك حرفته او تجارته او وظيفته ، فالكامل من يسلك الناس وهم في اعمالهم ، وما من سبب شرعه الله ، إلا وهو مقرب العبد من حضرة الله ، وإنما يبعد الناس عدم صلاح نيتهم في ذلك الأمر ، سواء كانت في العلم او العمل او الحرف . فقد جاءه رجل من اخواننا يستأذنه بأن يترك عمله ويتفرغ للعبادة ، فقال رضي الله عنه : اجلس في حانوتك واعمل ، واطلب من ربك ، ذلك خير لك من ان تستجدي الناس .

* * *

وقد عزم جماعة من مريديه من الفقراء من اهل - حارستا - (وهي قرية كبيرة في غوطة دمشق) ان يتركوا املاكهم ويتجردوا في الزاوية ، وجاؤوا - عكا - يستأذنون شيخنا رضي الله عنه في ذلك ، فأشار عليهم بالرجوع الى قريتهم واعمالهم ، وقال لهم : اسعوا للرزق امتثالاً لأمر الله تعالى ، وسأعلمكم ما تعملون ، فبعد صلاة الفجر وتلاوة الأوراد قولوا : نوبنا السعي للرزق امتثالاً لأمر الله تعالى ، ثم توجهوا الى اعمالكم ، فينقضي يومكم كله وانتم في عبادة .

الكسب الاوصاف

وكان الفقراء يتباهون ويتفاخرون برؤية ذاته الشريفة ، ويتسابقون ويعتقدون ان مجرد وقوع نظره الشريف على الفقير ينقله من حال الى حال ، فيحصل له الفتح المبين ، لكنه رضي الله عنه كان يرى ان المدد

الالهى لا ينقطع ، ويصل الى المرید في اى مكان 'وجد فيه ، ولو كان في آخر الدنيا . وان زيارة الشيخ لاكتساب الاوصاف والتخلق بالاخلاق الحميدة ، وحين زاره اخونا - عثمان باشا - احد وزراء الاتراك في حكم الدولة العثمانية ، قال لشيخنا رضى الله عنه : لقد تشرفت برؤية حضرة سيدنا ، أفلا أكون افضل من علي رضا باشا ؟ فأجابه رضى الله عنه بقوله (اجتماع الذوات خير من اجتماع الصفات) اه .

* * *

ولما جاء الشيخ - حافظ عثمان - المقرئ، التركي الشهير لزيارة سيدي الوالد ، ولم يكن قد تشرف بأخذ طريقتنا ، وكان قد نظم قصيدة اثناء سفره في البحر ، وعند مقابلته لوالدي رضى الله عنه في الزاوية ؛ وبعد السلام والحديث سأله سيدي الوالد عن القصيدة التي نظمها ولم يكن يعلم بها احد قط ، فدهش الشيخ المذكور وقال له : أتعلم الغيب ، او ان شيطاناً يوحى اليك ؟ فأجابه شيخنا رضى الله عنه ، ألسن تقرأ القرآن الكريم ؟ قال : بلى ، قال : قال الله تعالى في كتابه العزيز : (عالمُ الغيب والشهادة لا يُطَّلِعُ على غيبه احدٌ إلاّ مَنْ ارتضى من رسول) وانا ارتضيت من رسول الله الذي أنتمى وأنتسب اليه فسر الشيخ - عثمان - سروراً عظيماً ثم اخذ الطريقة الشاذلية عنه وكان من العارفين .

* * *

وقال رضى الله عنه للشيخ - حافظ عثمان - ، في اثناء المذاكرة ١ ، انتم حفظت القرآن ، ربنا سبحانه وتعالى ينفعنا بكم ، قال الشيخ - عثمان - : العاملون به . قال شيخنا : وهل يوجد احد يعمل بما في القرآن كله غير نبيّنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ؟ ولكن ألم تعمل ولو بحرف واحد منه ؟ قال : بلى . قال : هذا يكفي .

(١) البحث في علم الحقيقة ، وإبداء الرأي في كل موضوع روحي ، والشرح والتفسير .

وكان رضي الله عنه يؤلّف بين مريديه . حدّثني الحاج - سليم بليق - ، قال : كان اخونا - ابو عباس الميّداني - (الدمشقي) يجادل العالم الكبير الشيخ - إسماعيل الطوباسي - في الزاوية ، وذات مرة غضب الشيخ إسماعيل ، وبلغ الخبر سيدي الوالد رضي الله عنه ، فدخل (التكية) والفقراء مجتمعون فيها ، ثم قال لأبي عباس : إذا سألك سائل عن ما في السماء فلا تستطيع ان ترد عليه ، ماذا تعلم يا ابا عباس ؟ العالم هو الله ، كن معلوماً لا تكن عالماً ، كن معروفاً لا تكن عارفاً ، كن مذكوراً لا تكن ذاكراً .

* * *

وقد اختلف اثنان من اخواننا اهل (صفد) في المذاكرة ، فلما قابلها سيدي الوالد رضي الله عنه قال احدهما : وقع بيني وبين اخي اختلاف بالمذاكرة ، ولا ادري من منا المصيب ؟ فأجابه شيخنا - بعد ان جمعها في مجلس واحد : لا أحب ان يقع أي اختلاف بين الفقراء ، اريد منكم ان تكونوا قلباً واحداً ونفساً واحدة ، قال رسول الله ﷺ (وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِمُنْتَحَابِيْنَ فِيَّ) . وفي حديث آخر : (لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ أَقْوَاماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمْ الثُّورُ فِي مَنَابِرِ اللُّثُولِ ، تُعْظَمُهُمُ النَّاسُ ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ ، فَجَسَى اِعْرَابِي عَلَى رَكْبَتَيْهِ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ حَلِّمْنَا لَنَا نَعْرَفَهُمْ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : 'هُمْ الْمُنْتَحَابُونَ بِاللَّهِ مِنْ قَبَائِلِ مَسْتَى وَمِنْ بِلَادِ مَسْتَى ، يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ .) رواه ابو الدرداء وأخرجه الطبراني .

تواضع بالرد على من يسأله

وكان رضي الله عنه يرد على من يسأله بتواضع ولفظ ، كأنه هو السائل . حدّثني العارف بالله سيدي - خليل الكردي - ، فقال : في

ذات يوم جاء اخونا (زيور باشا) الى الزاوية لزيارة شيخنا ، وهو من الحكماء العسكريين في - عكا - الذين تلقوا الطريقة عنه وانتسبوا اليه ، جاء يسأله عن الروح ، فأجابه رضي الله عنه : لقد سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الروح ، فنزلت الآية الكريمة (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) فهذا ابلغ رد ، ولكن عن أي روح تسال ؟ قال - زيور باشا - وهل هي ارواح متعددة ؟ وكم روح هي ؟ ، قال شيخنا : الروح التي في بدنك ، وروح القدس الذي هو جبريل عليه السلام ، وعيسى المسيح عليه الصلاة والسلام الذي هو من روح الله ، والملائكة المسمى بالروح المذكور في القرآن الكريم ، الذي يقوم يوم القيامة ، يوم تأتي الملائكة صفاً فيقابلها هو صفاً وحده ، والروح الكلي . فقال زيور باشا : وهل تتجزأ الروح ؟ قال شيخنا : لا ، ولكن لها مراتب ، فالروح التي في بدنك لها التصريف في عالم بدنك ، وروح القدس الذي هو جبريل عليه السلام ، لها التصريف بكلمات الوحي الالهي ، وروح المسيح عليه السلام ، لها التصريف في احياء الموتى وشفاء الائمة والابص ، وغير ذلك كما حدثتنا عنه القرآن الكريم ، والملاك المسمى بالروح ذو الوجوه والعيون والافواه ، هو مُهدِّ لأرواح الملائكة ، والروح الكلي ، لها اقتضاء وشئون ، وغيب وشهادة ، فالأقتضاء القدر ، والشئون تجلياته باسمائه وصفاته ، والغيب التنزيه المطلق ، والشهادة التشبيه المطلق ، قال زيور باشا : حسبي .

السؤال عن مقام الفناء

وجاء مرة ثانية يسأله عن قول بعض السادة الصوفية (لا بد من فناء نفسك) فما هو الفناء الذي عنوه بقولهم ؟ فقال رضي الله عنه : ساداتنا الصوفية كتبوا السطور وابقوا اللب في الصدور ، افتظن ان معنى فناء نفسك انك تقنى ؟ ماذا قال صاحب الوظيفة الشريفة رضي الله

عنه ؟ قال : (وأزِلَ عن العين عَيْنَكَ) مع ان العين لم يتصل بها حرف من الحروف ليزول عنها ، ولكن لوجود النقطة فوقها وُصفت بالعين ، وما هي العين ؟ ، هي وجودي ووجودك ، فيجب ان تزيل النقطة ، قال زيور باشا : كيف أزيلها ؟ قال شيخنا : ازل النقطة من فوقها ، وضعها في باطنها ، فلو وضعنا الف نقطة في باطن العين وطمسناها بالخب لا يضر بعد ان اصبحت النقطة في باطنها .

ثم قال رضي الله عنه : نقلًا عن السادة الصوفية :

إذا قيل لك : يوجد في الشام عالم كبير ، في علم الظاهر والباطن والمعرفة والتحقيق ، والشهود والأخلاق المرضية والاصاف المحمدية ، فماذا يصير عندك ، (علم اليقين) . فاذا صحبته وعرفت ظاهره وباطنه فوجدته فوق ما وصفوه لك ، يصير علمك به (حق اليقين) . اذن ما الذي فني بينك وبينه وهو على ما هو عليه ، وانت على ما انت عليه ، لا زيادة ولا نقصان بوجود ذاتك وذاته ؟ الجواب : ان الذي فني بينك وبينه ، جهلك به .

* * *

حدثني العلامة الكبير الشيخ - عبد الله الجزار - مفتي - عكا - رحمه الله ، كما حدثني العلامة الكبير الشيخ - اسعد الشقيري - احد اكابر علماء فلسطين ، ومفتي الجيش الرابع في الدولة العثمانية ، قال العالمان الفاضلان :

كنا بعد عودتنا من الأزهر الشريف ، نجتمع في جامع الجزائر ، ومعنا جماعة من العلماء ، وذات يوم اختلف بعض هؤلاء في موضوع الملائكة حفظة الانسان في الدنيا ، وما يكون مصيرهم بعد موته ؟ فتباحثنا ولم نصل الى الحقيقة ، وكان يومئذ مفتي - عكا - الشيخ - علي ميروي - ، فقال : هلموا بنا الى الزاوية لنسأل سيدنا الشيخ - علي - ، فلما دخلنا ، وجدناه جالساً في حلقة المذاكرة ، فجلسنا في

نهاية المستمعين لاذحام الخلق ، وبعد الانتهاء من الدرس ، اشار اليها بيده فاقربنا منه وسألناه ، فذكر لنا الحديث الشريف الذي اخرج به ابو الشيخ في - العظمة - والبيهقي في - شعب الايمان - عن انس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال : « ان الله وكَّلَ بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله ، فاذا مات قال الملكان اللذان وكَّلَا به : قد مات فأذن لنا ان نصعد الى السماء ، فيقول : سمائي مملوءة من ملائكتي ، يسبحونني ، فيقولان : انقيم في الأرض ؟ فيقول : ارضي مملوءة من خلقي يسبحونني ، فيقولان : فأين ؟ فيقول : قفا على قبر عبدي المؤمن فسبحاني وكبراني واكتبنا ذلك لعبدي الى يوم القيامة » ثم قال لها سيدي الوالد : ومصير الملائكة الموكلة بحفظ الانسان كمصير هذين الملكين والله اعلم ١ .

وسأله الشيخ - علي ميري - مفتي (عكا) يومذاك ، عن معنى قوله تعالى في الآية الكريمة (فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ، فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ، لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) وهل يوجد عند رسول الله ﷺ شك ؟ فأجابه شيخنا رضي الله عنه : نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، لا يوجد عنده شك قط ، الشك عند قومه ، والحطاب موجبه اليهم ، فالحق سبحانه وتعالى ، يخاطب القوم بواسطة سيدهم .

التدخين

سئل رضي الله عنه عن التدخين وسبب كراهيته فقال :
التدخين منافٍ للحكمة الالهية ، لأن الحق تبارك وتعالى ، جعل حياة الانسان بين نفسين ، داخل وصاعد ، فالنفس الداخل يؤخذ من

(١) سئل ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي في روح المعاني في تفسير سورة - ق - فذكر الحديث (وجاء انه : يلعنان الى يوم القيامة اذا كان كافراً) .

الفضاء بارداً نقيًا ، فيه الحياة ، والنفس الصاعد يخرج حارًا ملوثًا ، وبواسطة التدخين ، يأخذ الانسان النفس حارًا ، فيتسرب منه شيء إلى الاقنية الشعرية في الرئة ، ومع طول المدة تحصل فيها بُبوسة ، تحدث عنها امراض ، وبارادة الله وقضائه تكون سبباً لوفاته .

رمز في السلوك

وذات يوم كان يذاكر رضي الله عنه جماعة من اخواننا فقال : عندما يخلق طير النسر في الفضاء بشكل باجنحته شبه دائرة كحلقة الذكر ، وهو كلما علا بسط جناحيه وارتاح ، حيث يأخذُ حِكماً من العلوّ ويظل هكذا حتى يبلغ أعلى مقام من الاحكام فيرتاح راحة تامة ، قال الله تعالى (رِزْقُكُمْ فِي السَّمَاءِ وَمَا تُوَعَدُونَ) ومع هذا أتعلمون ما الذي ينزلُ بهذا الطير من اسمى مرتبة إلى اسفل ؟

إن الله سبحانه وتعالى منح النسر حدة البصر ، فانه يرى أدق الاشياء على الارض وهو في الاجواء ، وانها هي الشهوة التي تهبط به إلى الحضيض ، أتعرفون كيف ذلك ..؟

حين يكون النسر مرتفعاً ، يقع بصره على جيفة في الارض فيسقط عليها دون وعي ، وبعزم هائل بحيث لو صادف في هبوطه ذاك شجرة لأهاضت جناحه ، او عوداً لاقتلع عينه ، او صخرة لحطمت رأسه ، والسُرُّ في امره هو اتقياده للشهوة وميله إلى المادة .

نهي عن الدعوى

كان سيدي الوالد ، رضي الله عنه جالساً في التكية يذاكر الفقراء ، وينهاهم عن الدعوى ، فقال : (المدعي يأتي بشهود يشهدون له ، وهذا ابن الفارض قد جاء بأربعة شهداء واربعة مزكّين ، فصاروا ثمانية ، حين قال :

سُهادي ووجددي واكتنابي ولوعتي وحزني وسقمي واصفراري وادمعي
وانتم ما زلتم في المرتبة الانسانية بواسطة الادراك ، فاذا وضعنا
احدكم في بيت ، واقفلنا عليه الباب ، وتركناه بلا طعام ولا شراب ،
فهل يستطيع ان يعيش فيه بلا غذاء ؟ وهل يستطيع الخروج من ذلك
البيت والباب مقفل ؟ ولو وضع رجل منكم في بئر في بستان ، هل
يستوي عنده البقاء في البئر كما لو كان يدور في البستان ؟ ان اقل مرتبة
يحصل عليها من يدعي التوحيد مرتبة الكشف عن القلوب ، لا عمّا وراء
الجدران كما تفعل السحرة ، لأن طبائع النفوس البشرية ، تختلف عن
بعضها ، فهي كصور الحيوانات ، فمن الناس من طبعه كالكلب فهو
كثير الكلام (إن 'تقبل' عليه 'يلهث' أو 'تتركه' 'يلهث') طلبه
الجيفة (اي الدنيا) ومنهم من هو كالحية تراه ليّن القول ، فاذا دنوت
منه او لمست باقل شيء يظهر لك العداوة ويؤذيك ، ومنهم من لا همّ له
إلا الأكل والنساء ، ومنهم من لا يؤمن على شيء لأن من طبعه الفسق
والفساد وتخريب البيوت ، والعباد بالله وهكذا . اما اهل الله فهم كالحياد ،
سباقون الى المعرفة والحقيقة والعمل الصالح ، فإياكم ان تدعوا ما ليس
فيكم ، فهذه احوال .

* * *

كان السيد مصطفى السعدي يقرأ في كتاب التوحيد ، فسأله والذي رضي
الله عنه عما أجمعت عليه الأئمة الأربعة ، فأجابه قائلاً : لا إله إلا الله ، فقال
سيدي الوالد : لا إله إلا الله لا شك ولا ريب ، ولكن لا يُنسب الى التوحيد
إلا من يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله . وسأل الشيخ « اسماعيل
الطوباسي » ما هو شهودك ؟ فسكت الشيخ إسماعيل فقال سيدي الوالد : ما
في شهودك إلا الله ، أليس كذلك ؟ قال : بلى ، قال والذي : اهل الكتاب
يقولون : (ما في إلا الله) . وأنا أقول لا إله إلا الله محمد رسول الله
وشهود الحضرة المحمدية إثبات شريعته الغراء ، لذلك أقول : أنا ما عندي

إلا محمد رسول الله ﷺ . قال عليه الصلاة والسلام : (كنت نبياً
وآدم بين الماء والطين) وكل واحد من الأنبياء الذين ظهروا قبل النبي
ﷺ ، كان يعلم علم من قبله من الأنبياء ، وعلم وقته ، فلما ظهر نبينا
محمد صلوات الله وسلامه عليه ، علم ما كان عليه الأنبياء قبله وما ستأتي
به الخلفاء بعده ، ولم يُبق لأحد شيئاً يأتي به ، فكان خاتم الأنبياء
الجامع ، فقد ختمت به مرتبة النبوة وظهرت منه مرتبة الولاية ، وكل
ولي يظهر في الوجود يعلم علم ما كان عليه الانبياء والاولياء قبله وعلم
وقته ، اما خاتم الولاية فهو على قدم محمد ﷺ ، لانه لمحة من ذلك
النور المحمدي الكلي الجامع ، فهو نور من انوار رسول الله ﷺ ، وبه
تختم الولاية الواسعة ، ومن بعده لا يخلو الكون من رجل يكون
للعوم ، لا تختص به جماعة دون آخرين ، ويكون مستوراً عن الجميع .

* * *

كان سيدي الوالد جالساً في (التكية) والسيد - محمد الانطكلي -
جالس لا يتكلم ، فقال له والدي : ما هذا الجمود ؟ لم لا تتكلم ؟
فأجابه : لست قادراً على التكلم ، فإن اخواننا اغنياء في الطريق ، وأنا
فقير بينهم ، فقال سيدي الوالد :

لقد وهبنا الله عقلاً ، وشرع لنا صراطاً مستقيماً ، نسلك فيه ،
والشرع لا يحكم على من لا عقل له ، فيجب ان تُجير نفسك على
الطاعات والعبادات (وتُبَحِّبِهَا) بالمباحات ، وتحذرها وتترجها عن
الحرمات . قال محمد الانطكلي : أخشى إن انا وسعت عليها بالرخص ان
تقوى عليّ . فقال والدي : لا لا ، أنظر هذه أبنتي الصغيرة - مريم - ،
لأنها حين تنتبه من نومها في كل صباح ، تشير بيدها الى جهة المسجد
وتقول : الله اكبر الله اكبر ، فنحن مجبولون في الدين منذ نشأتنا .
وماذا قال سيدي ابن عطاء الله في الحكم ؟ قال : (لا تصحب

(١) ولهذا الحديث رواية ثانية « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد » اخرجه احمد والبخاري .

من لا يُنهضك حاله ولا يدلُّك على الله مقاله (ومن الذي يُنهضك حاله ويدلُّك على الله مقاله غير شيخك أو إخوانك في الله ؟ ولئن تعذّر عليك الاجتماع بشيخك والاستماع إليه وإلى إخوانك ، فعليك بمجالسة علماء الورع .

* * *

وحدثني اخونا العارف بالله سيدي خليل الكردي ، فقال :
في اثناء تجريدي في الزاوية ، خطر لي ان اترتض بالصيام ، فأطوي اربعين يوماً بلا طعام ، وبدأت اعود نفسي فأصوم ثلاثة ايام وفي مساء اليوم الاخير افطر على حبّات تمر ، حتى ظهر عليّ الضعف والاعياء ، فذهبت استشير حضرة سيدنا ، فلما ذكرت له امر صيامي ، نظر إليّ وقال : (من قال لك ان تفعل هذا ؟ وهل يأمرك دينك بذلك ؟) فسكتُ واستشعرت الندم ، فقال لي : تعرف يا بنيّ ، هي النفس تدخل على الفقير من كل باب حتى من باب الطاعات فتحسّن له عمل شيء ما ، فالواجب على الفقير إذا ورد عليه خاطر ان يعرضه على شيخه فإن اذن له به فعله وإلا فلا ، وإن كان الشيخ غائباً فليتحدث امام الخلق ويقول لهم نفسي تأمرني بكذا وكذا ، هنالك تفرّ الخواطر وتنكسر النفس . وما ضبّط العارفون نفوسهم إلا بهذا ، فلو تحدث الفقير عن نفسه الى اخوانه لوجد فيهم اخاً رشيداً يُنهض همته بجانب الله ، ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب .

ومن مذاكراته ، رضي الله عنه ، عن مراتب النفس البشرية ، قوله :
مراتب النفس سبعة : امارّة ، ولوامة ، وملهمة ، ومطمئنة ، وراضية ، ومرضية ، وكاملة . فالنفس الامارة ؛ هي التي تأمر صاحبها بمتابعة هواه ومخالفة اوامر دينه ، فيبيع آخرته بشهوة صغيرة ، قال الله تعالى في كتابه العزيز (إنّ النفس لآمارّة بالسوء) . والنفس اللوامة للمؤمن ، لأن القلب الميت لا يحس بطاعة ، ولا بمعصية ، وقلب المؤمن

حيّ ؛ فأذا اطاع المؤمن ربه تنعم قلبه ، وان عصاه تألم فلامته نفسه لتورده الى الطاعات ، على ان للنفس اللوامة اشياء من الامارة ، ولذلك قال تعالى (ولا اقسِمُ بالنفس اللوامة) .

الملممة ؛ هي التي (أَلَمَهَا فُجُورُهَا وَتَقْوَاهَا) لبعدها عن مقام الثبوت والتمكين ويلزمها الاجتهاد والتصفية ؛

اما النفس المطمئنة ؛ فهي في اول درجة من الكمال ، انما يلزمها ان تكون راضية مرضية في جميع الاحكام ، هنالك يكون صاحبها محموداً بتوفيقه بعد ان كان حامداً قال تعالى (يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ؛ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ؛ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) .

وأما النفس الكاملة ؛ فهي في اعلا مرتبة في العبودية ، ويكون صاحبها من اهل الشهود والعرفان والوصول الى الله تعالى ، قائماً بوظائف ربوبيته سبحانه ظاهراً باطناً ، بعد ان اغلق جميع الابواب على شيطانه ، ولم يجعل له عليه سلطاناً ، (وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) .

تأريبه الفقراء بالهجر

كان في عكا مرید لحام ، وكان له جار ثري أقام في يوم فرحاً بداره ، فدعاه في جملة من دعا ، وقيل ان صاحب الدار قدّم لبعض المدعوين خمرآ ، وبلغ الخبر اسماع شيخنا رضي الله عنه ، فأمر بهجر المرید للحام ، وسمعت سيدي الوالدة ما دار من حديث عن الرجل ، فجاءت الى شيخنا تقول :

تري ، ألم يكن غير ذلك للحام من حضروا ذلك المجلس ؟ او لم يظهر سواه بين اولئك الناس ؟ فأجابها رضي الله عنه : من المؤكد انه هو الذي يجب ان يظهر امره لاجل نسبه الى الطريق ، لان الذي يلبس الثوب الأبيض فإن أقل سائبة تلحق بذلك الثوب تعيبه ، واما الذي يلبس الثوب الاسود فما من سائبة تؤثر فيه .

التأويب الرومي المعنوي

حدثني جماعة من إخواننا ، وحدثني سيدي الوالدة حفظها الله فقالوا :
 كان الشيخ عبده المحصي الدمشقي المقرئ الشهير المعروف ، يجلس بين
 يدي شيخنا في الزاوية في أثناء زيارته له ، وكان الشيخ المذكور قد
 نظم عدة أناشيد صوفية ولحنها ، فسأله شيخنا عن مبلغ علمه بفنون الشعر
 وكيف تستي له ذلك فأجاب : ربما لان لي معرفة بعلم النغمات والالخان ،
 وعندها نادى شيخنا على السيد « ابي سعيد القاضي » وقال له : اذهب
 وأقفل النافذة التي وراء الشيخ عبده وأرخ الاستار ، فالشيخ عبده معه
 (برد) ومن ذلك اليوم انقطع الالهام عن ذلك الشيخ ، وقضى مدة
 لا يستطيع ان ينظم شعراً ، لا قصائد ولا موشحات ولا أناشيد ، حسب
 عادته منذ ان تشرف بأخذ طريقنا ، فندم لانه أساء الادب مع شيخه
 بعدم اعترافه بفضل الطريق عليه وفضل الذكر ، وكان يسكن دمشق
 آنذاك ، ثم رجع الى عكا زائراً تائباً مستغفراً الله تعالى ، وهناك استطاع ان
 ينظم هذا النشيد الرائع الذي أنشده بين يدي سيدي الوالد ، وقد اشار
 فيه بتوسله كي تفتح له الابواب وترفع الاستار ، وبعد هذا النشيد فتح
 الله عليه ورجع الى حالته الاولى كما كان .

* * *

لاح برق الذّات من ذاك اللّوى مذ ظهر حُبّي
 وبه قد زال عن عيني السوى وانجلي قلبي
 فانشدي لي يا سليمى بالنوى ساعة الشرب
 لذّ لي التمزيق يا اهل الهوى في هوى الغري

★

يا ندامى كل من يصحبنا ما عليه باس
 نحن سكرى والهوى مذهبنا والطلا والكاس

سار في بحر الصفا مركبنا ربحه الانقاس
ليس يدري في الورى مشربنا غير ذي القلب
لذّ لي التمزيق يا اهل الهوى في هوى الغربي

★

يا سراج الكون يا شمس الكمال إن جسمي ذاب
نور القلب بمصباح الجمال وافتح الأبواب
واسقي من خمر كاسات الوصال شربة الأحباب
انت حسبي انت سؤلي والمآل يا ضيحا ربي
لذّ لي التمزيق يا اهل الهوى في هوى الغربي

★

يا رجال الغيب يا سرّ الجليل انتم الاقمار
ان عبد القادر المحصي الذليل نحوكم قد سار
اسعفوه بالرضا يا آل الجميل وارفعوا الأستار
حيث من اطفالكم هذا العليل مكلم القلب
لذّ لي التمزيق يا اهل الهوى في هوى الغربي

★

صلّ يارب وسلم كل حين عالني المختار
معدن الأسرار كنز العارفين مصدر الأنوار
رحمة ارسلته للعالمين من عذاب النار
وعلى اصحابه اهل اليقين حبههم حبي
لذّ لي التمزيق يا اهل الهوى في هوى الغربي

* * *

نقطة السجدة

ذات يوم، طلب سيدي الوالد من مريده الشيخ (محمود ابي الشامات)
ان يشرح تائيّة شيخنا سيدي - محمد وفا بحر الصفا - رضي الله عنه ،

وجلس الشيخ - محمود - في إحدى غرف الزاوية ثلاثة أيام متوالية ولم يفتح الله عليه بشيء ، وفي صباح اليوم الرابع دخل عليه شيخنا رضي الله عنه ، وما ان وقع نظره عليه حتى هبط عليه الالهام ، فنظم هذا النشيد اولاً ثم بدأ بشرح - التائيّة - .

عمّ التجلي وانسترت بنوره وتفجرت عيناى من مكنونه
والحق أسفر عن حقيقة ذاته حتى بدت أثماره بفضونه
لا تستروا وجه الحبيب بظل من لولاه ما كانت ظلال عيونه
تلك الظلال وإن تكن مشهودة لكن بحكم النور لا من دونه
الله اكبر من حدوث عوالمى أو من شهود الظل في مسجونه
تالله لا غيراً أرى لي مؤنساً لا والذي افنى الجميع بنونه
جاء الحطاب من الكتاب مؤيداً حال الفقير مشاهدآ بشجونه
فالمحمد الله الذي أنا مظهر متعين متفتن بشثونه

عطف على المرید الفقير الحال

وكان رضي الله شديد العطف على المرید الفقير الحال ، يحيطه بصنوف الرحمة والتقدير لما يبذله ذلك الفقير في سبيل الله ، فكان يأخذ تلك القروش القليلة التي يدفعها الفقير المعدم لذاته الكريمة ، ويترك ما يقدمه بقية المریدين لينفق على الزاوية ومصالح ابناء الطريق .

حدث مرة ان جمع إخواننا في (صفد) مبلغاً من المال للزاوية ، ولما همّ الركب بالرحيل ، إذا بامرأة من إخواننا تدعى - ام حامد شطاره - (وهي فقيرة) تدخل عليهم وترجوهم ان يترثوا لينا تذهب وتعود ، لعلها تستطيع ان تدبر بعض قروش ترسلها معهم ، لكنهم رحلوا دون انتظارها ، ولما لم تجدهم لحقت بهم مشياً على الأقدام الى ان ادركتهم في قرية (عين الزيتون) ، بالقرب من (صفد) ، فأعطتهم

(زهراوي) (عملة تركية قيمته ربع مجيدي تركي في عهد الدولة العثمانية) وخاف الزجل الذي يحمل المال اللصوص وقطاع الطرق ، فلم يفتح الحزام ليضع (الزهراوي) فيه ، بل اسقطه في جيبه ولم يهتم لأمره ، وبعد ان وصلت القافلة (عكا) ، دخلوا على سيدي الوالد ، وهو جالس بين حشد كبير في الزاوية ، وقدّموا اليه المبلغ فلم يستلمه منهم ، وأمرهم ان يسلموه الى السيد - مصطفى السعدي - وكيل الزاوية حسب العادة ، لينفق عليها وعلى الفقراء . وكان ان نسي الرجل الذي احضر المال قصة المرأة و (الزهراوي) ومضى ليأخذ مكانه في المجلس ، فإذا به يسمع صوت شيخنا يناديه ويسأله بقوله : أين الزهراوي الذي أرسلته لي المرأة الفقيرة ؟ (انا حاجتي فيه) فكاد الرجل ان يُصعق من هول الموقف ، واندفع يقدم الامانة الى سيدي الوالد ويقبل يديه ويطلب الصفع ويعتذر اليه ، فأخذ شيخنا (الزهراوي) ووضعه في جيبه ، ويوم رجع الراكب الى (صفد) ، هرع الرجل الى المرأة يزفّ اليها البشري ويحدثها بما كان ، وكيف ان سيدي الوالد اهمل امر النقود الكثيرة واهتم بها ، فبكت فرحاً وسروراً .

عطفه على الطير

حدثني أخونا الشيخ عبد الرازق القاضي ، قال : كان شيخنا رضي الله عنه ، لا يرضى بسجن الطير ، فإذا وصل الى الزاوية شيء من أنواع الطيور أمر بذبحها حالاً او بتسريحها في فضاء الارحوب . وذات يوم اهدى احد اخواننا لسيدتي مريم كريمة شيخنا طيري « حجل » ، وكانت طفلة صغيرة جداً فسرت بها . وفي اليوم الثاني لم تجدهما فجزعت وبكت ، فقلت لها : لقد ذهبا الى اهليها ، وغداً او بعده يعودان الينا ، وبعد يومين ابتعت لها حجلين أتيت بها اليها وبادرتها قائلاً : ها هما قد رجعا ، فسرت سروراً عظيماً . واثناء حديثي معها

شرف شيخنا وقال لي : ما هذا ؟ هل جئت بمجولين لمريم ؟ قلت : نعم يا سيدي ، قال : الصيادون عندنا في بلاد المغرب أقدر على الصيد من اهل هذه البلاد ، وطريقة صيد الحجل عندهم ان يأتوا بطير حيّ في قفص ، فيضعوه على تلّ عالٍ ، وينصبوا الشرك حوله ، ثم يضعون في كل شرك حبّاً ، وتسمع الطيور صوت الطير الحي ، فتأتي وتأكل من الحب فتقع في الشرك ، وهكذا عمل الشيخ بكم ، نصب لكم الشرك ووضع فيه حبة الحُبّ ، فجاء طير القلب ورآها فألقى بنفسه عليها ، فأنتم جميعاً قد وقعتم في شرك الشيخ ، قال عندها الشيخ عبد الرازق : لا خلصنا الله من هذا الشرك . وفي اليوم الثاني امر شيخنا بذبح الطيرين الجديدين ، او ان يُطلق سراحهما في الغضاء .

عطفه على الحيوان

كان رضي الله عنه شديد الرفق بالحيوان ، لا يستطيع ان يرى احدآ يضرب حيواناً ، او ان يحمله فوق طاقته . وذات مرة فقد جوادٌ من جياد الزاوية بصره بعد ان استخدم مدة من الزمن ، فأراد اهل معاصر الزيت شراءه ليدير دولاب المعصرة ، ولما اراد الفقراء بيعه ، علم شيخنا بالأمر فمنعهم من ذلك قائلاً : إنه فقد بصره في الخدمة فلا يصح بيعه ، بل يجب ان يبقى في الاسطبل يُعلف مدة حياته جزاء خدمته السابقة وشفقة عليه من العناء والتعب .

الإنسانية الروحية

حدثني جماعة من إخواننا ، حدثتني سيدتي الوالدة ، قالوا : ذهب شيخنا رضي الله عنه وزوجه السيدة - ام يحي الدين - وولدهما - يحي الدين - الذي كان يومئذ في الربيع السابع من عمره الى مدينة - القدس - لزيارة الحرم الاقصى بدعوة من مريديه ، وهناك دعاه

احد اعيان المدينة الذين تلقوا الطريقة الشريفة عنه الى بيته ، - وإني امسك
عن ذكر اسمه احتراماً لارادته - وكان في ذلك البيت جارية سوداء ،
ولها طفل صغير مريض لا يتجاوز العام الثالث من العمر ، يدعى جوهر ،
وقد أسرَّ صاحب البيت الى شيخنا قائلًا : ان هذا الطفل الاسود المريض
هو ولدي ، وأمه الجارية ملك يميني ، لكنني لا استطيع الاعتراف
بذلك ، وأنا شيخ كبير ، خوفاً على الطفل من ابنائي وزوجي ،
ولذلك فإني اقدمه رفيقاً لسيدي محي الدين . وحين رجع سيدي الوالد
الى (ترشيحا) كان الطفل معه ، فنشأ في رحاب الزاوية ، تحت كنف
سيدي الوالد معزّزاً مكرّماً ، فكان احباً ورفيقاً لأخي السيد - محي
الدين - ، فلما بلغ مبلغ الرجال اشتراه شيخنا من الجندية ، ثم زوجته
ووهب له قطعة ارض و (وكرم زيتون) وبيتاً صغيراً في قرية
(الكايري) ، وقدم له كل ما يحتاجه ، ليعيش مستقلاً في بيته ، مع
أسرته وأولاده ، وقد عاش - جوهر - متفانياً في حب شيخه وفي خدمة
الطريق وأهله ، وكان من أكابر اخواننا العارفين بالله ورسوله ، وقد
رأيتُه في اواخر ايام حياته ، يوم ان كان يأتي لزيارتنا ، فسألته مرة عن
نسبه وهل يعرف انه من الاشراف ؟ فأجابني قائلًا : كفا في فخراً اني
اعدت نفسي عبداً وخادماً لأبيك ، فهو ابي وأمي واهلي وعشيرتي .

* * *

وكان من جيران الزاوية العلامة الكبير الشيخ - اسعد الشقيري -
الذي تولى مناصب علمية رفيعة في حكم الدولة العثمانية وحكم الاتراك
الاتحاديين ، وكان بيته أمام زاويتنا (في نفس الشارع) ولم يكن
الشيخ - اسعد - شاذلياً او من ابناء الطرق الصوفية ، لكنه كان
محباً للسادة الصوفية وخاصة لسيدي الشيخ الاكبر - محي الدين بن
عربي - رضي الله عنه ، قال لي :
لما عزمت على السفر الى - استانبول - ، لطلب وظيفة ما في

القضاء او الحَقَّانِيَّة ، لم اكن اطمع يومذاك بمقابلة احد من سلاطين آل
- عثمان - او نبيل منصب رفيع في الدولة ، وقد ذهبت لوداع والدك
قبل السفر فدعا لي بالتوفيق والنجاح ثم قال : ببلغ السلطان تحيتي
ودعواتي ، فقلت في نفسي : لعل سيدنا يريد ان يبعث الطمأنية الى
نفسي بقوله هذا ، وسافرت على بركة الله تعالى ودار الزمن وإذا بي
موظف صغير في - مكتبة قصر يلدز - فقضيت ستة اشهر ، ولم يحضر
اثناءها السلطان - عبد الحميد - الى المكتبة ، فوجدت المجال فسيحاً
امامي فعكفت على دراسة اسماء الكتب الموجودة في المكتبة ، وعرفت
موضع كل كتاب دون ان احتاج الى مراجعة السجل او الرقم .

وذات يوم حضر السلطان واذا به يطلب من الأمين العام كتاباً
سمّاه له ، وذهب الرجل لتوّه وفتح الدرج الذي فيه الرقم ، فتغير وجه
السلطان ونظر اليه شزراً ، وعندها اغتنمت الفرصة فرفعت يدي بالتحية
واشرت اليه اني اعرف مكان الكتاب ، فقال : اسرع وائت به إليّ ،
وسرعان ما تناولته وقدمته اليه ، فانقضت الغمامة عن وجهه وسرّ
سروراً عظيماً ثم ناداني ، فوقفت بين يديه واخذ يسألني عن اسمي وبلدي
واهلي ، ثم انعم عليّ بمبلغ من المال ؛ وحين همّ بالعودة ذكرت قول
والدك فرفعت يدي بالتحية ، فوقف السلطان وقال اتريد شيئاً آخر؟ قلت
عندما غادرت بلادتي ، لم اكن اطمع في ان اتشرف بالمثل بين يدي
مولانا (البادشاه) على ان سيدنا الشيخ علي نور الدين البشرطي الشاذلي
في - عكا - ، قال لي ، ساعة الوداع ، (ببلغ مولانا السلطان تحيتي
ودعواتي) قال الشيخ اسعد : وعندها رأيت السلطان - عبد الحميد -
يرفع يديه الى رأسه ويرد التحية ويقول : وعليه السلام ، وعليه السلام ،
وعليه السلام ، وبعد ايام رُقِّيت الى وظيفة مدير عام للمكتبة في - قصر
يلدز - وعُيِّنت عضواً في المشيخة الاسلامية .

* * *

وذكر لي الشيخ - اسعد - حادثة اخرى ، قال : علي اثر عودتي
من - مصر - مرضت ، وذات يوم ارتفعت درجة حرارتي ، فتناولت
كتاباً وجدته في المكتبة لأطالع فيه ، وكان كتاب الانسان الكامل
لسيدي - عبد الكريم الجيلي - ، فلما فتحته وقع نظري على هذه الجملة
(انا هو وهو انا) . فجعلت ارددها ولم أقو على المطالعة ، فأعدت
الكتاب الى محله السابق ورجعت الى السرير وانا اردد قول ، انا هو
وهو انا ، وما كدت استلقي على فراشي حتى انغمي علي ، فصاحت
والدني وهرع الناس الذين في البيت والشارع يتساءلون ، ولما صحوت
فتحت عيني وجعلت انظر الى من حولي في الغرفة ، فرأيت سيدي والدك
واقفاً فوق رأسي وهو يبتسم ويقول لي : لو كنت أنت هو وهو أنت
ما كان ليعتريك المرض .



الحياة

الصوفية الانسانية في البيت

با الرهي

حزتُ من حبيهم ^١	مُنَّ في قريهم	يا الهي بهم
قد جباها الوفا	كل عزّ وشان	عصبة المصطفى
يا أهيل النظر	انجمٌ لا خفا	نورُ حبيّ ظهر
صار سمعي هو	من رفيع المكان	يا أهيل الهوى
واجتباي الظهور	في جميع الصور	كنت قبل السطور
بشروا إخوتي	بادروا للعيان	همت في قبلي
مكتوا حبكم	زال عني السوى	وحسدوا ربكم
من هواه مقيم	ويدي واللسان	وصلاة القديم
	خافياً في الصدور	
	من بچار البيان	
	داخلاً جنتي	
	صرت فرداً الزمان	
	حققوا قربكم	
	من عليّ الزمان	
	على الرؤوف الرحيم	
	في الحشا والجنان	

* * *

الحياة الصوفية الانسانية في البيت

كانت حياتنا في البيت على عهد سيدي الوالد رضي الله عنه حياة رغد وسعادة وهناء ، حياة سهلة بسيطة غير معقدة ، مشرقة بنور الايمان والعمل الصالح ، حياة ثقافة وتصوف وعبادة ومكارم اخلاق .
لقد كان رضي الله عنه مظهراً ذاتياً اقدس ، متخلقاً باخلاق رسول

(١) من اناشيد مجالس القوم للشيخ عبده الحمصي الدمشقي

الله ﷻ ، سائراً على اثره جامعاً لمراتب كالات الوجود الظاهرة
والباطنة ، لا يعطل مرتبة منها ، ويعطي كل ذي حق حقه .
فهو وارث محمدي اكمل ، يعرف من فيض بحر إلهي ، ومرشد مربّ
كامل ، وابن بارّ بوالديه واهله ، وزوج كريم صالح نبيل ، واب
عطوف رحيم ، وإنسان تشمل إنسانيته الانسان والحيوان
بالعطف والرحمة .

تزوج في ادوار حياته اربع مرات ، لكنه لم يجمع بين امرأتين او
ثلاث في زمن واحد قط ، لقد كانت له زوجة واحدة ، فاذا توفيت او
طلقت تزوج امرأة غيرها .

لم يقرب الجوارى ملك اليمين كما اباح له الشارع ، وحسب عادة
اهل ذلك العصر ، ولم يمسهن ابداً ، بل كان يعاملهن بمنتهى الرحمة
والعطف الأبوي الصادق ، لا فرق بينهن وبين إحدى بناته ، وكان
يعتقنهن ويزوجهن فيقضين حياتهن تحت رعايته .

وكان رضي الله عنه يحترم المرأة ، ويعرف ما لها من حقوق
وواجبات ، ويعمل على رفع مستوى مداركها وثقافتها ، فعندما تزوج
سيدتي ووالدتي العابدة العارفة بالله ورسوله حفظها الله وادامها ، بعد
وفاة زوجه السابقة - السيدة الجليلة خديجة توسيز - ، كانت والدي
امية لا تقرأ ولا تكتب ، فاستدعى لها مدرسة خاصة تعلمها القراءة
والكتابة ، وكان يلقي عليها بعض دروس بسيطة في الفقه والحديث
والتصوف وغير ذلك ، وشجعها على العمل والخدمة ، في سبيل الله
والسير والسلوك في طريق الكمال . وهكذا بلغت في رقيها الروحي
الانساني اعلى المراتب الالهية بفضل ذلك التوجيه والمدد .

ولم يكن اهتمام سيدي الوالد رضي الله عنه برفع مستوى المرأة الثقافي
الروحي ، مقتصراً على أزواجه وبناته وحفيداته فحسب ، بل كانت تقرأ
في بيتنا دروس دينية يومياً يحضرها السيدات فقط . وكان رضي الله عنه

يختار الكتاب والموضوع ، ثم يأمر السيدة الفاضلة العارفة المحققة ام اسماعيل
أخالدي دمشقية ، بإلقاء تلك الدروس . وكثيراً ما كان يشرف المجلس
فيشرح لمن ، وكان من المفروض على كل من في بيتنا من السيدات
والمتجردات والزائرات والجواري ، ان يحضرن الدرس الديني . إذ لم
يكن في بيتنا خادمات بالأجر ، وكان بعض السيدات الصالحات من اهل
المدينة يحضرن تلك الدروس للاستفادة منها .

وفي شهر الصيام المبارك ، كان يعين لنا إماماً شيخاً مسناً فاضلاً ،
يصلي بنا صلاة العشاء الأخيرة وصلاة قيام شهر رمضان (التراويح)
جماعة ، فيجتمع عندنا في البيت جمع غفير من سيدات المدينة لتأدية هذه
الصلاة طوال ليالي ذلك الشهر الكريم .

وكان من المفروض على كل نساء بيتنا حتى الاطفال تأدية الصلوات
الحس في كل يوم . وعلى كل طفل جاوز الربيع السابع ان يصلي ويصوم
ويقرأ الوظيفة والأوراد ، وكانت لنا غرفة خاصة لتلاوة آي الذكر
الحكيم ، ندخلها صباح كل يوم وقد حملت كل واحدة من السيدات (مصحفاً)
كريمياً بيدها ، وتقرأ إحداهن (عشرآ) من القرآن الكريم بصوت
مسموع ، ثم تقرأ كل منهن ما تيسر منه بصوت خافت هو اقرب الى
الهمس . وبعد ذلك كنّ ينصرفن الى تأدية اعمالهن المنزلية . كما كان
يجتمع في زاويتنا نخبة من السيدات الزائرات الفاضلات اللاتي يقدن من
البلاد المجاورة . وكان اول من تلقى الطريقة الشاذلية عن سيدي الوالد
رضي الله عنه من النساء في هذه البلاد السيدة « خزنة شريخ » الحسينية حرم
احمد بك توسيز ، وهي والدة السيدة « خديجة توسيز » زوجة سيدي الوالد
رضي الله عنه ، وكانت السيدة خزنة قبل مجيء والدي الى الشرق ، ترجو
الله دوماً ان يجتمعها بصاحب الوقت ، ذلك لانها كانت من العابدات
الصالحات ، ثم بعد اخذها الطريق نالت الفتح المبين ، فجمعت بين العبادة
والمعرفة والتحقيق .

وكان رضي الله عنه يعيش في بيته كما يعيش سائر المریدین ، يصلي
ويقرأ الوظيفة ويتلو الاوراد ويشغل نفسه بصنوف العبادات والطاعات ،
ثم هو يرشد الناس الى سبيل الله ، ولم ينقطع عن تلاوة الاوراد حتى بعد
ان جاوز المئة عام ، فكان يتلوها كما يتلوها الفقير المبتدىء ، وقد سألته
اختنا العارفة بالله ورسوله الشيخة - مريم ابو ريشة - فقالت : اما تزال
يا سيدي بعد هذه السن وهذا المقام تتلو الاوراد ؟ فأجابها بقوله : كان
رسول الله ﷺ يقوم الليل الى ان تورمت قدماه الشريقتان ، بعد ان
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فلما سُئِلَ عن ذلك قال :
افلا اكون عبداً شكوراً!؟

وكذلك لم يترك رضي الله عنه صلاة قيام الليل والتهجد قط ، حتى
في الليلة التي سبقت انتقاله الى دار البقاء .

كان في تلك الليلة يصلي قيام الليل ويتوجه بالذكر الى طلوع الفجر
وكان يقضي اوقاته في العبادة ، سواء كان في الليل او النهار (ثم هو
يقرأ ما تيسر من آي الذكر الحكيم بعد صلاة الفجر وقراءة الوظيفة
وتلاوة الاوراد صباح كل يوم) وكان رضي الله عنه يأكل قليلاً وينام
قليلاً ويعيش لله بالله ، ويتناول القهوة الحلوة والشاي ، وينزل الى
- التكية - ولا يصعد الى بيته إلا في مواعيد الأكل والنوم ، وقد
يتناول طعامه مع اولاده الفقراء ، فهو يقضي معظم اوقاته معهم ، وكان
يصلي الفجر معهم في الحرم جماعة وراء الامام ، فلما جاوز المئة عام كان
يصليه في غرفته . وبعد الافطار ينزل الى - التكية - كعادته ، وكان
يتريض في الهواء الطلق مشياً على الاقدام ، فيخرج لزيارة النبي
- صالح - عليه الصلاة والسلام ، او لزيارة قبر احد الصالحين المسمى
- بأبي عتبة - بالقرب من - البهجة - ويوم ان جاوز المئة عام كان
يخرج الى البرية في العربية ثم يعود الى البيت .

ولم يستعمل رضي الله عنه التدخين قط ، لكنه كان يضع في انفه

قليلاً من نشوق (التبغ) وقد تمر اسابيع او اشهر دون ان يفعل ذلك ، إذ انه لم يكن مقيداً بالعادات ، وطرز حياته في البيت يدل على نشأته الاولى الارستوقراطية الراقية ، في الهدوء والسكون والنظافة والاهتمام بالأمر الصحية ، واتقان العمل في كل شيء ، والعناية بتثقيف من حوله من الرجال والنساء والاطفال ، ثقافة دينية اسلامية صميمة ، ولكن بتواضع لله وعبودية تامة على الاخلاص الحقيقي بصدق التوجه الى الله تعالى ، مقدراً ما حباه الله إياه من النعم الالهية ، فاذا جلس في غرفته يذكر الله او يتوجه اليه او يتعبد او يقرأ او يطالع ، لا يدخل عليه اثناء ذلك احد حتى ولا زوجه ولا ابنته او حفيدته ما لم يستدعن اليه ، فهو مشغول ابدأ بربه لا تلفتته حاجة من حاجات الدنيا والآخرة إلا القيام بأوامر الحق عز وجل ، فيما أقامه فيه في سبيل الهداية والارشاد الى سبيل الله .

وكان عددنا لا يقل عن ستين او سبعين من اهل البيت والزائرات والمتجردات والجواري ، وقد يرتفع العدد الى المئة في كثير من الاحيان بالنسبة لكثرة عدد الزائرات اللاتي يفدن من البلاد البعيدة والقريبة . ورغم هذه الكثرة فقد كان البيت يظل هادئاً ، تكاد لا تسمع فيه حركة ولا ضجة اصلاً .

وكان رضي الله عنه يدعو الشيخ « عيداً » المقرئ الضريف ليتلو آي الذكر الحكيم في بيتنا صباح ومساء كل يوم ، ثم يطلب منه ان يهب ثواب ما يقرأه صباحاً لروح والديه رضي الله عنه ، وما يقرأه مساء لروحه هو قدس الله سره مقدماً قبل انتقاله الى دار البقاء . وفي المواسم كان يقدم (ذبيحة) عن روح والديه عدا ذبائح ضحايا العيد .

وكنا ننام معه في غرفة واحدة ، فكان رضي الله عنه يتفرق بنا ويعاملنا بمنتهى العطف الابوي والحنان الانساني الشامل . ثم هو كان يتفقد احوال كل من في البيت من المتجردات والجواري ، ويعمل على

إسعاد كل واحدة منهن ، وكان الطعام الذي يقدم للزائرين في الزاوية وللمتجردين يُطهى في بيتنا وكلنا نأكل من طعام واحد ، لا فرق بين الشيخ والمريد والغني والفقير ، وابنة الشيخ والمتجردة والزائرة ، فالجميع سواء في الطعام والكسوة والثقافة والسلوك في جانب الله تعالى .

وكانت مواعيد الاكل منظمة ، وقد يتعاون آل بيت الشيخ مع المتجردات والجواري في ايام المواسم لاعداد الطعام والخدمة التي هي جزء من العبادة ، لانها خالصة لوجه الله تعالى .

وكان رضي الله عنه لا يمنع واحدة من السيدات من اخذ قسط من الراحة والتسلية ضمن حدود آداب الشرع الشريف ، فبأثناء وجوده في التكية كن يتندرن ويضحكن وينشدن الاناشيد الصوفية ، شرط ان يجلسن في الغرف البعيدة عن الشارع والتكية ، كيلا تسمع اصواتهن .

وكن إذا اردن ان يستمعن الى الاذكار ينزلن الى الزاوية من باب خاص بهن ، يصعدن منه الى السّدة حيث يجلسن فيشاهدن خلق الذكر من وراء حجاب ، دون ان يراهن احد .

ثم هو رضي الله عنه ما كان ليمنعن من شهود حفلة زفاف في المدينة إن أردن ذلك ، على انهن لم تكن لديهن اوقات فراغ يقضينها في الولاثم والافراح إلا قليلاً جداً لكثرة الزائرين والزائرات .

وفي فصل الربيع كن يذهبن الى قرية « الكابري » فيتريضن في البساتين ويجلسن تحت اشجار الليمون والبرتقال . وكذلك كن يخرجن الى البرية للتنزه في مدينة عكا ، وكثيراً ما كنا ننقل الى الزاوية في حيفا فنقضي هناك اسابيع او اشهرآ .

وكان من عادة اهل عكا في ذاك الزمن ، انه إذا بنى احدهم بفنائة غريبة ان تنزل العروس واهلها ايام زفافها في احد البيوتات الكبيرة ، فتقام حفلة الزفاف للسيدات في ذلك البيت ، ولهذا نظراً لمركز الزاوية ، فقد كانت تنزل فيها الكثيرات من اولئك العرائس حيث كنا نقيم لهن

حفلات ذات صبغة دينية تنشُد فيها الاناشيد الصوفية ، ويجتمع فيها جمع غفير من السيدات من اهل المدينة والزائرات ، وفي مساء اليوم الاخير في ليلة القران تذهب العروس صحبة اهل زوجها الى داره محفوفة بالبركة والاكرام .

* * *

وقد رأيت ان اسرد اسماء بعض السيدات العارفات بالله ورسوله ممن تلقين الطريقة الشريفة عن والدي رضي الله عنه ، وكان لمن شأن في الطريق وهن :

الشيخة مريم ، حرم العلامة الشيخ مصطفى أبي ريشه ، وقد مرت عليها (أحوال طريق) بعد انتسابها اليها ، وجذبتها العناية الالهية لحضرة القرب ، وخُرق لها العادات . وقد اشتهرت بصلاحها وتقواها ، وكانت من أكبر العارفات من اهل الله .

السيدة ام اسماعيل الخالدي الدمشقية ، شقيقة الشيخ سعيد الخالدي الذي أبعد الى رودس ، صحبة والدي رضي الله عنه ، كانت عالمة فقيهة ، وقد أجازها سيدي الوالد باعطاء الطريقة للسيدات بعد ان تلقتها عنه ، وكانت تقرأ لمن درساً دينياً . تجردت في الزاوية

السيدة ام يحيى ، شقيقة الشيخ سعيد الخالدي تجردت في الزاوية
السيدة فاطمة الشهابية ، كريمة الامير حسين والدة الامير

نعمان ، المعروفة باسم (فطومة) الكبيرة تجردت في الزاوية راشيتا

السيدة سلمى الشهابية ، كريمة الامير حسين الشهابي وابنتها ليلي راشيتا

السيدة فاطمة اليوسف ، كريمة احمد باشا اليوسف وشقيقة محمد باشا دمشق

السيدة حفيظة اليوسف ، كريمة احمد باشا اليوسف وشقيقة محمد باشا

السيدة عائشة شاهين ، والدة احمد بك وصالح بك دمشق

السيدة وسيلة ابو الشامات ، كريمة الشيخ محمود ابي الشامات دمشق

السيدة مروّة البيش ، حرم العارف الكبير السيد عارف ملص دمشق

(١) من اكبر اخواننا السابقين المنتسبين لسيدي الوالد .

- السيدة عائشة ام ابراهيم ايش ، شقيقة دياب آغا
دمشق
- السيدة سارة ايش ، شقيقة دياب آغا
دمشق
- السيدة عائشة مدور ، شقيقة السيد عبد الكريم مدور
دمشق
- السيدة زينب مدور ، شقيقة السيد عبدالكريم مدور التاجر الكبير
دمشق
- السيدة ليلى لطفي ، كريمة الشيخ محمد صالح لطفي مقدم (صيدا)
صيدا
- السيدة ام خليل قدح ، حرم السيد سليم الحفار
دمشق
- السيدة الحاجة نفسه كتّوعه ، كانت فقيهة اديبة شاعرة
بيروت
- السيدة خديجة ، حرم السيد عثمان بليق
بيروت
- السيدة وسيلة توسيز ، حرم الوجيه السيد عبد الرحمن العاقل
شقيقة والدني .
- السيدة نبيهة توسيز ، حرم الوجيه السيد شحاده العيفي ، شقيقة والدني
عكا
- السيدة هند توسيز ، حرم الوجيه السيد حسن السعدي ، شقيقة والدني
عكا
- السيدة خديجة السعدي ، كريمة السيد مصطفى السعدي والدة
توفيق باشا ابو الهدى
عكا

* * *

واول من ذهب الى زيارة سيدي الوالد رضي الله عنه من دمشق وغيرها ،
السيدات من آل شهاب ، سلمى ، وفاطمة ، وقوت القلوب ، وبديعة ،
وسعاد ، ثم السيدات فاطمة اليوسف ، وشقيقتها حفيظة ، وكريمتها فتنه
ومن بيروت خديجة حرم السيد عثمان بليق .
ومن الثابت المحقق ان العارفات بالله ورسوله من اخواتنا اللاتي فتح
الله عليهن وامدهن بمدد رسول الله ﷺ من انشاء طريقتنا كثيرات ،
لا يتسع المجال لسرد اسمائهن جميعاً ويكفي ان نعلم ان سيدي الوالد شهد
ان في مدينة صفد اربعين عارفة .

* * *

بالمشهد العالي السني دارت كؤوس الاصطفاء
والشمس لاحت تنثني في الكون من بعد الحفاء

* * *

شمس التّداني والوصول^١ ردت فروعها للأصول^٢
سأل عنها اصحاب الرسول من آمنوا بالمصطفى
لمّا تجلت في الوجود فكّنت عن العبد القيود
واستخلصت اهل الشهود والمبتلي نال الشفا
يا صاحب الجاه العظيم قد جاءك العبد السقيم
انت الرؤوف انت الرحيم انت المذكّي بالوفى
انت الامام المنتخب^٣ من عجبها ثم العرب
هب انني اذنت هب حسبي اعترافي وكفى
يا ايها الهادي الأمين يا رحمة للعالمين
من لي على عجزى معين سواك يا مجلى الصفا
يا ربنا صلّ دوام فضلاً وانعم بالسلام
على الذي جاء ختام الأنبياء الشرفا
والآل والصحب الغرّ مناهم ابو بكر القمر
عثمانهم بعد عمر عليّ شمس الخلفا

* * *

مُشاهد من مراتب الكمال

وكان رضي الله عنه رقيق الحاشية متواضعاً لطيفاً يجبر الحاطر ،
ويعامل الجميع بلطفه المعهود .
كانت والدته رضي الله عنه تسمى مريم ، وقد انتقلت الى رحمة الله
تعالى قبل مغادرته بلاد المغرب ، وكان يحمل لها اخلص الذكريات ، وأسمى
آيات الاحترام والتقدير والاعزاز ، فلما ولدت له شقيقتي السيدة مريم
حفظها الله ، أراد ان يطلق عليها اسم والدته ، لكنه فكر بزواج ولده
السيد ابراهيم ، فقد توفيت لها طفلة صغيرة (ابنة اشهر) تدعى مريم ،
لذلك رأى ان يسمي شقيقتي خديجة ، وبعد ايام حملها على يديه ودخل بها

(١) من اناشيد مجالس القوم للشيخ عبده الحمصي الدمشقي

(٢) بالوراثة المحمدية

على زوجة ابنه ووضع الطفلة في حجرها وأستأذنها في ان تسمح له بأن
يسمها باسم امه العزيزة عليه . فلم تتألك المرأة ان تدعو له بطول العمر
وحفظ ذاته الكريمة . ثم قالت : لقد جبرت خاطري ، فعملك هذا من
أسمى صور الرحمة والانسانية في معاني المواساة وجبر الخاطر .

* * *

وعلى أثر وفاة اخي السيد محي الدين ، ولدت له بعد موته طفلة دُعيت
أنيسة (هي سيدتي العارفة بالله ورسوله أنيسة البشروطية) ولم يتوك اخي
عقباً غيرها ، فكان سيدي الوالد رضي الله عنه يحوطها بصنوف العطف
والرعاية ، ولما كان مريدوا والدي رضي الله عنه يقدسون ذكرى الراحل
الكريم ، الشاب المحبوب من الجميع ، كانوا يقدمون لابنته أنيسة الملابس
الحريرية الموشاة بالفضة ، والثياب الثمينة التي تأتيها من وزراء الآستانة ،
وغيرهم من الاخوان . وكان في بيتنا فتيات فقيرات ويتيمات في مثل سنها
من أترابها ، فكان رضي الله عنه يسمح لها ان تلبس الثوب المهدي اليها
ثلاثة ايام فقط ، وبعد ذلك تلبسه كل من الفتيات الصغيرات ثلاثة ايام ،
ثم يعطى لامرأة فقيرة محتاجة تبعة وتنتفع بثمنه . وهكذا كانت معاملته
لي فيما يختص بما يأتيني من الهدايا ، فهي 'ملك' للجميع لا لابنة الشيخ
ولا لحفيدته ، أما الهدايا التي كانت تصل الى الزاوية فتوزع على الجميع
على قدم المساواة .

* * *

وكان رضي الله عنه يحضر دروس تعليمي القرآن الكريم ، ليفسر لي
الآيات بالطريقة التي يسهل علي فهمها ، فيحدثني عن سبب نزولها وما لها
من أثر في التشريع والتاريخ ، وما هو حكمها في المعاملات والعبادات
والتصوف ، يشرحها بطريقة مختصرة مفيدة ، تصلح لان يبني عليها اساس
مستقبلي العلمي والفكري ، في الثقافة الاسلامية والتصوف ، وسألوكي في
طريق الله جلّ وعلا . ولكثرة رحمته وعدله ومواساته للجميع ، أمر ان

تجلس الفتيات الصغيرات اللائي يعشن في الزاوية في درس تعليمي القرآن الكريم ، ليفدن منه كما أفيد رغم كونهن يذهبن الى المدرسة ، وانا لا أذهب اليها ؛ فكن يجلسن معي جنباً الى جنب ليسمعن حديثه ، وكانت المعاملة لنا سواء .

وعندما كنت ألب مع أترابي من الفتيات الصغيرات وهو جالس لا يمنعني من ذلك ، ويأمرني ان اعامل الفقيرات منهن معاملة الند للند ، وان اصطحبن معي في العربية في نزهتي اليومية ، ثم هو يلاطفهن ويقدم لهن صنوف الحلوى وبعض النقود .

وكان رضي الله معنيًا بي أي اعتناء ، كان يدرك انه شيخ كبير ، وائني طفلة صغيرة وقد ينتقل الى جوار ربه قبل ان اصل الى مراحل التعليم والشباب ، لهذا كان يريد ان يوجهني لناحية العلم والتصوف والعبادة ، ويعمل على ان تنتقش تلك الصور الصوفية الرائعة في ذهني الى الابد ، فكنت اقضي اوقاتي بصحبة اهل العلم والفكر والرأي والادب .

وقد عهد برعايتي وتربيتي الى شيخ تقي ورع ، من المتجردين يدعى «الحاج سليم بليق» من اهل بيروت ، ولهذا الرجل قصة طريفة اذكرها هنا : فقد كان رحمه الله من طلبة العلم الشريف في بيروت ، وكان شديد الانكار على اهل التصوف ، فلما تشدّل والده وأخواه ، تألم كثيراً وفاتح والده بالأمر ، ثم رحل الى الحجاز لتأدية فريضة الحج ، ويعيش بعيداً عن أبيه وأخويه ، وظل مجاوراً في المدينة المنورة عند قبر النبي ﷺ سنتين ، وأدى فريضة الحج مرتين ، وفي أواخر السنة رأى النبي ﷺ في منامه ، فقال له : يا سليم إن كنت تريد رضي فاذهب الى عكا لعند الشيخ علي نور الدين البشريطي الحسني . وسرعان ما رجع اليه وأخذ الطريقة الشاذلية ، وتجرّد في الزاوية وتزوج ورزق أولاداً وهو متجرد ، وعاش حياته كلها هناك . وقد أحبّه سيدي الوالد رضي الله عنه وشهد له بالصلاح والفلاح والامانة ، فعاش خادماً أميناً لشيخه ، متفانياً في حبه ، وكان

يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، ويتقن علوم التجويد ، وهو من العارفين الواصلين لحضرة القرب ، وبعد انتقال سيدي الوالد رضي الله عنه الى دار البقاء ، عاش في بيتنا الى ان توفاه الله .

و كنت يوم عهد اليه برعايتي وتربيتي في الربيع الثاني من عمري ، فكان يحملني على يديه او في عربة الاطفال الصغيرة ، فيطوف بي في البرية او يذهب بي الى شاطئ البحر ، ثم هو يأخذني معه الى مجالس العلم والمذاكرة ، وحلقات الدرس كيلا يفوته شيء منها . وهكذا نشأت بين العلماء الأفاضل ، فلما بدأ ذهني يتفتح الى نور العلم ، و كنت في السنة الخامسة ، اصبحت بجلسة العلماء محببة إليّ ، بل كنت أفضلها على اللعب مع أترابي الاطفال ، إذ كانوا يقصون عليّ قصصاً ممتعة لذيدة . هنالك أمر سيدي الوالد رضي الله عنه ان اجلس في حلقات الدروس الدينية الخاصة والعامة مستمعة لافيد منها ، ف كنت اجلس (متربعة) على الارض بجانب والدي رضي الله عنه فرحة مبهجة بقربه ، وكان يصعب علي فهم تلك الدروس العالية ، على ان والدي رضي الله عنه كان يشرح لي الشيء الكثير السهل البسيط منها في البيت ، على انني اطول المدة بدأت أفهم المعاني ، والاصطلاحات والاشارات شيئاً فشيئاً ، ونشأت بيبي وبين بعض اولئك العلماء الفضلاء مودة وصحبة ، دامت الى ما بعد انتقال والدي رضي الله عنه الى دار البقاء طوال ايام حياتهم .

وكان رضي الله عنه يُنشئني نشأة صوفية ويربيني تربية طريفة ، ف منذ ان بلغت الربيع الخامس من العمر ، وأنا أصلي الاوقات الخمس ، وأقرأ الوظيفة معه وأتلو الاوراد ، وكذلك كان يوقظني لأصلي معه قيام الليل في السحر . وعندما سألته جدتي والدة أُمي ، ماذا تفهم هذه الطقعة من قيامها في الليالي الباردة أجابها : أريد ان تنطبع هذه الصورة في ذهنها الى الأبد .

وعندما كان رضي الله عنه يذهب وبصحبته الحاج سليم الموكل بتربيتي

الى صلاة الجمعة والعيدين في المسجد ، كنت أرافقهما الى هناك إذ لم أكن
أنحلي عن صحبة سيدي الوالد رضي الله عنه ، فكنا نصلي وراء الامام ،
وكان يحلو لي ويسرني كثيراً ان أصدق الى السدة وأصلي مع المؤذنين .
فقد كان كبير المؤذنين الشيخ عبد المنعم المشلاوي من إخواننا ، ثم هو
رئيس فرقة المنشدين في زاويتنا ، وكان صاحب صوت جميل ساحر ،
فكنت أفق للصلاة بينه وبين الحاج سليم ، وبعد الانتهاء كنا نعود معاً
الى الزاوية فينشد لي بعض الأناشيد .

وكان والدي رضي الله عنه يفضب كثيراً إذا اخطأت بعمل له مساس
بالدين او بعاطفة إنسانية ، وبعد التوبة والانابة أحصل على رضاه ذلك لأنني
كنت رغم طفولتي أحس وأشعر وأعتقد ان والدي ليس كغيره من
الآباء ، وانه من اولياء الله الصالحين ، وكنت جد فخوراً بذلك ، فاذا
تحدثت عنه فبالتهنيس والاحترام .

حدث ان ذهبت يوماً مع الحاج سليم الى شاطيء البحر وكان صائماً
لله تعالى ، فلما مالت الشمس الى الغروب ، قال هلمي بنا لنعود ، فابيت
عليه ذلك وبكيت ، فخضع مرغماً وبقينا الى ما بعد صلاة العشاء الأخيرة ،
وعندما رجعنا الى البيت وجدنا الباب مقفلاً من الداخل على غير العادة ،
فنادينا الشيخ محمد الرودسلي الموكل بفتح الباب فأجاب : لقد أمرني
شيخنا بان لا أفتح لك .

وكنت صغيرة فجزعت اشد الجزع وقلت للحاج سليم : الى ابن
اذهب ؟ فجاءت أختي الكبيرة السيدة عائشة فأدخلتني ، فلما قبلت يدي
والدي رضي الله عنه وأعلنت توبتي ، قال : ألا تعلمين ان الحاج سليم
صائم لله ، ولا يجوز ان يبقى الى الآن بلا طعام ، إذ هذا مخالف
لأوامر الشرع الشريف . وقد يكون جائعاً ، فإذا لم تكوئي انت تشعرين
بآلام غيرك وبمن يصحبك كشعورك بنفسك وبآلام نفسك ، فلا أريدك
ان تكوئي ابنتي .

وكانت لوالدي قريبة وهي طفلة يتيمة من عمري فأرادت والدي ان تكون الطفلة تربيتي ، فأبيت وقلت لها : هذه الطفلة سريعة الغضب ولن أحتمل مداراتها ، ففضبت والدي وإذ بسيدي الوالد يدخل علينا ويسألني ، ما الخير ؟ فقصصت عليه الأمر فقال : ما كنت أظنك ترفضين عملاً إنسانياً كهذا وأنت ابنتي ، أريد منك ان لا تدعيها تشعر بأثر الحرمان في الحياة بسبب فقدها لوالدها ، فرضيت وعشنا معاً الى ان تزوجت . وكان رضي الله عنه يعوّدني على فعل الخير وتوجيهي للعمل الصالح منذ الطفولة ، فحدث ان كانت أسرة فقيرة تسكن امام الزاوية في عكا ، تتألف من أب مقامر وزوجة وأطفاله ، وكان الرجل سكيراً عريياً متلافاً ، وكانت ابنته خديجة تأتي فتلعب معي ، ورأيتها يوماً تبكي وتقول : إن أسرتها لم تذوق الطعام منذ يومين ، وان والدها لا يعني بأمرهم فطلبت منها ان تتبعني الى البيت وان تحضر وعاء ، فجاءت وأخاها الأكبر وتبعاني فملأناها الوعاء بالطعام وحملتها خبزاً يكفي الأسرة كلها ، ورآني والدي رضي الله عنه فناداني وسألني عما أفعل ؟ فأخبرته فدعا لي بالخير والبركة وشجعني ، ثم قال : هذا لا يكفي ، يجب ان تتكفلي انت بالانفاق على هذه الأسرة ، فتقدمي لها ما تحتاجه من مأكّل وملبس طوال أشهر السنة ، فكنت آخذ النقود وأقدمها لهم بنفسي ، وبقيت على تلك الحالة الى ان انتقل والدي رضي الله عنه الى جوار ربه .

لقد كان بإمكانه ان ينفق على الاسرة كما يفعل رضي الله عنه مع غيرها من الاسر المحتاجة وان يرسل اليهم ما يحتاجون اليه ، لكنه وكل إليّ أمر ذلك العمل ليغرس في قلبي حب الخير ومساعدة المحتاج . وكذلك كان ينشئني على العزة والكرامة واحترام النفس ، فاذا طلبت منه أمراً ما على ان لا يتعدى ذلك الطلب حدود الآداب الاسلامية ، والشرع الشريف كان الايجاب ، وإذا رجوته او سعبت لديه لاحد إخواننا كان رجائي عنده مقبولاً ووساطتي نافذة .

وكان رضي الله عنه يغضب أشد الغضب إذا نادى المریدون أحد اولاده أو احفاده بيا سيدي . ويقول لا يضر أبناء الشيخ إلا المریدون ، نادوهم باسمائهم فقط ، لكنه كان يعلم علم اليقين أنه سيتركني وشقيقي طفلتين صغيرتين لا حول لنا ولا قوة ، فكان يقدمني لا كإخواننا ، العلماء والفقهاء ، وإخواننا العارفين ليجعل بيني وبينهم مودة ورحمة وأخوة بالله ، ثم هو ليغرس في نفوسهم الحب والاحترام لنا ، فینبت ويزدهر على مرور الأيام . وليشد عضدنا بالعطف الأخوي الروحي الذي لا ينفصل أبداً ، فالمودة ليست بحاجة إلى القربى ، أما القربى فهي دائماً أبداً بأشد الحاجة إلى الود الصحيح ، ولذلك لم يكن يغضب إذا ناداني أحد المریدين بيا سيدي ، بل كان يكتفي بالابتسام ، وقد تعطف رضي الله عنه علي بقوله لآخينا الشيخ عبد الرزق القاضي وأخيه أبي سعيد أمام جماعة من إخواننا « أنا ملء قلب فاطمة » أي أن حبه يملأ قلبي ، وهذا فخار لا يعدله فخار أن يشهد لي بصدق حي الذي هو رأس مالي في الطريق .

أما هؤلاء الكبراء بالله من رجال الطريق ، الذين قرّب والدي رضي الله عنه بيني وبينهم بالأخوة الروحية منذ طفولتي ، فكانوا لي أهلاً وعشيرة بعد انتقاله إلى جوار ربه ، وكان وجودهم أنساً لي في جميع مراحل حياتي وهذا كنز من العواطف الفياضة باسمي المعاني الإنسانية ، خصنا الله بها رحمة منه كما قال تعالى في كتابه الكريم في سورة الكهف في قصة موسى والحضر عليهما السلام : « بحق اليتيمتين : » وكان تحتها كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ، وكان رضي الله عنه يعطف على من يلوذ بي ، أو يختص بخدمتي ، ويعاملهم بالعطف والعناية والرعاية ، فإذا حضر أخوة الحاج سليم بليق^١ إلى الزيارة ، كان يرسلني معه لاستقبالهم عند نزولهم من الباخرة في ميناء عكا ، أو نذهب إلى حيفا ، أما إذا كان سفرهم بطريق البر فكنا نخرج

(١) الرجل الذي يقوم على تربيتي .

الى البرية لاستقبالهم ، وكثيراً ما كان يوصيني بالحاج سليم خيراً فيقول :
(هذا ابوك وله عليك حقوق التربية) وكان هذا الرجل الصالح الورع
موضع ثقته في كل شيء ، وقد زوجه ابنة خالة سيدي الوالدة ، وكان
يكسوه من ثيابه الخاصة .

حدثني اخونا بالله السيد ابو سعيد القاضي ، فقال : كنت ايام طفولتك
مغرماً بك شديد التعلق ، وكان شيخنا رضي الله عنه لا يسمح لاحد غير
الحاج سليم بليق ان يحملك او ان يتولى رعايتك ، فكان الرجل الوحيد
الذي يشرف على تربيتك ، في كل شيء ، وكان بيني وبينه أخوة بالله
فكان يثق بي ويسمح لي بأن أحملك ، ولم يعترض حضرة والدك على
ذلك ، وذات يوم قال لي شيخنا رضي الله عنه (إياك ان تخالف فاطمة)
قلت سمعاً وطاعة ، وبعد ايام بينما كنت أسير في الزاوية وانت فوق
ذراعي إذا به رضي الله عنه يناديني ، وحين هممت ان ألي النداء ، قلت
لي (قف مكانك لا تذهب) فبقيت واقفاً في مكاني لا أنحول عنه ،
فنظر إلي واقرب مني قائلاً (لقد ناديتك ألم تسمع ؟) قلت بلى ، لكنني
أطعت امر سيدي فاطمة ، ألم توصني بذلك ؟ فسر من قولي ودعا لي
بالخير والبركة .

* * *

وكان في زاويتنا متجرد ، خفيف الظل يدعى سعيد من آل الحنبلي
في دمشق ، كثيراً ما اضحكني بنكاته ، وكان يرافقتي في زهني اليومية
وانا صحبة الحاج سليم ، عدا الأيام التي كنت أرافق فيها سيدي الوالد ،
فقد كنت شديدة التعلق به لا أنفصل عنه إلا بحكم الاضطرار ، وفضل
صحبه اعني صحبة والدي رضي الله عنه على زهاتي جميعاً ، وحدث ان
رافقته يوماً الى قرية الكابري ، فركبنا العربية وبصحبتنا الحاج سليم ،
وإذا بأخينا الحنبلي يرانا فيهرع راكضاً ، وراء العربية ، ويتعلق بها وهي
تسير بنا ويقف وراء النافذة ، وكان بين حين وآخر يطل علينا من

النافذة ويشير إليّ ، وبعد ان خرجنا الى البرية التفت والدي فرآه يتحدث إليّ ، فقال له : « ماذا تفعل هنا ؟ » قال : انني أتحدث الى سيدتي ، واضحكها فقال والدي : « وقوفك على هذه الحالة ، خطر عليك ، تعال وادخل العربة ، ثم اضحكها » فدخل الرجل وقضى معنا ذلك اليوم ، وكان سيدي الوالد حقيماً به إكراماً لي .

* * *

وكان رضي الله عنه عطوفاً رحيماً بي وبشقيقي ، ورغم الفرق الكبير في السن بيني وبين اخي السيد إبراهيم ، كان والدنا يؤلف بين قلوبنا بحكمته الرشيدة ، وكنت إذا طلبت شيئاً وبكيت جريماً على عادة الأطفال كان يطلب اخي ويقول له : فاطمة تريد كذا ، فخذها اليك عليها ترضى ، وكان اخي بدوره يخف لتلبية رغباتي إكراماً لأبيه ، فهو لم يكن يخالفه أبداً ، فكان يعاملني بمنتهى العطف والاحترام . وفي بعض الأحيان كان يأخذني معه الى حيفا ليلتاع لي الدمى التي كنت ألهو بها . وكنا إذا سعدنا الى قرية ترشيحا للاضطياف ، حملني اخي على ذراعه وهو يمتطي فرسه الكريم ، إذ كان ماهراً في ركوب الجياد معدوداً في الفرسان ، هذا رغم كثرة المتجردين والاخوان الذين كان بإمكانهم ان يفعلوا ذلك وينوبوا عنه به إكراماً لأبي . وإذ لم يكن ليوضى ان يركبني امامه ، بل كان يرفعني على ذراعه اليسرى مدة ثلاث ساعات ، وهو على تلك الحالة ، الأمر الذي كان يضطره الى طلب الماء الساخن ليضع به ذراعه ، كي تلين شرايينها حال وصولنا ، فكان حبي له وتعلقني به يزداد على مر الأيام .

ازواجه

واولاده رضي الله عنه

ازواجه رضي الله عنه واولاده

كان سيدي الوالد رضي الله عنه عطوفاً رحيماً بأهله ، وقد تزوج بأربع نساء : زوجتين في بلاد المغرب وزوجتين في فلسطين . وكانت اولى زوجاته السيدة راضية الباجي من أشرف بنزرت ، وقد ولدت له ابنته البكر السيدة عائشة ، ثم توفيت تاركة ابنتها في حضانة جدي رحماً لله ، وكان قد تم طلاقها قبل وفاتها ، ثم بنى بعدها بالسيدة « فافا » وهو اسم تصغير (لفاطمة) ، (وعلى هذا درج اهل المغرب) .. وهي من آل « الكهنية » العائلة المثربة جداً في بلاد تونس ، ومنها جاءه اخي إبراهيم وأختي « خوجية » .

وكنت ذكرت في احد فصول الكتاب ان سيدي الوالد يوم ان اعترم القيام بسياحته المعروفة قبل انتقاله الى المشرق ، خير زوجته بين انتظار عودته او ذهابها اليه إذا ما استقر في مكان ما في المستقبل ، او طلاقها ، (لأنه يشفق على شبابها وحالها) فاختارت الطلاق ، وكان ان تركت ولديها في حضانة شقيقتهما الكبرى بعد رحيل والدنا الى الشرق ، وتزوجت رجلاً من اهل تونس .

وبعد ان حضر رضي الله عنه الى بلاد الشام وأقام في ترشيبعا ، اقتون بالعارفة بالله ورسوله العابدة السيدة خديجة توسيز ، كريمة احمد بك توسيز وهو من بماليك مصر الفارين من - محمد علي باشا الكبير - . وكانت السيدة المذكورة ارملة ليعقوب بك المصري ، المعروف آنذاك بسعة ثرائه

ومكانته في الهيئة الاجتماعية .

والسيدة - خديجة - قصة تنصل بالتاريخ ، إذ كان والدها احد اعوان « عبد الله باشا » والي (عكا) ومن ذوي النفوذ الكبير في فلسطين ، وكانت لها والدة وثلاثة إخوة ذكور ، فلما فتح « إبراهيم باشا » مدينة (عكا) بعد حصارها ، كان ان قتل والدها ونفى بقية الأسرة الى بلاد (الأناضول) . ومن هناك بدأوا يكتبون الى صديق والدهم الحميم « يعقوب بك » ليسعى لهم عند ذوي الأمر كي يلجئوا اليه في مصر . وبعد ثلاث سنوات تكلمت مساعيه بالنجاح ، فجاءوا اليه وحلت الأسرة في داره ، ثم بنى بالسيدة « خديجة » ، وعلى اثر هذا الزواج انتقل بأهله الى (عكا) واستوطن فيها ، وأخذ يتعهد لإخوة زوجته ويقوم على تربيتهم حتى تخرجوا من معاهد (الآستانة) وشغلوا وظائف رفيعة في فلسطين .

وتوفي « يعقوب بك » في (عكا) ، دون ان يترك ذرية ، فورثت عنه زوجته ثروة كبيرة ، هذه الثروة التي بذلتها في سبيل الله وخدمة الطريق وأبنائه على عهد سيدي الوالد رضي الله عنه ، ذلك لأنها بعد زواجها من سيدي الوالد ، تلقت الطريقة الشاذلية عنه وقامت في الخدمة على الوجه الأكمل . وكان لها أثر بئين في تلك النهضة الروحية المباركة ، وقد رزقها الله من ابي بولدين هما اخوأي السيدان : « محيي الدين » و « جمال الدين » وقد توفي الثاني وله من العمر سنتان ، وعاش السيد « محيي الدين » الى ان بلغ الخامسة والعشرين من عمره ، وتوفي بعد ان ترك بنتاً واحدة هي سيدي « انيسة » البشرطية . وبعد ثلاث عشرة سنة من وفاة ولدها توفيت ، وكان ان تضاعف جهادها في سبيل خدمة الطريقة بعد وفاة وحيدها اعتقاداً منها ان خدمتها زمن ولدها كانت لنفسها وأما خدمتها بعد وفاته فهي خالصة لوجه الله تعالى .

* * *

والدي

بعد وفاة السيدة « خديجة توسيز » أفترن رضي الله عنه بالدي ، وهي العارفة الكبيرة المحققة الواصلة الى الله ، والدالة عليه ، السيدة « رتيبة توسيز » كريمة السيد احمد بن السيد مصطفى توسيز ، شقيق السيدة خديجة زوجة ابي المتوفاة .

وقد نشأت والدي في الزاوية في رعاية عمته على التقى والصلاح والتصوف ، وفي جو يفيض بالأسرار الالهية والأنوار الذاتية ، والسمو الروحي ، فكانت صوامة قوامة ، عابدة زاهدة ، تمتاز بشخصية صوفية وشعور ديني عميق اكتسبتها من طول صحبتها لوالدي رضي الله عنه ، فقد اخذت عنه الشيء الكثير ، وتخلقت باخلاقه الحميدة ، وتحققت بمعارفه وأنواره الذاتية فجمعت بين جمال الخلق والخلق ، والصفات الانسانية الرفيعة ، وكان تعلقها وحبا واحترامها لسيدي الوالد من قبل العقائد الدينية المستقرة في القلوب ، لذلك رأيناها مثلاً أعلى للتضحية ، والنبل ، وإنكار الذات ، في خدمة الطريق وأهله ، حيث كان وما يزال لها الأثر الفعال في قلوب أبناء طريقنا الذين خصهم الله بالتلقي عنها ، او الاقتداء بها ونيل شرف صحبتها .

وقد عاشت طوال ايام حياتها قائمة بالواجب المقدس في خدمة والدي والزوايا والفقراء بهمة عالية بالله ، على أكمل وجه بما يرضي الله ورسوله ، فعازت كالات الطريق ، ونالت رضا سيدي الوالد وبركته الدائمة .

وكان حبها للأسرة البشرية ، ولأهلها واخواننا وكافة مخلوقات الله تعالى حباً إنسانياً مجرداً عن الحروف والحظوظ الدنيوية مقروناً بذلك التسامح والتسامي ، ولم يسبق ان عاش اخوتي واولادهم واحفادهم مع والدنا في بيت واحد إلا على عهدنا ، وكانت معاملتها لهم ورعايتها ايام منقطعة النظير .

ويوم ان جاء اخي الشيخ ابراهيم وأسرته من بلاد تونس الغرب ،
حضنت ابنتيه السيدتين ناجية وخيرة الله لأن والدتها مغربية لا تستطيع
تنشئتها على تقاليد اهل هذه البلاد ، وحتى بعد ان جئت وشقيقتي الى
عالم الوجود لم تكن تميزنا عنها بشيء ، ولم يكن بيننا ثمة فرق ابدأ ،
وكذلك كانت معاملتها لأولاد اختي الكبيرة واحفادها .

واني لاذكر هذه الحادثة على سبيل المثال ، سبق ان قلت ان كل
ما كان يقدم إليّ من الهدايا كان ملكاً لجميع الفتيات الصغيرات اللاتي
يعشن في الزاوية ، وذات يوم جاء رجل من اخواننا (من بلاد اليمن)
واحضر لي عقداً جميلاً اهداه اليّ بمناسبة العيد السعيد ، ورجاني ان
احتفظ به لنفسي اكراماً له ، فسررت جداً وقررت ان احتفظ بالعقد
لنفسي مهما كلفني الامر ، وجعلت اردد قوله ، وعلمت بالامر حفيذة اختي
فبكت وطلبت عقداً مثله ، وكان من المتعذر ذلك ، وبكيت لأنني
اريد العقد لنفسي لا يشاركني فيه احد ، فنادتني سيدي الوالدة ، وقالت
لي : يا فاطمة الا تريدان ان تعمي برضا والدك ورضا اختك الكبيرة
ورضاي ؟ قلت بلى ، قالت ان اخذت العقد لنفسك ستألم صديقتك
وحفيذة اختك فيجب ان تنازلي عنه : وبعملك هذا اكون سعيدة بك ،
وهكذا كان ولم اتحل بالعقد قط .

على هذا النسق المثالي الرفيع ، سارت بمعاملتها افراد الاسرة البشروطية
إذ لا يوجد واحد منهم من ذكر او انثى إلا ولها عليه فضل يذكر
ظاهراً باطناً ، وحتى بعد انتقال سيدي الوالد الى الرفيق الاعلى ، كانت
الام الرزوم لهم جميعاً ، وكان بيتها مفتوحاً لكل من احتاج اليه منهم ،
كما كان على عهد سيدي الوالد ، وكذلك كان بيتها مفتوحاً لاهلها
ولاخواننا جميعاً .

وكان اخي الشيخ ابراهيم قد تزوج مرة ثانية بعد انتقال والدنا الى
الى جوار ربه ، فعظفت على ازواجه واولاده واحفاده وغرمتهم بحبها

وحنانها ، وخاصة ولده السيد محمد الهادي الذي احبته وحبته خالص الود
بالرعاية والعناية والحنان ، منذ كان طفلاً صغيراً الى الان ، وهو وجميع
افراد الاسرة البشراطية يحمدون لها تلك العناية الفريدة بهم بالتقدير والتعظيم
والاحترام .

وقد ولدت لسيدي الوالد غلاماً ذكراً سمّاه (محمد جلول) وهو
اسم الولي الصالح الذي سبق ان بشر جدتي بوالدي قبل حملها به في
تونس الغرب ، ولكن الولد توفي وعمره سنة واحدة .

وولدت بعده ، وكان في بيتنا يومئذ سيدة صالحة مسنة حملت بشري
ولادتي اليه ، فسألها رضي الله عنه عن رآها بتسميتي فقالت سمّتها (فاطمة
الزهراء) تيمناً باسم سيدتنا الزهراء بضعة المختار رضي الله
عنها وهكذا سمّاني .

ثم ولدت شقيقتي مريم ادامها الله وحفظها من كل سوء ، فدعاها
والدها باسم والدته الصالحة ، ذلك الاسم الحبيب والمحبب اليه .

ومناقب سيدتي الوالدة ادام الله حياتها معروفة معلومة لدى الجميع
لا يختلف فيها اثنان ، فكل من رآها احبها وكل من صحبها افاد من
علومها اللدنية ومواهبها الروحية ، ومن دواعي فخري انما ملهمني في
وضع هذا الكتاب ، ويعود لها الفضل الاكبر بتصوّفي وتصوّف شقيقتي
وتوجيهنا لناحية العلم والسلوك في الطريق ، فقد ادت رسالتها الاموية
على الوجه الذي يرضاه سيدي الوالد قدس الله سره .

اختي البيرة عائشة

كانت أختي السيدة عائشة هي الابنة البكر لوالدنا ، وقد وُلدت في مدينة
- بنزرت - في بلاد المغرب ، فلما اعتزم سيدي الوالد ، القيام بتلك
السياحة في سبيل الله تعالى ، كانت يومذاك في الربيع السابع من عمرها
وقد توفيت والدتها ، ولم يكن لها جدّة او عمّة او خالة تكفلها ، فأسفق

والدها عليها ولم يتركها في بيت احد ابناء أعمامه أو عمومته ، فحملها الى - مصراطة - دون ان يخبر احدآ من اهله وذويه ، لقد ذهب بها الى زاوية شيخه وعهد بها الى سيدي الشيخ - احمد عبد الوارث الحسني - الذي كان واسطة اخذه الطريق ، وزوجة هذا الشيخ الجليل ، هي كريمة شيخ والدي قدس الله سره ، وقد كانت هي تقدر سيدي الوالد حق قدره وتحترم تقانيه في حب شيخه وأولاد شيخه ، فسلمتها الطفلة المسماة باسمها ، وأوصاها بها خيراً ، وبعد رحيل والدنا كان الشيخان لها امماً وأباً ، حيث اهتما بتنشئتها نشأة دينية صوفية ، وكان الشيخ يلقي عليها دروساً في الفقه والحديث والتصوف ، ثم اعطاها الطريق ، ولقبتها الاسم الأعظم ، وهكذا تجردت اختي في زاوية شيخ والدها ، كما تجرد والدها من قبل ، فلما بلغت مبلغ الشباب زوجها الشيخان من الشيخ - محمد التاج الحسني - ويوم ان ارسل اليها والدها يستدعيها اليه ، كانت قد وضعت طفلاً دعته كريمة سيدي الشيخ المدني قدس الله سره - محمداً البشير - ، وهو اسم احد اخوتها الذكور .

وهكذا رحلت اختي وزوجها ومعها طفلها الرضيع السيد محمد البشير الى الشرق ، وبعد سنة كاملة من اقامتهم في الشرق توفي زوجها ، وكانت ما تزال في ريعان الشباب ، فتقدم لطلب يدها الامير مصطفى الجزائري الحسني ، شقيق الامير عبد القادر الجزائري المعروف . وقد اولدها غلاماً (دعاه باسم اخيه تيمناً به) وعاش الغلام حتى ادرك الشباب ، ثم توفي وهو في حلقة الذكر ودفن في - عكا - . وعاشت اختي خمسة وتسعين عاماً ، قضتها في طاعة الله تعالى . وقد مرت عليها احوال وجد وهيام بالله ، اثناء سيرها في الطريق ، وتكلمت بالحقائق ، ونظمت الشعر الصوفي ، وكانت من اكبر العارفين بالله ورسوله . فلما حضرتها الوفاة نظمت هذين البيتين :

يا أهيل الحمى لقد طال شوقي اليكم

فأرقت روحي الجسد حين شامت سنائم
وبعد ذلك بدأت تذكر الله باسم المد ، ثم تشهدت واسلمت الروح
وهي في حالة استغراق كلي بالله .

أخي السيد إبراهيم

كان أخي السيد « إبراهيم » ، قويّ البنية ، ربيع القامة ، عريض
المنكبين ، أبيض اللون ، جميل الوجه ، دمث الاخلاق ، متسامحاً كريماً ،
رضي النفس ، مطمئن القلب ، عطوفاً شفوفاً ، تقياً ورعاً ، صواماً
قواماً ، عارفاً محققاً ، وعلى جانب عظيم من اللطف والايناس
والتواضع .

تصوّف وتحقق على يدي والدنا بعد مجيئه الى عكا ، وقد امره والده
ان يتجرد في زاوية ابيه ثلاث سنوات ، كان يعيش فيها مع الفقراء
المتجردين كواحد منهم .

ولد في مدينة (بنزرت) في بلاد تونس الغرب ، وتزوج هناك من
ابنة خالته ، وفي تلك الاثناء جاء الى الشرق لتأدية فريضة الحج وزيارة
ابيه ، ثم رجع الى بنزرت ، فلما احتلت فرنسا تونس الغرب ، كتب
اليه والده يأمره بالهجرة ، فانتقل مع أسرته الى عكا .

وقد تحدث إليّ عن بعض حوادث وقعت له ، ايام طفولته وشبابه في
بلاد المغرب ، وبما قصه عليّ هذه الحادثة : قال : « لما بلغت مبلغ
الشباب ، طلبت الى الخدمة في الجندية بمدينة (بنزرت) ، كان هذا
على عهد الحكومة العثمانية ، وكنت يومئذ اعيش في بلاد الغرب ،
والوالدي رضي الله عنه في بلاد الشرق ، وكانت العادة ان يدفع اولياء
المكلفين اليسورين عن اولادهم ، بدلاً نقدياً لقاء إعفائهم من هذه الخدمة ،
ورأيت آباء الشباب من اهلي وأهل أمي مصممين على دفع - البدلات - عن
اولادهم ، ولم اجد من يهتم بشأني ، فأحسست اني غريب في موطني ،

بين اهلي وعشيرتي ، وذات يوم خطر لي ان اخرج الى البرية لزيارة
ضريح الشيخ الحشاني رضي الله عنه ، وبينما كنت اسير ، وقد غربت
الشمس وبدت طلوع الليل ، إذ بي افاجأ بفارس يلبس الثياب البيضاء ،
ويعتطي جواداً مطهماً ، وهو يقترب مني ، ثم يناديني باسمي : يا ابراهيم ،
ماذا تريد ؟ فحادثته بأمري ، فقال : عد الى بيتك وغداة غد سينظر في
أمرك . قال هذا وتوارى عني ، وأنا دهش بما سمعت ورأيت ، فعدت
ادراجي الى البيت ، وقلبي مفعم بالأمل .

وفي صباح اليوم الثاني ، ذهبت الى مقرّ الجندية ، ووقت انتظر ما
سوف يفعل الله بي ، ومضت ساعات ، واخيراً اذا بالقائد يبعث من
يناديني ، وحين دخلت عليه ادناني وقال : (كان لآل يشرط فرمان
شاهاني يُعفى بمقتضاه افراد الأسرة من الخدمة في الجندية الاجبارية ،
وكان العمل بموجبه قد أوقف منذ خمس وعشرين سنة ، واليوم عادت
وصدرت اليها الاوامر بالرجوع اليه ، لذا انت وجميع شباب الاسرة قد
شملكم العفو) وما كاد الشباب من اسرتي يتلقون الخبر ، حتى هتفوا
وصاحوا : هذا ببركة ابيك يا ابراهيم . هـ

وقد عاش اخي بعد ابيه ثلاثين عاماً ، تولى فيها مشيخة الطريقة
ورعاية الفقراء فقام بالواجب في كل ما يرضي الله ورسوله واباه .
وقد مرت عليه احوال وجد في الطريق بعد انتقال والدنا الى جوار
ربه ، فكان كثيراً ما يجلس في مقام ابيه متوجهاً بالذكر ، فاذا اشتد
معه الحال ، ينهض واقفاً يذكر الله جهراً مجهداً نفسه ، وكثيراً ما
التف حوله اخواننا الفقراء محلقيين بالذكر وهو باق على تلك الحالة ،
لا يستطيع احد ان يخرج من الحلقة ، وكانت سيدتي الوالدة تخشى
عليه ، حيث سبق قبل سنين ان اسلم الروح ابن اختي الامير عبد القادر
الجزائري في حلقة الذكر ، وكنت طفلة صغيرة لا تتجاوز السنة التاسعة

(١) هو ابن الامير مصطفى الجزائري شقيق الامير عبد القادر الجزائري المجاهد الكبير .

من عمري ، فكانت تأمرني ان انزل اليه ، فادخل الحلقة وامسكه بيدي واقول له ، محمد رسول الله ، وعندها يتوقف الذاكرون ، فاخرج واياه ثم اذهب به الى داخل المقام عند الضريح الشريف واجلسه هناك الى ان يُهود الى حالته الطبيعية ، وسبب انقياده إليّ وهو على تلك الحالة ، ان والدنا رضي الله عنه قال له في احدى المناسبات (لا ترد لأختك فاطمة كلاماً) وكان اخي مطيعاً لوالده ، لذلك لم يكن يرد لي طلباً قط ، وكانت معاملته لي ولشقيقتي مريم ، رغم الفارق الكبير بالسن بيننا وبينه معاملة الند للند مقرونة بالعطف والاحترام .

ولما كنت استقبل رجال طريقتنا الشريفة (في بيتنا) ، ومنهم رجال العلم والرأي والأدب وأنا يومذاك في مستقبل العمر ، لم يعترض طريقي ، بل كان يشجعني ويفخر بذلك ، وكثيراً ما كان يستقبلهم في الزاوية ثم يصعد معهم إليّ فيجلس معنا . لقد كان حبي له وتعلقني به عظيماً ، زد على ذلك اني لم اعرف لي اخاً غيره ، فقد توفى الله اخوتي المذكور قبل ولادتي ، فلما انتقل الى رحمة الله تعالى دُفن في زاوية ابيه وترك لي اللوعة والحزن من بعده .

اخي السيد محبي الدين

كان اخي السيد محبي الدين زهرة فوّاحة من زهور الحياة الشذية جمع بين الجمال والعبقرية والتصوف والفروسية ، فكان من احسن الناس وجهاً وقواماً ، كان طويل القامة رياضي الجسم ، يميل الى النعافة متناسب الاعضاء قوي البنية خفيف الحركة نشيطاً ، ابيض اللون عريض الجبين بين عينيه عرق اخضر يظهر عند الغضب او التعب ، وجهه جميل باسم متهلل وعيناه خضراوان جميلتان بلون الزمرد الصافي ، تحيط بها اهداب طويلة وفوق رأسه شعر اشقر متهاوج . لطيف الروح والمعشر ، خفيف

(١) وكان بطلاً في السباحة والرمية ، ومعدوداً في الفرسان عند اهل زمانه .

الظل متوقد الذهن ذكي الفؤاد عاقلاً مفكراً ، وقد كاد ان يكون له شأن في دنيا العلم والادب وفي عالم الوجود الصوفي ، لولا ان فاجأه القدر فانقل الى رحمة الله تعالى في حياة والده ، وهو في ميعه الشباب وزهرة العمر ، فكانت خسارة ابناء الطريقة الشاذلية والاسرة البشروطية بفقدته عظيمة لا تقدر .

تلقى العلوم عن كبار رجال العلم في الشريعة والحقيقة في هذه البلاد وصحب والده ولازمه وتلقى عنه وسلك في الطريق مسلك التحقيق على يديه ، وتآدب بآداب القوم وتعلم ما يلزمه من علوم الدنيا ، فكانت ثقافته عالية راقية . ورغم شبابه وجماله ومكانة ابيه وثراء امه التي لم يكن لها غيره ، كان مهذباً رقيقاً انساناً بكل معنى الكلمة ومريداً سالكاً الله في طريقه القويم ، يعيش في زاوية ابيه كأحد المتجردين فيها ، وكل ما كانت تخصه به والدته من مأكل وملبس كان يتقاسمه معهم ، ويحيى حياة بسيطة بعيدة عن الغرور والكبر والعجب ، حياة صوفية مثالية .

فلما حضرته الوفاة كان في حالة شهود للذات بالذات في الذات واستغراق كليّ بالله ، الى ان اسلم الروح بين يدي والده العظيم ولسانه رطب بذكر الله .

شقيقتي السيرة مريم

شقيقتي اصغر مني سنّاً ، وهي لا تعرف اباهاً من حيث حكم الظاهر ، فقد انتقل الى الرفيق الاعلى وهي صغيرة جداً ، لكنها تعرفه معرفة تامة بالايان والايقان بولايته الكبرى ، وبتحقيقها ومعارفها وشهودها ورقبها في طريق الله تعالى ، ثم هي اشبه اولاده به خلقاً وخلقاً ، لقد ورثت عنه الفقر ، والذكاء والتضحية وإنكار الذات في سبيل الله تعالى ، وتمتاز شخصيتها بالتسامح والرحمة والجود والكرم ، ولها لسان صدق في علوم القوم ، ثم هي تتذوق الأدب وتحفظ الشيء الكثير من الشعر

الصوفي وغيره .
لقد نشأنا معاً وكأنا روح واحيدة ، وشخص واحد في ميولنا
واذواقنا واتحادنا في محبة والدنا ، وتقديس ذكراه ، وسلوكنا في طريق
الله ، ولكنها دائماً وابدأ هي السبابة في كل ما يرضي الله ورسوله .

سيرتي انيسة الشرطية

لما كان حديثي عن ازواج والدي واولاده لا عن احفاده ، ارى ان
الواجب الروحي في الطريق ، يفرض عليّ كتابة كلمة عن هذه العابدة
الزاهدة العارفة الواصلة الى الله ، نظراً لمكانتها في الطريق ، ولنزلتها
عند سيدي الوالد رضي الله عنه ، ولما لها عليّ من حقوق التربية .
لقد توفي والدها السيد محي الدين وهي طفلة صغيرة ، فكفلها جدها وجدتها
وعاشت الى ان بلغت السنة العاشرة ، وهي لا تعرف لها اباً واماً غير سيدي
الوالد وزوجه . وقد رعاها رضي الله عنه بعين عناينه فنشئت على التقى
والصلاح والمعرفة والتحقيق وحب فعل الخير ، وقد ورثت عن جدتها
ثروة كبيرة انفقت معظمها على المحتاجين من إخواننا ، ومن اهل مدينة
- عكا - ولها فضل يذكر بتعليم جماعة من إخواننا الشاذليين في
الأزهر ، وفي الجامعات على حسابها الخاص . ومناقبها ومآثرها كثيرة ،
وبذلها في سبيل الله تعالى كثير احتساباً لوجهه الكريم ، لا لطلب
شهرة او جاه .

وانها لمن كبيرات العارفات بالله ، تزوجت من ابن عمته السيد
- حسن - الشرطي ابن اخي « خوجية » المتوفاة في - بنزرت - .
ورزقت بأربعة اولاد توفاهم الله وهم في اعمار متفاوتة . فاحتسبت
وصبرت بفضل تجلي التمكين الالهي على قلبها الكبير .

وقبل ان اختم حديثي عن ازواجه رضي الله عنه اقول : سبق ان
ذكرت في احد فصول الكتاب ، ان سيدي الوالد رضي الله عنه ، كان

زاهداً حسناً ومعنى ، كلما اقبلت عليه الدنيا بذها في سبيل الله تعالى .
لقد ورث عن ابيه ثروة كبيرة ، في بلاد تونس الغرب ، فخرج
عنها الى الله ورسوله ، ما عدا النذر اليسير الذي عاش فيه اخوتي هناك
بعد رحيله الى الشرق .

وهنا في بلاد الشام ، ورث عن زوجه السيدة خديجة توسيز ، ربع
مالها بعد ان انفقت معظمه في خدمة الطريق ، وابنائها وانشاء الزوايا ،
كما قدم اليه مريدوه ثروة طيبة ، اوقف قسماً كبيراً منها لزواية ترشيجا
وآخر لزواية عكا ، وأمر قبل انتقاله الى دار البقاء ان يرد ما تبقى منها
بعد انتقاله الى جوار ربه الى اخواننا ، لينفق في مصالحهم الخاصة ، حيث
كان من الزاهدين في حطام الدنيا ، ولم يلتفت اليها قط ، وكثيراً ما
كان يقول (نحن ما جئنا الى هذه البلاد لنعمر احجاراً ، جئنا الى هنا
لنعمر قلوباً) وقال : « نحن نهرب من الدنيا وهي تلحقنا » .

على ان جماعة من اكابر اخواننا الصادقين في محبة شيخهم نظروا (بعد
انتقاله رضي الله عنه الى جوار ربه) في أمر طفليته القاصرتين ، فوجدوا
ان ما ورثه عن زوجه لا يكفي لمعيشة اولاده ، ولذلك عقدوا اجتماعاً
في بيت السيد عبد الفتاح السعدي في عكا ، وكان من بينهم السيد مصطفى
سعيد السعدي ، والشيخ عبد الرزاق القاضي ، والشيخ عبد الله الجزار
مفتي عكا ، وغيرهم من اكابر رجال الطريق ، وقرروا ان يبقى ما تبقى
من تلك الثروة التي امر رضي الله عنه بردها اليهم بعد انتقاله ، ويصير الى
اولاده بعد ان تبين لهم ان ذلك لحق وواجب عليهم ، تجاه اولاد شيخهم
الذي كان سبب هدايتهم ووصولهم الى حضرة القرب فكان ذلك .

وكذلك كان شأنه رضي الله عنه في امر التولية على الزوايا المنتشرة
في هذه البلاد إذ لم يجعل التولية لاولاده من بعده ، وإنما اختص كل
اهل بلدة او قرية بالتولية على الزاوية التي هي فيها ، ولم يجعل تلك
الزوايا مرتبطة بزاوية (عكا) بل لكل واحدة استقلالها التام ، ولحق

رضي الله عنه بربه وهو على تقيّة بيضاء في كل ما يرضي الله ورسوله ،
 بعد ان عاش في زاويته كأحد اتباعه ، وكانت وفاته قدس الله سره
 في يوم الاربعاء ١٦ رمضان سنة ١٣١٦ ودفن في زاويته في عكا ،
 وضريحه يزار فتحج اليه الوفود من سائر الاقطار واقاصي الارض .

* * *

تاريخ انتقال حضرة سيدنا المعظم « نظم الشيخ مصطفى ابو ويشة »
 توأرى عليّ الشانِ عتاً برسِمِهِ ولكنّه ما غاب حسّاً ولا معنى
 فصورة مجلاه وإن غاب رسمها عن العين لم تبرح بأشكالها معنى
 فناده رضواناً لحضرة قربه من الله في الفردوس يُزلفه الحسنَى
 فما كلُّ قُربٍ إن تُورِّخ كقربه دنا فتدلى قاب قوسين أو ادنى
 ٣٢٧ ٦٤ ٥٢٤ ١٠٣ ٢٢٦ ٦٥٧

*

١٣١٦



منع روهية
في مراتب الطريق

نقطة الباء التي منها بدأ
 ألف الميم التي قد أدرجت
 ثم بعد المكث جاءت تنجلي
 سبق العلم بها من أزل
 وسرت فينا حياة لم تزل
 بين إيمان وإسلام أتت
 لبنة فضية قد زانها
 يا إمام الوقت يا من فضله
 ختم الدور ولم يبق سوى
 كل سرّ لها مستوجب
 شرقها بعد الحفا بالمغرب
 بعلي القدر سرّ اليتوي
 حكمة بالغة بالسبب
 تنعش الروح بطيب المشرب
 عينها تعرب رمز الكتب
 عسجد الشرع الشريف الأتعب
 بالندی أحيي الزمان (المجذب)
 بسط بسط ظاهر كالكوكب

مراتب في الطريق

كان رضي الله حين يعين أحد المريدين مقدماً على الفقراء من أهل
 مدينته أو قريته حسب التقاليد المعروفة عند القوم - 'تكتب له إجازة'
 مهوراً بتوقيعه وختمه الشريف ، يأذن له فيها باعطاء الطريق وتسليك
 المريدين وتولي أمور الفقراء ، وتعليمهم أمور دينهم ، وإقامة الأذكار
 فيهم وقراءة بعض الدروس الفقهية لرفع مستوى ثقافتهم الروحية حسناً
 ومعنى . وهذه نصوص ثلاث إجازات أثبتنا هنا كما هي طبق أصولها .

إجازة من والدي رضي الله عنه

إلى العلامة الكبير الشيخ حسين الحسيني البغدادي - مفتي دير الزور -

(١) نظم خضر احمد الفهاوي .

حمداً لمن جعل وَرَثَةَ حَبِيبِهِ سَبِيحاً لِعَرْسِ حَبِيبِهِ فِي الْجَنَانِ ، وَمَدَّ
لَهُمْ مَوَائِدَ الرِّضَا عَلَى بَسَاطِ الأَنْسِ فِي دَارِ الْجَنَانِ ، وَتَوَجَّهَ بِتَسَاجِ
الاصْطِفَاءِ فَضْلاً مِنْهُ « وَامْتِنَانِ » ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ خَلْعَةَ الشُّهُودِ ، مَنْسُوجَةً
بِلُحْمَةِ الرِّضْوَانِ ، وَسَقَاهُمْ بِكَأْسِ الصِّفَاءِ ، كَأْساً بِالمَسْكِ مَخْتُومَ مَنْ
رَحِيقِ القَابِلِيَّةِ ، بِمُحْكَمٍ وَمَا مِنْهُ إِلاَّ وَهْهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ . وَصَلَاةٌ وَسَلَامٌ
عَلَى الحِضْرَةِ المُسْتَدَةِ لَمَّا كَانَ وَمَا يَكُونُ ، السَّارِيَّةِ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ
صُورِ حَسَنَةِ الزَّاهِي المِصُونِ ، وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ مَنْ نُحُوْ نُحُوْ هَاتِيكَ
الحِيَامِ . شَمْسٌ سَاءَ الِاهْتِدَاءِ ، أُولَى العِزْمِ وَالِاحْتِرَامِ .

وبعد ، فلما كان الاشتغال في الطريقة ، من أهم الأمور ، تداولها
السادات في غابر الدهور ، ولازموا تلاوة أورادها الشريفة ، حتى حازوا
على أسرارها المنيفة ، فلاح لهم في السير أمور عظيمة ، وثبتوا على ذلك
بقلوب على الحق عاكفة مستقيمة ، وساروا بها سير السائر المجدد ، إلى
أن عرفهم الله الهزل من الجد . وقاموا بلذات اللذات ، لذات اللذات في
الذات . واقتبسوا من أنوار صاحب الامداد الاقدس ، والفيض المديد
الرفيع المقدس ، نبراساً يهتدون به في حندس ليل الجهل الداج ،
فيفضي بهم الى اعظم منهاج . فيصير باطنهم متمسكاً بالحقيقة الحقيقية ،
وظاهرهم مملوكاً للشريعة المحمدية .

وكان من جملة من جرى في حلبة هذا الميدان ، وسار في الجدد
والجهد زمناً طويلاً ، ثابت الجنان ، ولدنا القلبي الشيخ حسين بن محمد
الحسيني البغدادي ، قد اخذ عني طريقتنا الشريفة الشاذلية التي هي من
كل سوء برية ، وأجزته بأورادها مع قراءة الوظيفة المنيفة ، وأمرته
بإعطاء هذه الطريقة وتلقين أورادها لكل من رامها وأرادها . وأوصيته
بالتقوى ، والمنهج الأقوى ، وقد اخذت هذه الطريقة من حضرة سيدنا
الاستاذ الأكمل ابي عبد الله محمد بن حمزة ظافر المدني ، وهو اخذها عن
شيخه الشريف الحسيني ابي احمد العربي الدرقاوي ، وهو عن شيخه علي

العمران الملقب بالجل ، وهو عن شيخه العربي ابن احمد بن عبد الله ،
 وهو عن ابيه احمد بن عبد الله ، وهو عن قاسم الحصاص ، وهو عن
 عبد الرحمن الفاسي ، وهو عن محمد بن عبد الله الكبير والد سيدنا احمد ،
 وهما عن يوسف الفاسي ، وهو عن عبد الرحمن المجذوب ، وهو عن شيخه
 علي الصنهاجي ، وهو عن ابراهيم الفحام ، وهو عن احمد زروق ،
 وهو عن احمد بن عقبة الحضرمي ، وهو عن يحيى القادري ، وهو عن
 علي بن وفا ، وهو عن والده محمد بحر الصفا ، وهو عن داود الباخلي ،
 وهو عن احمد بن عطاء الله الاسكندردي ، وهو عن ابي العباس المرسي ،
 وهو عن الامام علي ابي الحسن الشاذلي ، وهو عن عبد السلام بن مشيش
 وهو عن عبد الرحمن المدني ، وهو عن القطب تقي الدين الفقير ، وهو
 عن القطب فخر الدين ، وهو عن القطب نور الدين ابي الحسن ، وهو
 عن القطب تاج الدين ، وهو عن القطب شمس الدين السيواسي ، وهو عن
 القطب زين الدين القزويني ، وهو عن القطب ابي اسحاق ابراهيم البصري ،
 وهو عن القطب ابي القاسم احمد المرواني ، وهو عن القطب ابي محمد
 سعيد ، وهو عن القطب سعيد ، وهو عن القطب محمد فتح السعود ،
 وهو عن القطب سعيد القزويني ، وهو عن القطب ابي محمد جابر قدس
 الله اسرارهم ، وهو عن اول الأقطاب سيدنا الحسن رضي الله تعالى عنه ،
 وهو عن ابيه سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه ،
 وهو عن سيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد ﷺ وشرف وكرم
 وعظم ، والحمد لله رب العالمين .

تحريراً في ٢٠ شوال سنة ١٣٠٦ هجرية

اجازة من والدي رضي الله عنه

إلى الشيخ محمد سكيك بن الشيخ محمود سكيك باعطاء الطويقة الشاذلية
 حمداً لمن قرّب من استخلصه حضرة انسه ، واشهده بعين العيان جمال

قدسه ، ورفع من اصطفاه ارفع الرتب ، ومنحه الشهود والعرفان
والادب ، وكشف عنه حجب الاستار ، وأفناه عن نفسه وسائر
الاغيار ، وصلاةً وسلاماً على من علت به شمس المعرفة اعلى ارتقاء ،
وعلى آله واصحابه الذين فازوا بالجنة دار البقاء .

وبعد ، فقد أدت لولد القلب والروح الشيخ محمد العالم الفاضل ،
ابن الشيخ محمود سُكيك ، في الطريقة المديّنة الشاذلية ، وقيام الذكر
وقراءة الوظيفة والاوراد ، واعطاء الطريقة لمن اراد ، وان يجيز من هو
اهلٌ باعطاء الطريقة ، حسب اجازني سيدي العارف بالله ورسوله ، وحيد
زمانه ، وقطب عصره وأوانه ، ابو عبد الله سيدي محمد بن حمزة ظافر
المدني الحسني (إلى آخر اسماء ساداتنا اقطاب السلسلة الشريفة) وأنا رقب
جنابه وخادم احبابه .

تحريراً في ٤ ذي القعدة سنة ١٢٧٥ للهجرة

اجازة من والري رضي الله عنه

إلى الشيخ يوسف الخطيب من قرية - برجا -

نحمدك والحمد منك واليك ، ونشكرك وشكرنا في الحقيقة راجع
اليك ، والصلاة والسلام على رسولك المصطفى القائم لك بين يديك ، وعلى
آله نجوم الاهتداء ، لمن رام ان يهتدي اليك .

اما بعد ، فلما كانت طريقتنا العلوية الشاذلية البشروطية منهاجاً للسالكين
متصلاً سندها بالتواتر الصحيح لرسول رب العالمين ، كما هو مسلسل مشهور
بالصحيح ، وأمرٌ محقق عند اهل الترجيح ، توارثه سادات كرام ، وأئمة
اعلام ، ذكروهم بين الانام شهير ، وشمس فضلهم لا تخفى على بصير ، وكان
من جملة من أخذ عني الطريقة ، وتحلّى بفضلهم العميم ، وسلك بها على
طريقها القويم ، ولدنا الفاضل الأديب الشيخ يوسف الخطيب ، من اهالي
وسكان قرية « برجا » ، قد أمته مقدماً على عموم اولادي الفقراء بالقرية

المذكورة ، وامرته بتقوى الله ؛ واسأل الله ان يوفقى اموره ، وأذنته
باعطاء طريقتنا الشاذلية ، لمن رأى فيه الاهلية ، بعد التوبة والانابة ،
وان يلقنه اورادها المعلومة ، ويقراً بإخوانه الرظيفة الشريفة في اوقاتها
الواضحة ، ويقيم الذكر فيهم في الليالي الشهيرة اللائحة . وأوصي ولدي
المذكور بالعمل بما في الكتاب المسطور والتمسك بالسنة ، واقوال
السادات الأئمة . وأسأل ربي ان يفتح عليه ويجري الخير على يديه ، وهو
حسبي ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .
تحريراً في ٢٥ شوال سنة ١٣١١ لهجرة .

وذكر الشيخ - مصطفى نجما - مفتي - بيروت الاكبر في كتابه
- كشف الاسرار - فقال : كتب إلي شيخنا علي نور الدين البشرطي
الحسني يقول :

كل طريقة تخالف الكتاب والسنة فهي زندقة وباطلة ، فدم يا ولدي
على ما انت عليه ولا تأخذك في الله لومة لائم ، ومن الآن اوصيك وانهمض
همتك ، ان تكون باذلاً النصيحة لاخوانك ، وحرصاً كافة اولادي
الفقراء على اتباع الكتاب والسنة ، والعمل بما يرضي الله ويرضي رسوله
ﷺ ، وعرفهم عن لساني ، انه لا وصول الى الله تعالى إلا باتباع
اوامره واجتناب نواهيه ، وان كل من تعدى الحدود الشرعية لا نعرفه
من طريقتنا .

* * *

وذكر الشيخ - مصطفى - في كتابه ايضاً ، ان حضرة شيخنا كتب
هذه الرسالة الى بعض اخواننا من اهل العلم والفضل خارج - بيروت - .
بلغني ان فلاناً فسدت احواله ، وخرج عن الميزان الشرعي ، فاعلموا
واعلموا الجميع ، انه مطرود من طريقتنا هو وكل من وافقه على فساده
واقعاله الخلة بالشرع الشريف . واوصيكم ان تزنوا احوال الفقراء على
الكتاب والسنة ، وكل من رأيت منه مخالفة ، فأنتم مأذونون بطرده ،

ولا تعطوا الطريقة إلا لمن وجدتم فيه الأهلية ، وأيتهوه متمسكاً
بالشريعة الطاهرة المرضية .

صه رسائلكم رضي الله عنه الى بعض اخواننا

صورة عن كتاب من والدي الى - توفيق بك - سر خزانة السلطان
عبد الحميد الذي أملاه على الشيخ - عبد الرازق القاضي - .
ولدنا القلبي ،

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، والتوسل لحضرة السيد الكامل
ان يتعطف عليكم بفيض فضله الاقدس ، حققكم الله جل وعلا بمقامات
العرفان ، وكشف لكم من جود إحسانه عن مقام الشهود والاحسان ،
ووفّق اعمالكم على منهج القرآن ، وحفظ احوالكم بسر قوله : تبارك
الذي نزل الفرقان ، وجمع قلوبكم على تقوى الله ، ومتّعكم بحب رسول
الله ، الذي أنزل عليه « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ، فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ
اللَّهُ ، فَأَوْصِيكُمْ بِاللَّفَةِ وَالْحَبَّةِ ، وَالْحَافِظَةَ عَلَى حَقِّقِ الْاِخْوَةِ وَالصَّحْبَةَ ،
امثالاً لأمر سيدنا الاعظم ، القائل : التوسل بالحُب اعظم من كل
وسيلة وأسلم ، محمد عليه الصلاة والسلام ، فافهم من نحن بمدد
سائرون وعلى حبه مقيمون . الحُب اساس الطريقة ، والشريعة مفتاح
الحقيقة ، وذكر الله عظيم ، والفكر صراط مستقيم ، وسلب الارادة
طريق قويم ، فصاحب الذّكر سائر ، وصاحب الفكر حائر ، وسالب
الارادة مراقب ناظر ، وصاحب الحُب طائر ، فاعملوا على الحجة ، واتقوا
بها كل نائبة تكفيكم دنياكم وسلامة دينكم ، وكفى قوله ﷺ « يُحْشِرُ
الرءُ مع مَنْ أَحَبَّ » داوموا على ايراد الطريقة ، وتذاكروا بذكر
الله ورسوله يرزقكم بفضل الحقيقة ، والتحقيق بعلم تجليات اسمائه وصفاته ،
ويلمحكم كتابه وآياته ، وتناولوا سعادة الدارين .

في ٧ شوال سنة ١٣١٠ هجرية

* * *

من وصاياه وحكمه

رضي الله عنه

من وصاياه رضي الله عنه

قال رضي الله عنه ونفعنا به : الحاضر يعلم الغائب ، ربّ مبلغ اوعى من سامع ، ان مبني طريقتنا الشريفة واساسها الأعظم ، معرفة الله تبارك وتعالى باسمائه وصفاته وافعاله واحكامه ، وسائر شئونه ومراتبه ، الظاهر بها ظهوراً تامّاً ، باعطاء كل ذي حق حقه ، من انواع كلالته اللائقة بكل مرتبة من مراتبه ، وان الوقوف بمقام الجمع المطلق ، وتضييع احكام المراتب المعيّن بها - اي الجمع المعبر عنه بمقام الطمس والعماء - جهل وضلال ، وخروج عن دائرة الحق المتعال ، فيجب على الفقير الصادق ، ان يخرج من ظلمة ليل الجهل ، الى صبح الفرق ، وان يعطي كل ذي حق حقه من المراتب والاحكام ، كي تفتح له خزائن الأسرار ، من خلف سرادقات الحجب والاستار ، وان كان مشهده الوحدة المطلقة ، يعطي ان هذا عين ذلك ، لكن يجب العكوف من حيث امرك مولاك ونهاك ، وإلا تلاشت المراتب والاحكام ، وأبطلت حكمة إرسال الرسل الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، وانهدمت قواعد الدين ، وضاعت هداية المرشدين ، واسترسلت الغفلة في قلوب الجاحدين المعاندين ، وكل من نادى في وحدته العمياء ، خسر الدنيا والآخرة ، حيث يشهدون الفرق جمعاً ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنفاً ، اولئك الذين لا خلاق لهم في الآخرة ، ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم .

فواجب الفقير الصادق في محبة شيخه ، الذي يعتقد فيه انه وارث

محمدي ، ونائب عنه عليه السلام فيما بلغه عن ربه عز وجل ، بالوقوف على حدة
 بامتثال اوامره واجتناب نواهيه ، والاستسلام في ظواهره وخوافيه ،
 وكل من سار مع نفسه ، وسرح في مسارح شهواته عن معارج قدسه ،
 فقد نقض عهده وأوجب النكوص بعده ، ومرق من الدين ولم يشعر
 بحاله ، وغرق في مساقط احواله ، بزخرفة محاله ، فالفرار الفرار ، من
 هذه الاقدار ؛ الى اقتباس الأنوار من مشكاة الأسرار ، والحلاص من
 منازل الأحوال .

وقال رضي الله عنه :

الطريق حبة وصدق وحفظ اسرار الله ، ولا يجوز اعطاء الطريق لمن
 لا يحفظها ، فماذا نفعل بهؤلاء الذين يعطون الطريق للناس وفي ذات
 الوقت يتكلمون امامهم بالحقائق ، فالفقير الصادق لا يتكلم بالحقائق على
 غير اهلها ، إلا اذا كان متمكناً من العلوم الظاهرة ، خشية ان يخطئ
 في التعبير ، فيكفر دون ان يدري ، ولذلك يجب عليه ان يتوب عن
 اعطاء الطريقة لمن لا يحفظها ، فيما لو فعل ذلك ، ويتوب عن التحدث
 بالحقائق امام الناس .

* * *

وقال رضي الله عنه قبل انتقاله الى جوار ربه :

جننا من بلادنا لنعرفكم بالله ، وقد عرفناكم به ، والله سبحانه
 موجود باق ، فتمسكوا بالله واعتصموا به ، ولا تغفلوا عن ذكره ،
 كونوا قلباً واحداً ، ونفساً واحدة ، ولا تغيروا ولا تبدلوا ولا
 تفرقوا ، وكونوا على ما اتم عليه . امثلوا ما امرناكم به ، واجتنبوا
 ما نهيناكم عنه ، لا تقولوا نحن غائبون عنكم ، اننا حاضرون ، ناظرون
 اليكم ، لا تقولوا ، اننا لا نراكم ، بل والله نراكم ونعلم احوالكم كلها .

بعض امارت منه كلام والدى رضي الله عنه^١

قال رضي الله عنه :

كل حكم من احكام الشريعة ، تحته كنز من كنوز الحقيقة ، ولا
ينال ذلك الكنز إلا باتقان ذلك الحكم الشرعي .

* * *

قال رضي الله عنه :

الموارد ترد على قلب الفقير من اربع جهات ، مَلَكيّ ، ورحماني ،
ونفساني ، وشيطاني ، ومن لا يُصَلِّي ولا يقرأ الوظيفة والورد ، لا
يستطيع تفريق هذه الخواطر عن بعضها ، ومعرفة الصحيح منها من الفاسد .

* * *

قال رضي الله عنه :

أصل ماء البحر حلوه ، فلما طرأ عليه العَرَض ، صار مالحاً ، يلزمه
استاذ ماهر يكرره ويرجعه الى اصله .

* * *

قال رضي الله عنه :

انظر الى من يقرأ القرآن ، كل انسان يقرأ في سورتَه ، فالوجود
كله 'فرقان' ، فمن جاوز قرآنَه 'فرقانه كمل' إيمانه وعرفانه .

* * *

قال رضي الله عنه :

الوجود هو الكتاب ، والانبياء 'سورَه' ، وأكابر المسلمين ، والكفار
آياته ، وعامة الخلق كلامه ، والوجود الناقص حروفه ، والمجموع هو الله ،

* * *

(١) من كتاب مجموعة احاديثه وحكمه ومواعظه رضي الله عنه - تحت الطبع - .

قال رضي الله عنه :

مراتب الوجود اربعة : جماد ، ونبات ، وحيوان ، وانسان :
اقوام شهوداً بالله ، المرتبة الجمادية ، فهي لا إرادة لها ولا تتحرك
بنفسها ، فاذا وضع حجر في مكان ما الف عام ، ولم تنقله يذ ولم
ترحزحه الامطار ، لا يتحرك بنفسه ، ومن بعدها تأتي المرتبة النباتية ،
وهي اخف شهوداً بالله من الجمادية ، لأن لها قابلاً يطلب الماء ويحركها
الهواء ، ومن بعدها تأتي المرتبة الحيوانية ، وهي اخف شهوداً من النباتية
لأن لها إرادة تأكل وترد الماء ، اما الحجب الكلية فعلى المرتبة الانسانية ،
مع انها من اكمل المراتب حسناً ، كما قال تعالى في كتابه العزيز :
(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) ولكن ما يزال الانسان
في إرادته وانانيته في اسفل سافلين .

* * *

قال رضي الله عنه :

الطّور لا يمكث زمانين ، والانسان مجموعة اطوار ، فهو في كل
لحظة في خلق جديد ، فاذا كان هذا الطور يعطي الحياة يعقبه آخر في
الخلق الجديد ، كما ان الانسان وجد من عدم ، فهو نسبة عدمية حكومية
مقدرة ، وحقيقتك علم بحقيقة علم الله .

* * *

قال رضي الله عنه :

النحلة ترعى من كافة الزهور ، ترعى الحلو والحامض والمر ، ومن
صفتها ان ينقلب غذاؤها عسلاً ، فهي تأتي الى زهرة « النوفل » ، وهذه
الزهرة تتفتح في الصباح ، وتطبق عند الغروب ، فتأتي النحلة وتأخذ
منها قدر كفايتها وتطير ، اما النحلة التي فيها رعونة ، فيحلو لها البقاء في

الزهرة الى ان تغرب الشمس فتطبق عليها الزهرة وتموت النحلة من
شدة رعوتها .

* * *

قال رضي الله عنه ؟

العِلْمُ الالهي مطلق ، والعقل والادراك مقيّدان ، فاذا قوي العلم
الالهي عليهما انطلقا بانطلاقه ، وان هما قويا عليه تقيّد تحت دائرة
العقل والادراك .

* * *

قال رضي الله عنه :

ما زال العبد يذكر الله ، حتى يستولي الاسم عليه (أي اسم الله
الأعظم) ومتى استولى عليه الاسم انطوت العبدية بالربوبية ، وظهرت عليه
صفات الرب ، ولذّة الرب تعيّب العبد عن وجوده حسناً ومعنى .

* * *

قال رضي الله عنه :

متى استولى الجمع في باطن الفقيز ، تنفجر ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه ، وتظهر الاسرار والانوار ، وعلى هذه الحالة كان من قتل
وعذب في مقام الجمع ، أما صاحب الفرق الثاني ، فهو يسري في
الممكنات سريان الماء في العود الاخضر .

* * *

قال رضي الله عنه :

قارئ القرآن مناجي الحق ، قارئ القرآن ترجمان الحق ، والقرآن
حضرة الجمع .

* * *

قال رضي الله عنه :

الطريق كالجوهر المكنون في صندوق ، والمفتاح الذّكر (أي ذكر

الله (وأسنان المفتاح كفه الحواس عن المخالفة

* * *

قال رضي الله عنه :

للطريق أربعة اركان ، محبة ، وذكر ، وفكر ، وتسليم ، وأهم
هذه الاشياء المحبة الالهية ، لأنها قطب تدور عليه الدوائر ، فمتى احببته
ذكرته ، ومتى ذكرته فكرت فيه ، وسامت امرك اليه ، ثم تلا قوله
تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ويُسَلِّمُوا تسليماً) .

* * *

قال رضي الله عنه :

الذكر يغسل القلب من جميع المخالفات ؛
اذكروا الله بالتوحيد ، يذكركم بالتأييد ، اذكروا الله بالشكر ،
يذكركم بالمزيد ، اذكروه بالطاعة يذكركم بالنعمة ، اذكروه بالمحبة ،
يذكركم بالقرب .

قال رضي الله عنه :

الكشف الذي اصطلح عليه الأولياء على ثلاث مراتب : الأول
يكشف لهم عن صور الأنبياء ، والثاني يكشف لهم عن ارواح الأنبياء ،
الثالث يكشف لهم عن روحانية محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فيضع
في قلوبهم نور التوحيد الذاتي .

* * *

قال رضي الله عنه :

محمد الفرد الجامع الفاتح الخاتم من البداية الى النهاية ، لا يفارق
المؤمن ولا نفساً ، لو انكشف الغطاء لرآه عياناً .

* * *

قال رضي الله عنه :

لما خلق الله الوجود ، قال : ما الذي يحتاج اليه هذا ؟ ، ثم وضع

له سمعاً من سمع محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، وبصراً من بصر محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، محمد وذوقاً من ذوق محمد .

* * *

قال رضي الله عنه :

النفس مخلوقة من الشهوة والمادة والطبيعة الحيوانية ، والروح مخلوقة من عالم الأمر ، والذي يقويها (الذكر والصلاة والطاعة) فتدخل في عالم الملكوت وتظهر في عالم الأنوار وتكتشف المغيبات .

* * *

قال رضي الله عنه :

النفس بيتها الشرع ، والروح من عالم الأمر ، والقلب بيت العز .

* * *

قال رضي الله عنه :

ان الله ليتجلى على احبابه كما تتجلى الشمس الارض ، هي في السماء الرابعة ويسطع نورها على الارض ، أفيجوز للارض ان تقول : انا الشمس !! كلا هذا لا يجوز وشتان ما بينهما .

* * *

قال رضي الله عنه :

حرف الالف حين امتد للكسر رزقه ربي النقطة ، ولذلك تقدمت الباء على جميع الاسماء بقول : بسم الله الرحمن الرحيم .

* * *

قال رضي الله عنه :

الحب على ثلاثة اقسام : حب طبيعي ، ينفصل في عالم الملك ، وحب روحاني ، ينفصل في عالم الملكوت ، وحب حقيقي ، لا ينفصل لا في عالم الملك ، والملكوت ، ولا في عالم الجبروت .

قال رضي الله عنه :

احببوا الله باطاعة رسوله صلوات الله وسلامه عليه تختمر محبته في قلوبكم ، وينتفع بها كل من يحتاج الى الغذاء الروحي ، احبوا الله حباً يُغيبكم عن وجودكم حساً ومعنىً فتصبحوا في ملكوته حاضرين ، فالحب الالهي قديم ، وهو أول ما برز من الكنز ، وليس للحب نهاية ، فهو دائم باقٍ بظهره الحمدي .

* * *

قال رضي الله عنه :

الماء الذي نزل من السماء ، قُسم على اربعة اقسام : الماء الذي نبع من قلب محمد ﷺ ، فهو عين ماء السماء ، والماء الذي نبع من قلوب صحابته رضي الله عنهم ، فهو عين ماء السماء ، ولكن خالطه غبار الارض والماء الذي تفجر من قلوب المجتهدين ، فهو ماء يُستعمل ويؤخذ منه قدر الكفاية ، واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ، أما الذي نبع من قلوب الحوارج وأشباههم ، فهو سمٌ زعاف لا يجوز استعماله .

* * *

وقال رضي الله عنه في تفسير الآية الكريمة :

(وجعلنا من الماء كل شيء حي) المراد هنا ماء الحضرة المحمدية ، الذي نبع منه ما كان وما يكون ، لا مياه البحار والامطار وغيرها ، فقد يقع الانسان في حفرة ماء او يفرق في البحر ، او تجرفه السيول فيموت .

* * *

وقال رضي الله عنه في تفسير الحديث الشريف :

(حبب إلي من دنياكم : النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة) قال : النساء صور الممكنات والطيب ما ظهر منها ، والصلاة

(١) الحديث اخرجه احمد في سنده والبيهقي في السنن .

الشهود فيها . وفي رواية ثانية ، قال : النساء ظواهر الممكنات ، والطيب ما طاب منها ، والصلاة الشهود فيها .

* * *

قال رضي الله عنه :

جهد الانسان ان لا يجعل قلبه محلاً لصور الخواطر ، لقوله تعالى في كتابه العزيز (إن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) .

* * *

وقال رضي الله عنه :

إذا ورد على الفقير وارد ، يجب ان يزنه بميزان الشرع ، فان وافق الشرع يقبله وإلا فليرفضه .

* * *

قال رضي الله عنه :

الفقير هو الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم إلا بما يرضي الله ورسوله ﷺ .

* * *

قال رضي الله عنه :

رأس مال الفقير دينه ، فاذا اضاع رأس ماله فبماذا يشتغل !! ?

* * *

قال رضي الله عنه :

إذا اراد الفقير ان يتكلم بالمواعظ والزواجر فليضع نفسه امامه ويتكلم .

* * *

قال رضي الله عنه :

إذا استطاع الفقير ان يأتي بالسند فليتكلم وإلا فليسكت .

* * *

قال رضي الله عنه :
من اخذ بالمجمل هلك ، الفائدة بالتفصيل .

* * *

قال رضي الله عنه :
آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الراسة .

* * *

قال رضي الله عنه :
إذا بغى العبد وارتكب المخالفات ، تحذره جميع الأسماء الالهية
ويتوعده الاسم الديان ، وعداً شديداً ويقول له : سوف ترى .

* * *

قال رضي الله عنه :
لا وصول الى الله إلا باتباع اوامره واجتناب نواهيه ، وكل من
تعدى الحدود الشرعية لا نعرفه من اهل طريقتنا .

* * *

قال رضي الله عنه :
كل من يخالف الشريعة لا انا منه ، ولا هو مني ، ولا اعرفه ولا
يعرفني ، كل من يخالف الشريعة انا بريء منه في الدنيا والآخرة .

* * *

وقال رضي الله عنه :
إني بريء في الدنيا والآخرة من كل من يخالف الكتاب والسنة .

* * *

قال رضي الله عنه :
قلب الشيخ دائماً دوماً مستغرق بذكر الله وانوار رسول الله ، لا
تلقته حاجة من حاجات الدنيا إلا قلب المرید الصادق .

* * *

المريدون

شروق الانوار في الاعيان الثابتة في العلم

قال راوي السند
منتهى سير الرجال

ناقلًا عن سيدي
شرعنا الحمدي

★

شرعنا اهل الهوى
إن عرش الاستوا

نحو اوهام السوى
منه وسع العدد

★

ديننا حب وود
نصبح اليوم لعد

مالنا في الكون ضد
كأب مع ولد

★

نحن حزب المصطفى
نحن اخوان الصفا

نحن اصحاب الوفا
غصة المعربد

يتساءل الكثيرون ويدهشهم سرعة انتشار طريقتنا الشريفة في هذه البلاد ، بعد انتقال سيدي الوالد رضي الله عنه من المغرب الى المشرق ، إذ لم يمر على وصوله إلى - عكا - أكثر من عامين ، حتى كانت الطريقة الشاذلية منتشرة في - سورية - أي سورية ، ولبنان ، وفلسطين ، وشرقي الاردن .

والجواب على ذلك ان ليس هذا غريباً ، فعلوم هذه الطريقة واصولها ومبادئها وأئمتها المعتبرون ، وأشياخها ورجالها المخلصون ، وحال اهلها المقربون ، كل ذلك كان يقضي بسرعة انتشارها ، وكان حتماً على أهل الخصوصية من أهل هذه البلاد ، الذين انتسبوا الى شيخنا رضي الله عنه ،

(١) من اناشيد الاذكار للشيخ السيد نصوحى الجابري

وسلكوا في طريقه القويم ، أن يجتمعوا به ، وكان هذا الاجتماع مقدراً لهم من عالم الارواح قبل وجودهم في عالم الاشباح . فكان منهم السالكون ومنهم الواصلون الذين لم يقفوا مع شهود الانوار ، بل نفذوا الى نور الانوار ، منهم من ظهر بظهوره الشريف ومنهم من تبرقع بالحفاء . ويرى السادة الصوفية رضوان الله عليهم ، ان قوة الظهور ورفعته المقام في ولاية صاحب الوقت ، ليست بكثرة الاتباع من العوام والسذج ؛ فهؤلاء سارعوا الاجابة في كل شيء ، وإنما هي يجذب قلوب جماعة من اكابر علماء الشريعة في عصر ذلك الولي الى الطريق ، حتى قال بعضهم : ليست المشيخة بتسليك خمسين رجلاً ، بل بتسليك عالم واحد ، إذ لا يخفى ان قوة السادة العلماء لا يستهان بها ، فإذا جمعوا بين العلم في الظاهر والباطن انتفع بعلمهم خلق كثير ، وكانوا ركناً من اركان التصوف .

ومن لطائف المنن على سيدي الوالد رضي الله عنه ، أن ولايته عامة جامعة لسائر الطبقات والأجناس . وقد اكرمه الحق بقوة الظهور ، فاجذب اليه قلوب نخبة من اكابر علماء عصره الأعلام أخذوا عنه وانتسبوا اليه ، وكان لهم أثر بيّن في خدمة الطريق واهله . لقد بحق الله افعالهم بافعاله ، وأوصافهم باوصافه ، وذاتهم بذاته ، وحملهم اسراره فكانوا من اكابر العارفين الواصلين .

وكان اول من اخذ عنه رضي الله عنه من علماء الشريعة في هذه البلاد ، علماء - عكا - ثم نخبة من اكابر علماء - القدس الشريف - حيث كان رضي الله عنه قد ذهب اليها على اثر وصوله الى - عكا - لزيارة الحرم الأقصى ، ثم رجع الى - عكا - وهناك تعرف اليه هؤلاء السادة الذين اخذوا عنه وثبتوا على ما عاهدوا الله عليه ، وقاموا بالواجب على الوجه الاكمل في خدمة الطريق واهله ، فجاهدوا بعلمهم ونفوذهم وبذل اموالهم في سبيل نشر طريقتنا الشريفة ، وساهموا في بناء

زاوية - ترشيحا - وزاوية - عكا - القديمة ، ثم زاوية - عكا -
الكبيرة (وهي المعروفة اليوم) ووقف احدهم الشيخ محمد علي النقيب
الحسيني نقيب الاشراف ، بيتاً في القدس لاجتماع اخواننا فيه ، ورصد
آل البديري وآل الدباغ بيتاً آخر ، جعلوه زاوية . ولبعض هؤلاء
السادة قصائد وموشحات وانشيد صوفية ، وكلام عالٍ في علوم القوم
(نورٌ على نورٍ ، يهدي الله لنوره من يشاء) فقد انعم الله على
الشيخ خالد المحتسب الخليلي ، فنظم عدة قصائد وموشحات وانشيد
صوفية رائعة ، ومنظوماته معروفة مشهورة بين اخواننا تنشد في حلق
الذكر وفي مجالس انس القوم بالله .

لطيفة

في ذات يوم اجتمع اخواننا في القدس ، فقال احدهم للشيخ خالد : ان
كنت فانياً في شيخك حقاً كما تدعي فانظم لنا قصيدة تتضمن قافية كل
بيت فيها اسم شيخنا (علي) وتلوا علي مسعاه الآية الكريمة (قل
هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) فنظمها قبل ان يغادر
مجلسه وهذه هي :

أزهار كرم الحق إذ بانَت علي	دهشت بطلعه الوري فتنوعت
هيفاء إذ كل الحاسن من علي	تجاول محاسنها بكل وديعة
قد سل من غمد وصال به علي	تبدو ببارق نغرها كمهند
ونداوة تمتد من فجوى علي	بلطافة وبرقة وسماحة
قلبي بان حديتها تعني علي	أروي حديث القوم عنها مذ، عنا
فيض الحقيقة ابدعتني من علي	قد كنت في ظل البراقع مدرجاً
من خمرة كريمة زدني علي	قد آن لي ان استفيق بكأسه
وأرى جميع شؤونها تبدو علي	علي أصان بشرها عن ومهما
متجملًا بصفات ذاتك يا علي	وأكون منه علي كإل في الملا

بكرائم الانعام فيضاً من لي وبرقعة التحقيق حَقَّقني علي
يا ذات كلِّ مُحَقِّقٍ وحَقِيقَةٍ وحياة كل مليحة كُنْ لي علي
طاب الحديث به وطاب مدامه والشرب يجلو من اباديك علي

★

من قصيدة مطولة نظمها مريد سيدي الوالد الشيخ يعقوب البديري
المقدسي :

عاينتُ تصريف الشؤن به بدا عالي المحامد معدنُ الاحسان
اكرم به من شرطي زان الملا بحاسنٍ إذ كان اصل معاني
هو طالما اهدى الانام بهديه إذ قد ظهرنا عينه بعياني
هذا هو الفرد الذي ضاعت به اكوانتنا من قبل بدء أوان
نالت به فتح القديم بباطنٍ فأبت شمس جمالها تجفاني
قد آن للانسانُ يدعى كاملاً وبنور نور الدين نلت اماني

(١) أسماء بعض افاضنا العلماء في القدس وخليل الرصم

العلامة الجليل : الشيخ محمد علي النقيب الحسيني - نقيب الاشراف في
مدينة القدس .

العلامة الجليل : الشيخ حامد البديري ، مقدم الطريقة الشاذلية
الشرطية في القدس .

- العالم الفاضل : الشيخ يعقوب البديري المقدسي .
- العالم الفاضل : الشيخ ابراهيم البديري المقدسي .
- العالم الفاضل : الشيخ ابراهيم الدبّاغ المقدسي .

(١) وقد رأيت ان اكتفي بذكر اسماء طائفة من علماء الشرع الشريف الذين تلقوا عنه الطريقة
الشاذلية الشرطية ، إذ لا سبيل الى ذكر العلماء المنتسبين اليه جميعاً ، رضي الله عنه .

العالم الفاضل : الشيخ محمد علي بدارو المقدسي .

★

العالم الفاضل : الشيخ خالد المُحتسب الشاعر الصوفي الكبير

- خليل الرحمن - .

العالم الفاضل : الشيخ مصطفى الخليلي - خليل الرحمن - .

العالم الفاضل : الشيخ عبد الرحمن الشريف - خليل الرحمن - .

العالم الفاضل : الشيخ حسين الشريف - خليل الرحمن - .

★

وكان العلامة الكبين الشيخ - موسى البديري - يوم ذاك صغير السن ، لكنه تلقى الطريقة الشاذلية فيما بعد عن عمه الشيخ - حامد البديري - الذي كان مقدماً على الفقراء ، أي نائباً عن سيدي الوالد رضي الله عنه ، مجازاً منه باعطاء الطريقة الشاذلية وتربية المريدين والسير بهم في مقامات الشهود والعرفان . وقد انتفع به خلق كثير فكانوا من العارفين الواصلين .

ثم تشدّد جماعة من أكابر علماء الشرع الشريف في دمشق وهم :

العلامة الجليل : الشيخ اسعد حمزة ، كان مأذوناً من سيدي الوالد باعطاء

الطريقة الشاذلية ، وآل حمزة الكرام من اشرف

المسلمين في دمشق ، اختصوا بنقابة الاشرف ، وبالافتاء

الشرعي فيها .

العلامة الجليل : الشيخ سعيد الاسطواني ، تولى منصب القضاء الشرعي

في دمشق ، في حكم الدولة العثمانية . وآل الاسطواني ،

اختصوا بالقضاء الشرعي فيها .

العلامة الجليل : الشيخ عبد الرزاق الاسطواني ، القاضي الشرعي في

بيروت على عهد العثمانيين .

العلامة الجليل : الشيخ رشيد سنان ، استاذ مدرسة - عبد الله باشا

العظم - لطلبة العلم الشريف في دمشق . قرأ عليه
جماعة من اكابر علماء العصر .

العلامة الجليل : الشيخ ابو النصر الخطيب ، معروف في الاوساط العلمية .

العلامة الجليل : الشيخ سعيد الغبرا ، معروف في الاوساط العلمية .

العلامة الجليل : الشيخ سعيد الخالدي الدمشقي ، أُبعدَ مع سيدي
الوالد الى جزيرة - رودس - .

العلامة الجليل : الشيخ بهاء البيطار ، من اكابر علماء - الميدان -
في دمشق .

العلامة الجليل : الشيخ محمود ابو الشامات ، الذي كان مقدماً على
الفقراء في دمشق ومجازاً من سيدي الوالد باعطاء

الطريقة وتربية المريدين ، وله تأليف عديدة في التصوف وغيره

العلامة الجليل : الشيخ مصطفى ابو ريشة ، مفتي - البقاع - . وقد
تولى منصب القضاء الشرعي في المدن الكبيرة .

وبعد ، فقد حدثني العالم الفاضل ، العلامة الكبير ، والشريف الحسني

الادريسي المغربي الشيخ محمد العربي العزوزي امين الفتوى ، في الجمهورية

اللبنانية ، ان العلامة الكبير الشيخ امين سويد الدمشقي ، كان قد تلقى

الطريقة الشاذلية ، عن سيدي الوالد ، على انه لم يأخذها عن والدي

مباشرة ، بل بواسطة احد الشيوخ من مريدي سيدي الوالد العلماء ،

فاستأذنت منه ان اثبت ما ذكره في كتابي هذا فأذن لي بذلك .

- تابع اسماء اخواننا العلماء في دمشق وحمص -

العالم الفاضل : الشيخ محمد العجلاني ، وآل العجلاني من اشراف المسلمين
في دمشق .

العالم الفاضل : الشيخ عبد القادر الاسطواني .

» : الشيخ محي الدين اللجام

» : الشيخ سعيد الابوي .

- العالم الفاضل : الشيخ سعيد الحافظ العطار
- » : الشيخ سليم الخطيب البقاعي
- » : الشيخ عمر البازرباشي ، مفتي حاصبيا
- » : الشيخ احمد رمضان المغربي
- » : الشيخ احمد العرابي المغربي ، كان مقدماً على اخواننا
المغاربة في الشام
- » : الشيخ محمد الشريف المغربي
- » : الشيخ علي الطقطاق الحرساني . من قرية حارستا
سقيق الشيخ محمد
- » : الشيخ سليم الطيب
- » : الشيخ مصطفى الترك ، من حمص .

وتشذل في بيروت علماء آخرون وهم :

العلامة الجليل : الشيخ احمد الأغر ، الذي تولى منصب الافتاء الشرعي
في حكم الدولة العثمانية وفي احدى المرات تولى ثلاث
مناصب في آن واحد : القضاء ، والافتاء الشرعي ، ونقابة
الاشراف ، وهو منسوب الى سيدنا الحسن السبط رضي
الله عنه .

العلامة الجليل : الشيخ مصطفى نجا ، مفتي بيروت الأكبر ، تولى منصب
الافتاء الشرعي على عهد سلاطين آل عثمان ، وبقي فيه
الى ان توفاه الله في حكم الدولة الافرنسية في بيروت
فكان يدور مع الحق حيث دار ، وزمانه ليس ببعيد
عنا ومناقبه مشهورة معروفة لدى الجميع ، فقد كان مثلاً
اعلى لأهل العلم في كل ناحية من نواحي الحياة ، وكان
بجراً من سيدي الوالد رضي الله عنه باعطاء الطريقة

الشاذلية لمن يشاء ، وتسليك المرادين فيها . وله مؤلف
نفيس في علم التصوف ، وله قصائد ومدائح نبوية صوفية
تنشد في حلق الذكر .

العلامة الجليل : والمربي الكبير ، الشيخ احمد عباس الأزهري ، ابو
الأحرار ومؤسس الكلية العثمانية التي سميت فيما بعد
باسمه ، وقد رُشِّح لمنصب الافتاء الشرعي في بيروت
وكان مجازاً من سيدي الوالد باعطاء الطريقة الشاذلية
وله مدائح وموشحات رائعة مدح فيها والدي وهي في
غاية الابداع الصوفي .

العالم الفاضل : والأديب الشاعر الكبير ابو الحسن ، الشيخ قاسم
الكسبي ، وقد مدح سيدي الوالد بقصيدة مطولة .

العالم الفاضل : الأديب الشاعر الشيخ عمر نجبا ، شقيق مقفي
- بيروت - الأكبر .

العالم الفاضل : الشيخ سعيد الجندي ، وهو من احفاد الصوفي الكبير
صاحب الأناشيد المشهورة الشيخ امين الجندي .

العالم الفاضل : الشيخ محمد بليق ، كان مأذوناً من سيدي الوالد باعطاء
الطريقة الشاذلية .

العالم الفاضل : الشيخ سليم الأغر ، نجل الشيخ احمد .

العالم الفاضل : الشيخ عبد المجيد الأغر ، نجل الشيخ احمد .

* * *

وتشذل في مدينة - حلب - جماعة من علمائها وهم :

العلامة الجليل : الشيخ اسماعيل اللبابيدي ، الوالي الصالح الكبير . قرأ
عليه جماعة من الأكابر ، واجازه سيدي الوالد باعطاء
الطريقة وتربية الفقراء .

العالم الفاضل : الشيخ احمد اللبابيدي ، نجل الشيخ اسماعيل ، وقد

اجازه والدي باعطاء الطريقة ، بعد انتقبال ابيه الى
رحمة الله .

العالم الفاضل : الشيخ الحاج صديق الجابري من وجوه ، واشراف
مدينة حلب .

العالم الفاضل : والشاعر الصوفي المبدع ، الشيخ نصح الجابري ،
صاحب الاناشيد والقصائد التي تنشد في حلق
الذكر ، وكان مقدماً ، مأذوناً من سيدي الوالد
باعطاء الطريقة الشاذلية .

العالم الفاضل : الشيخ عبد الحميد الجابري ، كان مجازاً باعطاء الطريقة ،
وكان مقدماً بعد اخيه .

العالم الفاضل : الشيخ محمد البادنجكي .

العالم الفاضل : الشيخ طاهر البادنجكي .

العالم الفاضل : الشيخ محمود الملاء .

العالم الفاضل : الشيخ خالد الحبال .

العالم الفاضل : الشيخ مصطفى هلال .

العالم الفاضل : الشيخ مصطفى كنعان ، تجرد في زاوية - عكا -
على عهد سيدي الوالد .

العالم الفاضل : الشيخ عبد الله الانطكلي .

العالم الفاضل : الشيخ عبده البلاط .

* * *

وقد تشذلت جماعات من اكابر العلماء من بلاد مختلفة منهم :
العلامة الكبير ، والعالم التحرير الشيخ حسين الحسيني البغدادي ، كان
شيخ رواق اهل بغداد في جامع الازهر الكبير بمصر ، وبعد اخذه طريقتنا
الشريفة تجرد في زاوية ترشيحاً . ثم اذنه سيدي الوالد ان يذهب الى
دير الزور لينفع الناس بعلمه الظاهر والباطن في تلك البلاد . قرأ عليه
وتخرج على يديه كثير من علماء عصره وهو معروف مشهور وقد عينته

الحكومة العثمانية مفتياً في دير الزور ، وكان من اكابر اولياء الله الصالحين .
 العلامة الكبير : الشيخ محمد السلياني ، من اكابر علماء الاكراد
 الاعلام في بلادهم ، غاب في جذبة الهية بعد اخذه
 الطريق ، ثم رجع الى صحوه التام .
 العلامة الكبير : الشيخ محمود سكيك ، من اكابر علماء غزوة العريش ،
 تجرد في زاوية ترشيحا ، الى ان توفاه الله .
 العلامة الكبير : الشيخ اسماعيل احمد الخطيب ، الشهير بالطوباسي .
 من قرية طوباس في جبل نابلس ، تجرد في زاوية عكا
 وكان مقدماً فيها .

* * *

ومن فيض الله الاقدس ، انه لم يتولّ عالم من العلماء منصب الفتوى
 الشرعية في - عكا - منذ ان دخلها شيخنا رضي الله عنه ، إلى وفاة
 المفتي الاخير الشيخ عبد الله الجزّار ، إلا وكان من مريدي والدي الذين
 اخذوا عنه وساروا في طريقته ، واعترفوا بذلك الفضل وبتعشقهم لذاته
 الكريمة وهم السادة :

العلامة الجليل : الشيخ قاسم العراقي ، مفتي عكا ولوائها .
 العلامة الجليل : الشيخ علي ميري ، مفتي عكا ولوائها .
 العلامة الجليل : الشيخ عبد المجيد السعدي ، مفتي عكا ولوائها .
 العلامة الجليل : الشيخ عبد الله الجزّار ، مفتي عكا ولوائها .
 والشيخ عبد الله الجزّار هو المفتي الاخير في تلك المدينة ، إذ لم
 يتولّ بعده احد من العلماء منصب الافتاء الشرعي في - عكا - وهو
 الذي صلى على جثمان الملك فيصل آل الحسين ملك العراق في - حيفا -
 فقد توفي ذلك الملك في - أوروبا - ونقل جثائه بالطائرة الى - حيفا -
 وصلي عليه فيها ثم نقل الى العراق .

* * *

وتشذل في عكا وبعض بلاد فلسطين جماعة من العلماء وهم :
 العالم الجليل : الشيخ سعيد السعدي ، من عكا

العالم الجليل : الحاج عبد الله السعدي ، تولى منصب القضاء الشرعي وكان مجازاً من سيدي الوالد رضي الله عنه باعطاء الطريق وتسليك المريدين فيها من عكا .

العالم الجليل : الشيخ ابراهيم البقاعي ، تولى منصب القضاء الشرعي قرأ عليه مفتي عكا الشيخ علي ميوي قبل ذهابه الى الأزهر من عكا .

العالم الجليل : الشيخ محمود ابو العلا ، تولى منصب القضاء الشرعي من عكا .
العالم الجليل : الشيخ محمد اللاز . كان مجازاً من سيدي الوالد باعطاء الطريقة وتربية المريدين من عكا .

العالم الجليل : الشيخ محمود السعدي من عكا .

العالم الجليل : الشيخ علي المشلاوي من عكا .

العالم الجليل : الشيخ محمد العرابي ، مفتي عرابة وولده الشيخ امين .

العالم الجليل : الشيخ احمد الخماش من نابلس .

العالم الفاضل : الشيخ محمد سكيك من غزة العريش .

العالم الفاضل : الشيخ صالح سكيك ، الاديب الشاعر ، من غزة العريش .

العالم الفاضل : الشاعر الموهوب ، الشيخ محمد الصرطاوي ، انتقل الى

رحمة الله وهو في مقتبل العمر ، ولو مد الله في أجله

لكان له شأن في عالم الأدب الصوفي ، جبل نابلس .

* * *

اخواننا العلماء في صفد

العالم الفاضل : الحاج احمد الحاج عيسى الشريف الحسيني ، عينه والدي مقدماً على الفقراء ، فكان يعطي الطريقة الشاذلية ويربّي المريدين .

العالم الفاضل : الشريف الحسيني الشيخ سليم الحاج عيسى المفتي .

العالم الفاضل : الشريف الحسيني السيد محمد القلا .

- العالم الفاضل : الشيخ عبد الغني النحوي .
العالم الفاضل : ولده الشيخ محمد النحوي .
العالم الفاضل : الشيخ حسن النحوي .
العالم الفاضل : الشيخ موسى الحضرا ، كان مقدماً على الفقراء ، وبجآزآ
من سيدي الوالد رضي الله عنه ، باعطاء الطريق وتربية
اتباعها . وولده الشيخ سليم .
العالم الفاضل : الشريف الحسيني المغربي ، السيد محمد الدلسي .
العالم للفاضل : الشيخ عبد الغني محي الدين .
العالم الفاضل : الحاج محمد صالح صبح .

* * *

اخواننا العلماء في ترشيحا

- العالم الفاضل : الشيخ محمد الصالح قاضي ترشيحا .
العالم الفاضل : الشيخ العارف المحقق سيدي احمد عبد الرحمن .
العالم الفاضل : الشيخ عبد الرازق الصالح ابن قاضي ترشيحا .

* * *

اخواننا العلماء في صيدا

- العالم الفاضل : الشيخ محمد صالح لطفني ، عينه سيدي الوالد مقدماً على
الفقراء ، يعطي الطريقة ويربي المريدين . وولده الشيخ
عبد الحلیم .
العالم الفاضل : الشيخ محي الدين الاسكندراني ، قام في سياحة لنشر
الطريقة الشاذلية .
العالم الفاضل : الشيخ محي الدين حشيشو . تولى المقدمة بعد وفاة
الشيخ محمد صالح لطفني .
العالم الفاضل : الشيخ حامد حشيشو تجرد في زاوية عكا .
العالم الفاضل : الشيخ احمد حشيشو وقد تجرد في زاوية عكا .

العالم الفاضل : الشيخ يوسف الخطيب ، من قرية - برجا - التابعة لصيدا .
 وظهر في - صيدا - رجل كبير من اخواننا من اهل الله ، هو سيدي
 الشيخ محمد الساعاتي . وقد خُرقت له العادات ، وهو معروف مشهور بين
 اخواننا . وكان فيها العارف الكبير المجاهد في سبيل الله ، الذي تجرد في
 الزاوية ، وصحب سيدي الشيخ احمد عبد الرحمن في إحدى رحلاته لنشر
 الطريقة في دمشق وضواحيها والبقاع ، سيدي الشيخ محمد جدية الصيداوي .

* * *

ولم يتلق هؤلاء العلماء الطريقة الشاذلية عن سيدي الوالد رضي الله
 عنه جماعات ، بل أفراداً ، منهم من تشدّل على أثر وصوله إلى عكا ،
 ومنهم من أخذ عنه في مدة إقامته في ترشيحا ، او في رودس . ومنهم من
 تلقّاها عنه بعد رجوعه الى عكا واقامته الدائمة فيها .

* * *

البشرطية قومٌ عليّة لا يشهدون الا الله
 والكلُّ مجلاه

الحب منهم والعشق عنهم والشوق فيهم يرضي الله
 والقصد رؤياه

ان لاح وقتا فالكل موتى او قام فيهم ذكر الله
 فالكل أوّاه

أو لاح جودا يطوي الوجودا
 خرّوا سجودا لاسم الله

والعقل قد تاه
 هم في الجمال وفق الكمال ظل الجلال عند الله

في حضرة الله

(١) نظم الشيخ سعيد الحافظ العطار - احد مريدي سيدي الوالد .

حازوا الصفاء نالوا الهناء إذ يشهدون نور الله
 فالفرد مرآة
 هذا العليُّ الشرطيُّ من فيه يجلا بجلى الله
 والحب أبداه
 فهو الامام وهو الحتام قد جاء يهدي خلق الله
 كي يعرفوا الله
 يا ربني صلي على الاجل طه المصلي الى الله
 والحق أعطاه

* * *

طرائف رؤاير العلماء

ومن اكبر العوامل الفعالة في انقياد هؤلاء السادة إلى التشذل في ذلك
 العصر الذهبي للطريق ، أن جماعات من أكبر العلماء في هذه البلاد ، كان
 يدفعهم شدة الانكار على اهل التصوف ، لرؤية سيدي الوالد رضي الله عنه ،
 فيذهبون الى - عكا - أو - ترشيجا - ، وهناك يتغير معهم الحال فيتشذلون
 على يديه ، ثم يعودون الى بلادهم ، وهم من أشد الناس تفانياً في حبه ،
 وتعشقا لذاته الكريمة .

وقد وقعت لبعضهم حوادث طريفة جذبتهم الى طريقتنا ، منها ان
 جماعة من اكبر علماء الشريعة في - دمشق - ، كانوا من أشد الناس انكاراً
 على اهل التصوف ، وطعنأ بهم . من هؤلاء العلماء العلامة الكبير الشيخ
 سعيد الغبرا . كان هذا العالم الكبير يقرأ درساً في الفقه في - جامع
 السنانية - في دمشق ، وعلى أثر اجتماعات اخواننا في ذلك المسجد ، واقامة
 حلق الذكر فيه ، حمل ذلك الشيخ الجليل على أهل طريقتنا حملة شعواء ،
 فكان يبذل النفس والنفيس في سبيل القضاء على تلك الحركة الصوفية

المباركة ، وجاهد كثيراً ، فلم يتمكن من ذلك . وأخيراً اعتزم السفر الى
 - عكا - لمقابلة سيدي الوالد رضي الله عنه ، والبحث معه في هذا الموضوع ،
 وكان قد اختار بعض أسئلة يلقيها عليه ليجادله فيها ، منها « كيف يجوز
 للمريد ان يقبل قدمي شيخه ؟ إن هذا نوع من العبادة لا يجوز قطعاً » .
 لكنه حين ادرك - عكا - ودخل الزاوية ، ووقع نظره على والدي رضي
 الله عنه ، غاب عن كل شيء ، ولم يشعر إلا وهو مكب على قدمي سيدي
 الوالد يريد ان يقبلها ، وسيدي الوالد يرفعه بيديه ويقول له : « ان هذا
 نوع من العبادة لا يجوز قطعاً » . لقد سمع منه السؤال الذي كان يريد
 ان يلقيه عليه ، دون ان يسأله . وهكذا تغير معه الحال وتشدل على يدي
 سيدي الوالد ، وسلك في طريقنا سلوك العارفين بالله ورسوله . وغدا من
 عظماء رجالها المجاهدين في سبيل نشرها وخدمة اتباعها .

* * *

وكان الشيخ مصطفى نجا ، مفتي بيروت الاكبر ، وهو علم من أعلام
 هذه البلاد في العلم والنزاهة والاستقامة ، يشتغل بالتجارة قبل ان يتولى
 منصب الفتوى الشرعي في بيروت ، وذات مرة ذهب قاصداً مدينة « يافا »
 لأعمال تجارية له فيها ، فلما وصل الى « حيفا » قال له احد التجار : (ألا
 تريد ان تزور الشيخ البشري في عكا ؟) فكان جوابه : (لا اريد) .
 ولما رجع الى بيروت ، رأى في تلك الليلة انه دخل على سيدي الوالد في
 مكان ما ، فوقف والدي رضي الله عنه ومد اليه يديه وهو يقول له :
 (أنا ما عندي غير لا إله الا الله ، محمد رسول الله) . وأصبح الشيخ
 مصطفى نجا فاذا هو معتمز الرجوع الى عكا لزيارة سيدي الوالد ، وما عثم
 ان رحل اليها ، وهناك في زاويتنا ، علم ان والدي رضي الله عنه في ترشيحا
 فقصدها الشيخ مصطفى رحمه الله لتوه رغم مشقة السفر على ظهور الجياد ،
 وحين دخل الزاوية وجد سيدي الوالد جالساً في حلقة المذاكرة ، وإذا
 بالدي يقف ويتقدم نحوه ويمد اليه يديه ويقول له : (أنا ما عندي غير

لا إله الا الله ، محمد رسول الله) ، وعندها تقدم الشيخ مصطفى وألقى
بنفسه على صدر والدي ، فتلقاه والدي بين يديه وضه اليه وقال له :
(انت ولدي وقرّة عيني) .

حدثني الشيخ مصطفى نجا فقال : « لقد رأيت صورة والدك كما رأيت
في الرؤيا » . وبعد ان تلقى الطريقة ، أجازته والدي باعطاء الطريق ، وان
يتولى امور الفقراء ، ويسير بهم في مقامات الشهود والعرفان ، فكان ركناً
من اركان طريقتنا الشريفة .

* * *

حدثني مفتي عكا الشيخ عبد الله الجزار قال : ومن كراماته رضي
الله عنه ، ما حدثني به صديقي العالم الفاضل الشيخ احمد الخماش (من
نابلس) قال : كنت اقرأ درساً من التفسير في نابلس ، وفي كل يوم
كان يحضر الدرس رجل حائك ، فبعد الدرس يقول لي : هل لهذه الآية
تفسير غير ما ذكرت ؟ فأقول : لا ، فيقول : بلي لها تفسير غيره وهو كذا
وكذا ويفسرها تفسيراً مقبولاً لا اعلم من اين اتى به ، فلما تكرر ذلك
منه قلت له من علمك هذا ؟ قال : علمنيه شيعي الشيخ علي نور الدين
الشرطي الحسيني الشاذلي ، وانت إن سئلت ان تتعلم فخذ الطريقة الشاذلية
عنه يحصل لك ذلك ، فلم اعبأ بكلامه . ثم في الليلة التي تلي ذلك النهار
رأيت في نومي كأن ذلك الحائك دخل علي البيت الذي انا فيه ومعه
شيخ آخر لا اعرفه ، وبمجرد دخولهما من الباب سطع نور في الحجره حتى
ملأها ، واقبل اليّ وأنا نائم ، فقال الشيخ للحائك : امسكه ، فمسك احدهما بيدي
والآخر برجلي ورفعاني عن الأرض ، وصارا يخضاني كالقربة في ايديهما ، ولم
يزالا كذلك حتى احسست نفسي كالعجين في ايديهما ، ثم وضعاني ورفعاني
مرة اخرى ففعلا كذلك حتى احسست بنفسي كالابن الجامد في ايديهما ، ثم
وضعاني ثلثة فأحسست بنفسي كالماء المتعوج في ايديهما ، فقال الشيخ :
كفاه ، ووضعاني وذهب ، وفي اليوم الثاني حينما قرأت الدرس على

عادتي جاءني ذلك الحائك وقال : مبارك ، قلت : اي شيء ؟ قال : سبحان الله
اما حضرت هذه الليلة مع شيخنا الشرطي اليك ثم قص علي قصة المنام ،
وقال لي الشيخ احمد الحماش المذكور : فاعتقدت بالشيخ وتوجهت اليه
الى عكا واخذت الطريقة عنه وانتفعت به نفعاً عظيماً ، ورأيت صورته في
اليقظة كصورته في المنام من غير فرق . .

* * *

وكان الشيخ محمود ابو الشامات ، طفلاً صغيراً يجبو في بيت أبيه في
دمشق ، وذات يوم تركته والدته مع جدته لأبيه وذهبت لزيارة اهله
وصعدت الجدة الى سطح البيت لعمل ما ، فأخذته معها وشغلت عنه بعملها
فسقط من سطح الدور الثاني الى الدار دون ان يصرخ ، وتفقده الجدة
فلم تجده فأسرعت تهبط الدرج الى صحن البيت فوجدته مستلقياً على قفاه
يضحك ، فحمدت الله على سلامته وأخفت الحادثة عن أبيه وعن الجميع .
وحين بلغ مبلغ الشباب كان من طلبة العلم الشريف في دمشق ، وكان
بده عهد انتشار الطريقة فيها ، فتشرف بأخذها ثم اعترم زيارة سيدي الوالد
رضي الله عنه في ترشيحاً ، ولم يفتح والده بذلك لعله انه سوف لا يسمح
له بالسفر ، ولم يكن معه نقود لنفقات السفر واجرة الدابة فخرج من
دمشق يمشي على قدميه ، وما كاد يبتعد عنها قليلاً حتى قابله رجل يمتطي
فرساً ، فسأله عن وجهته فأخبره الشيخ محمود عن حقيقة حاله ، وعندها نزل
الرجل عن الدابة ورجاه ان يمتطيها ففعل الى ان اوصله الى القرية التي
سببت فيها فتركه . وفي صباح اليوم الثاني قابله في الطريق وأركبه
الفرس الى القرية الثانية ، وبعد ذلك تابع الشيخ محمود سفره على الاقدام
الى ان وصل الى ترشيحاً ، فلما دخل الزاوية وقبّل يد شيخنا رضي الله
عنه قال له سيدي الوالد : (انت ولدنا وحسوب علينا منذ طفولتك ،
وعندما سقطت من سطح الدور الثاني في بيت أبيك ، تلقيتك بيدي ولم
أدعك تصل الى الأرض ، وبعد عودتك الى دمشق سل جدتك عن الحادثة

تخبرك). وحين رجع الشيخ محمود الى بيت ابيه، قابله والده في حالة غضب شديد، فتلطف الشيخ محمود بمجديته لأبيه، فجعل والده يسأله عن الشيخ وعن ما سمعه عنه، فذكر له ما قاله سيدي الوالد رضي الله عنه عن حادثة سقوطه عن سطح البيت؛ فنادى والده امه وسألها فقالت: (نعم، لقد سقط الغلام وأخفيت عنك الامر). وعندها التقت الى ولده الشيخ محمود وقال له: (لن أمنعك عن زيارة شيخك. هكذا الشيوخ والافلا).

وبهذه المناسبة نظم الشيخ محمود ابو الشامات هذه الابيات فقال:

يا ختام الوقت يا سرّ النبي يا عليّ القدر يا نعم الولي
 يطلب الاحسان عبدٌ منكم من كمين السرّ بالسرّ الحفي
 يسرّوا فاليسر من عاداتكم عاملوا المسكين بالحسن الوفي
 يغتذي من ثديكم من جاءكم لا خفاكم سادتي حال الصبي
 يمتكّم قد عمّ انواع الوري من مكين في بطون او جلي
 (ياخذون) الكل منكم حقهم شاهدوا أو ساروا في قلب عمي
 يجهل الجسم جسم الاخذ عن ذاتكم والروح تدري من علي
 يسأل الخلق، ومن تعني بذا؟ قلت: روعي، بل وأمي وأبي
 بشرطي مغربي حسني حسيني تونسي شاذلي
 يرتجي محمود فوزاً بالرضا وجميع الحزب في بحر ملي

* * *

وكانت مدينة دمشق من اهم مراكز السادة الشاذلية البشرطية في هذه البلاد، بعد ان ذهب اليها العارف بالله ورسوله سيدي الشيخ احمد عبد الرحمن، مقدم ترشيحا الذي فتح الله عليه بالعلم اللدني، وكان واسطة دخول معظم اخواننا في دمشق وضواحيها والبقاع في طريقتنا الشريفة. هذا العارف المحقق الواصل الى حضرة القرب من عظماء رجال طريقتنا المجاهدين في سبيل الهداية والمعرفة ونشر الطريقة الشاذلية والعاملين على

رفع مستوى ثقافة ابنائها واتباعها .

لقد ذهب الى دمشق لبث الدعوة الى التصوف تحت لواء الطريقة الشاذلية ، فكان اول من ذهب يدعو الناس الى طريق الله من الشيوخ المقدمين بعد وصول سيدي الوالد رضي الله عنه الى هذه البلاد ، وقد جعل إقامته في دمشق ، وكان يرافقه في إحدى رحلاته سيدي الشيخ محمد جدية الصيداوي .

ثم تبعه فيما بعد ، اشياخ آخرون فذهب سيدي الشيخ مصطفى الخليلي الى حلب وضواحيها ، وقام سيدي الشيخ محي الدين الاسكندراني الصيداوي ، بسياحة طويلة ، فكان يطوف في المدن والقرى لنشر مبادئ الطريق .

وقد ازداد إقبال الخلق على التشرف بأخذ طريقتنا والانتساب اليها ، فكانت دمشق مركزاً لاجتماع اخواننا ، وكان فيها رجال واي رجال ، من ابناء طريقتنا من اهلها ، ومن قرى الغوطة والبقاع الذي كان يومئذ في حكم الدولة العثمانية تابعاً لولاية الشام ، فكان يجتمع فيها حشد كبير منهم ، ومن اهل حلب وحمص وحماء ودير الزور ، وضواحي حلب وجبالها ، من اخواننا الذين يرون عليها اثناء زيارتهم ترشيحاً وعكاً .

كانوا في بادىء الامر يجتمعون في الجامع الاموي ، يقيمون حلقة الذكر بعد صلاة الجمعة وفي جامع ستان باشا كانوا يقيمون حلقة الذكر ليلة الجمعة ، فلما كثر المریدون أنشئت زاوية - البلطجية - وتولى فيها المقدمة سيدي الشيخ محمود ابو الشامات بإجازة من والدي رضي الله عنه ، فأصبح اجتماعهم فيها في ليلة الجمعة من كل اسبوع ، ولما كانت الموصلات ليلاً متعذرة بومذاك في - دمشق - ، لبعد المسافات بين بيوتها ، كان لاخواننا فيها ثلاث مراكز ، ويطلق عليهم ثلاثة اسماء : اهل المدينة ، وأهل الميدان ، وأهل الصاحية ، ولكنهم كانوا جميعاً يحضرون الاجتماع الكبير في ليلة الجمعة في زاوية - البلطجية - .

وكانت القوافل التي تسير بين - دمشق - و - عكا - و - ترشيحا -
و - صفد - ، تنقل المريدين بطريق البر لزيارة شيخنا رضي الله عنه ،
في - ترشيحا - او - عكا - بطريق - صفد - التي كان معظم علماء
الشريعة فيها قد تشذلق لقرها من - ترشيحا - فكانوا بذلك من السابقين
الاولين في الطريق ، وبمرور القوافل السيارة عليها كان اخواننا يجتمعون
فيها ، فيأمنون ويتذاكرون ، ويذكرون الله . المريدون يتذاكرون
بالعلم ، والمتوسطون بالآداب والعارفون بالهمم ، وكان لا بد ان تمر
القافلة على بعض القرى للراحة او للمبيت فيها ، وهناك كان ينزل
الفقراء يصلون ، ويرتلون آي الذكر الحكيم ، ويتلون الاوراد ، ويقومون
حلق الذكر ، وينشدون اناشيدهم الصوفية بنغمات ندية ساحرة تترك في
نفوس اهل تلك القرى اثراً طيباً ، وميلاً الى التشذلق ، لما يرونه في
اخواننا من تقوى وصلاح وصيام وقيام وهيام ، وذكر وفكر وانسانية
عامة ، وديمقراطية اسلامية ضمن حدود آداب الشرع الشريف ، واخوة ،
بالله وقلوب صافية صافية تجتمع على محبة الله ورسوله .

ويوم ان عبثت الطريق بين بيروت ودمشق ومار فيها (الذي
جانس) وهي عبارة عن عربة كبيرة كانت تجرها عدة جياد - تحول
بعض اخواننا من اهل دمشق وحمص وحماء وحلب وجبالحا ، ودير الزور
عن السفر بطريق صفد ، فكانوا يأتون الى بيروت ومنها الى صيدا ، او
يعبرون البحر في البواخر الصغيرة التي كانت تسير بين طرابلس وبيروت
وصيدا وعكا وحيفا وبافا ، مرتين كل اسبوع ، وهكذا كان يجتمع شمل
اخواننا الذين انعم الله عليهم ، والفت الطريقة الشريفة بين قلوبهم ، قال
الله تعالى في كتابه العزيز « لو أنفقنا ما في الارض جميعاً ، ما التفت
بين قلوبهم ، ولكن الله التفت بينهم » بالود الصادق فعدوا وكانهم
نفس واحدة وقلب واحد وروح واحدة ، بصدق توجههم الى الله تعالى ،
وكذلك كان حال جميع اخواننا في سائر المدن والقرى التي تشذلق

لطيفة

في أثناء تجريد سيدي الوالد في زاوية شيخه في « مصراطة » في بلاد الغرب ، كان الشيخ محمد الفاسي متجرداً هناك ، فكان أخاً لوالدي في الطريق ، وذات يوم دخل عليها شيخ والدي وقال لهما : (ستجتمعان يوماً في الشرق في بيت الرجل الصالح) . ومرت الاعوام ، وقام كل واحد منهما في سياحة ، ثم تقابلا على غير موعد في منزل السيد محمود ابي راضي ساكر في بيروت الذي تشذل على يد سيدي الوالد . وكان هو الرجل الصالح .

* * *

ومن نعم الله على قرية « حارستا » التابعة لدمشق ، ان ظهر فيها رجل من اخواننا من أولياء الله تعالى ، يدعى الشيخ محمد الطقطاق ، كان هذا الشاب العابد الزاهد العارف الواصل في ابتداء أمره من طلبة العلم الشريف في دمشق ، ثم تشذل وجاءه الفتح المبين بعد ان سار في طريقنا سير المجيد ، وقد اهتدى بهديه خلق كثير من اهل تلك القرية وغيرها ، وخرقت له العادات في حياته وبعد وفاته . وقد انتقل الى رحمة الله تعالى في حياة شيخنا رضي الله عنه ، وأثنى عليه شيخنا الثناء الجميل حيث قال لوالده ولشقيقه الشيخ علي : (ظهر فرع منا وانطوى فينا) . وللشيخ محمد المذكور مؤلف نفيس في تفسير سورة « يوسف » عليه السلام ، وله كلام عال في علوم القوم ، وكان واسطة دخول الشيخ سعيد الاسطواني في الطريق . فقد كانت للشيخ سعيد أراضٍ زراعية وأشجار زيتون في حارستا فكان يذهب اليها ، وهناك اجتمع بالشيخ محمد فأعجب به وانجذب اليه والى طريقنا الشريفة ، فكان ذلك العلامة الكبير من ابنائنا البررة المخلصين .

شاعر الطريق

وظهر في دمشق شاعر صوفي كبير من ابناء طريقتنا المنتسبين لسيدي
الوالد رضي الله عنه ، وهو الشيخ عبد القادر الحمصي الدمشقي المعروف
والمشهور بين إخواننا باسم الشيخ عبده الحمصي .

كان هذا الرجل مقرئاً ضريباً من حفظة القرآن الكريم ، يجيد علوم
التجويد ويتقن علوم النغمات والالخان ، لكنه لم ينظم الشعر قبل تصوفه
وانتسابه لطريقتنا قط ، فلما تشرف بأخذها ، جاءه الالهام بمدد روحي
فنظم الشعر الصوفي (اناشيد وقصائد وموشحات وقدود) . منها
موشحات على وزن الموشحات الاندلسية ، وقد وضع لانشيده وموشحاته
أحياناً توافق المعنى كألخان الموشحات القديمة والاغاني الحديثة في ذلك
العصر ، منها ما يُنشد في حلق الذكر ، ومنها ما يناسب مجالس أنس
القوم بالله ، ومنها ما ينشد بعد الانتهاء من حلق الذكر وهم جلوس شبه
دائرة ، وتسمى هذه تجريدة . وقد مدح سيدي الوالد بمنظوماته الصوفية
الرائعة وردد إخواننا هذه الاناشيد في كل مكان ، فكانت من العوامل
الجذابة الداعية الى التصوف . وقد ألفت قصة المولد النبوي الشريف
واناشيدها ، فجاءت آية في المعاني الصوفية والابداع الروحي والرقى
الالهي واصطلاحات القوم . فهو شاعر الطريق ، في ذلك العصر الذهبي
وقد وضعت في كتابي طائفة من اناشيده .

ابيات من نأيمه

نعم ، أثبتت ليلي عهددي ببيعتي وقد ارجعتني بعد صحوي لسكري
ولما رأني لا أميل الى السوى دنت من فؤادي واستمرت بمهجتي
للبي بها فجرٌ ، وفجري بها ضحىً ويومي بها دهرٌ ودهري كالحظة
ومن فوق ذي علم يدق عن الورى على أنها أني ، وليست بصورتي
تجلت على الأكوان حتى كأنها من الكون شمس للعيون الصحيحة

ظفرت بها بين الحطيم وزمزم
فمقولة عند الأنام وان بدت
أموت فتجلى ، ثم احيا فتختفي
فيا طالب العرفان مني بياغها
فمشهودة في كل عين بصورة
رجال ، أعارتهم عيوناً رأوا بها
ففي سورة الاسراء ، ثم إشارة
فلا النصح يدنيني إذا هي ابعدت
نعم ، اسفرت حقاً عن السر والحفا
فلا يحسب المغرور أني معلق
مقدسة الأوصاف عن وهم ريبه
هي الجسم ، والاعضاء والدم والحشا
هي الملك ، والملكوت والصورة التي
وتلك لها شأن بديع وحضرة
كعنوان نشوان ، لذات تنزهت
بدت ، فاستضاء الكون نوراً وكان في
سريت بها ليلاً من المسجد الحرا
ركبت براق الحب من آل بشرط
فشاهدت في معراج ذاتي عجائباً
وحسي سماء الفرد يا حبذا الهى

* * *

وبعد ان تحدث عن العرش والكرسي والحجُب ، قال في معارج
الصلوات الخمس :

وعند اهتمامي بالرجوع معارجاً
ففي الصبح معراج الى الحضرة التي
بها ارتقي في كل يوم وليلة
بها نارت الاكوان من بعد ظلمة

ومنها رشاد العالمين ان اهدت
وفي الظُّهر معراج الى الرتبة التي
هي النفس روح والظلام لها ضياءً
وتيه ابن عمران الكليم بسُوحها
وفي العصر معراج الى المستوى الذي
وفي كهفه للعالمين منازل
وفي المغرب القدوس معراج مقدسي
ملوك اولو الالباب تدعى عبيدها
فله در النازلين بجيِّها
فجازوا كالات الوجود بأسرها
ومعراج روحي في العشاء لحضرة
هي الروح للأرواح والسر والحفا
دعاني غرامي أن أموت بها كما
تريد فنائي بل أريد بقاءها

* * *

من اناشيده

من قبل تعييني ، حققت تمكيني
يا كوكباً في الملا ، يزهو على الناس
محيالك محييني ، يا محي الدين
روحي فدا ذا الجمال ، المفرد الباهر
سرُّ البراهين ، كهف المساكين
بالله يا ذا العلى ، المرشد الكامل
بالياء والسين ، عجل بتحسيني
سلمي سحير آسقتني ، كأسها المفرد
فالجمع يقنيني ، والفرق يبقيني

والغير عني احتجب ، من مبدأ الدين
أسكرت اهل الهوى ، من نفحة الكاس
عبدك اليك انتسب ، كملته بالحين
من فيه طرفي غدا ، دون الورى ساهر
مفتاح اهل الرتب ، ديني وتدويني
عطقاً على ذا الفقير ، العاجز السائل
جسمي ضناه النصب ، يانون تكويني
أصبحت غير الذي ، أهواه لم أشهد
والغير عني ذهب ، للمعدن الطين

شمس الكمال بدت ، من جانب الغرب عليها روعي اهتدت ، من عالم الغيب
بيضاء تدنيني ، بمن يرقيني قم يا خليع الطرب ، واسمع تلاحيني

وقال في هذا المعنى في نشيد آخر :

سامي البيان سقتني كأسها الباقي عند التداني وقد منّت بأطلاقي
يا ذا المعاني شربت الكأس والساقى ابن المداني من الأغيار مجميني
أصل ابتدائي بدا من مشهد الحب وباجتلائي تعاهدنا على القرب
يا ابن الصفاء فقدم لي من الشرب خمر الفناء وخل الماء للطين
صلاة ربي مع التسليم للحشر على المرابي ياسين عمدي فخري
من فيه قلبي صباً للعرف والدين

وله أيضاً :

يا نبي الحسن آمتا بما أعربت عيناك عند النعس
صل بحال أيد الحد كما أيد الروح بروح القدس

★

يا خليل الروح يا موسى الفؤاد يا سليمان المزايا والنعم
انت الياس حياتي والمراد انت لقمان شفائي والحكم
يوسف الحسن الى كم ذا البعاد صار يعقوب اصطباري في عدم
ما كفى ايوب جسيمي سقما يا مسيح الوقت جد بالهس
عل ان يحيى وجودي بعدما خضر الشعر غدا في يبس

★

يا رشيق القدر يا غصن النقا يا قضيباً زانه لين القوام
سيف عينيك فؤادي مزقا كف سيف اللحظ يا بدر التام
يجبين فجره منذ أشرقاً بان فرق الصبح من ليل الظلام
زُر مكاني يا حبيبي مثلما زرت قلبي بنبال النعس
أو فعلني برشف من لى تغرك النادي الشهي اللعس

★

من لصب فاده صرف القضا بحبال الذل للظبي الأغر

اسعُر القلب بنيران الغضا بل بنار الوجد أدهى وأمرّ
دهر عمري في هواه قد مضى وأنا في حكمه ابن المفر
حبه كان قضاءً مبرماً في ثبوتي قبل بدء الانفس
تتغذى الروح منه كلما لاح يزهو بالجمال الاقدس

* * *

ونظم الشعر في مدينة - حلب - عدا الشيخ نصوحى الجابري شاعر
آخر شاب مهذب مثقف ، يدعى السيد حسن الحكيم ، كان يشغل
وظيفة رفيعة بمعية والى العثماني في - حلب - . فبعد ان تشدّل جذبته
الطريق الى حضرة القرب ، فغاب عن صحوه وسكر في حضرة الله .
وفي تلك الغيبة ترك وظيفته ، لكنه رجع الى صحوه التام . فطريقتنا
طريقة صحو ، وهي طريقة سيدي الشيخ الجنيد رضي الله عنه ، فاذا
غاب الفقير في سيره لا بد ان يعود الى مقام الصحو ، اي الى
مقام الفرق الثاني .

لقد نظم هذا الشاعر مجموعة من الاناشيد والموشحات ، وبعض قصائد
وقدود صوفية ، في مدح والدي ، وتحدث عن سلوكه في المقامات
والأحوال . وقد نظم الكثيرون من اخواننا الشعر الصوفي مدحاً
بسيدي الوالد رضي الله عنه ، فتحدثوا بشعارهم عن تعشقهم لذاته
الكريمة ، وعن سيرهم في طريق الله بمقامات الشهود والعرفان ، وعن
معارج الوصول الى الله عز وجل . على ان الكثيرين منهم لم يهتموا
بعلوم اللغة والأوزان وفنون الشعر ، فجاءت تلك الأشعار آية في الابداع
الروحي بالمعاني الصوفية واصطلاحات القوم ، اكثر من الاجادة بالعلوم
والصناعة الشعرية . فهذه الاشعار نفحات إلهية ، وموارد ربانية ، ترد
على قلب الفقير السالك والواصل . وقد نجد هذا الابداع الروحي في
شعر اخواننا السذج الأميين ، وهؤلاء ليسوا بمتعلمين ؛ ولكن الله يرزق
من يشاء بغير حساب .

ليلُ الظلامِ النجلى من بعد ما جَنَّ ١
شربُ المدامِ حلا من إِبنةِ الدنِّ

★

أنا الهوى مذهبي أخذته عن أبي
والهتك من مشربي والعشق لي فن

★

يا سالباً مهجتي يا سافكاً دمعتي
مهلاً أيا منيتي فالرفق احسن

★

لما حبيبي سرى ليلاً لثلاً يرى
طلبت ان انظرا فقال لي لن

★

لو ان ماء اللّمي أذاق ما ألتها
وكلما كلتها أحلى من المنِّ

★

ما ضرلوفي الكرى لوصله أنكرا
يا هل ترى أنكرا أم سلوقي ظن

★

صلّ لهي على إكليل تاج العلى
والصحب مع من نلا ما بلبل حنّ

* * *

من أناشيده وهو في حالة الجذب الالهي

سر إلى سامي المراتب ذي العطايا والمواهب
صاحب الارشاد بدر ٢ تهتدي منه الكواكب

(١) من أناشيد حسن الحكيم الحلبي بعد رجوعه الى الصحو التام .

(٢) صاحب الارشاد ، هو القطب الثوث ، اي سيدي الوالد رضي الله عنه .

سرّه في الكون يسري نوره للعين مجلي
بحره فيض التجلي فيه انواع العجائب

لذّ لي في الحب موتي إذ حياتي منه تأتي *
طاب في المحبوب وقتي 'مذ نضت عني الحواجب

خبروني أين نفسي أين عقلي أين حسبي
غبت عن يومي وأمسي لست ادري من اخاطب

وصلاة الله منّا على من قد جاء منّا
وعلى آل تبعنا وكذا من كان صاحب

* * *

وبعد ، فأبناء الطريقة الشاذلية ، وأتباعها كثيرون . وقد دخل فيها خلق كثير ، ذلك لأنها تجمع بين الطبقات والهيئات ، على ان ابناء الطريقة حقاً هم العارفون بالله ورسوله ، السالكون والواصلون والمحبون والمحبوبون من الله ، ولذلك نجد ان هؤلاء هم الاقلية بين عشرات بل مئات الالوف من المريدين في كل زمان ومكان ، لأنهم خواص الخواص . هذا وقد كان لكل واحد من ابناء طريقنا صدق توجهه الى الله تعالى فيما أقامه الحق فيه . هذا أعطي لسان صدق ينفع الناس به ، وذلك أنعم عليه الله فكان واسطة دخول غيره في الطريق ، وآخر بذل أمواله في سبيل الله ، وثالث تولى تعليم الفقراء أمور دينهم وسار بهم في طريق الكمال . ومنهم من فتح بيته كزاوية لآخواننا ، فكان بمن سبقت لهم من الله الحسنى . وهكذا فأبناء الطريقة ليسوا سواء في سيرهم ، فلكل واحد منهم مقام . والله في خلقه رجال^١

وهكذا نجد ان اخواننا السابقين المنتسبين لسيدى الوالد رضي الله عنه

(١) قسم السادة الصوفية الناس على ثلاث : عوام ، وخواص ، وخواص الخواص .

من غير العلماء ، كل واحد منهم كان جندياً من جنود الله في خدمة الطريق وأهله ، قام بواجبه على الوجه الأكمل ، وشأنهم لا يقل عن شأن اخواننا العلماء ، في الفقر والبذل والتضحية في سبيل الله ، والتفاني في حب الله ورسوله .

* * *

الخاتمة *

وبعد فقد سئل مولانا الشيخ ابو الحسن الشاذلي قدس الله سره ، فقيل له : (لم لا تضع كتاباً في الدلالة على الله وعلوم القوم فقال : كتبي اصحابي) وقال سيدنا الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندراني رضي الله عنه : (سمعت شيخنا ابا العباس رضي الله عنه يقول : جميع ما في كتب التصوف عبرات من سواحل بحر التحقيق) ا هـ . ولذلك اخذتني الحشية من الله ، والرغبة عند بدء تصنيف هذا الكتاب ، وقلت لنفسي ، أنسى لي ان احيط علماً بتلك المراتب الالهية الذاتية المستمدة من الحقيقة المحمدية ، ومن انا ؟ لست إلا عبدة لله ، مفتقرة الى تراب اقدام سادتي اهل الله رضي الله عنهم ، فكيف اتطفل على اعتابهم بالكتابة عنهم !! على ان قبساً من انوار تلك المظاهر ، اضاء حياتي وكان يجذبني

«١» مولانا الشيخ ابو الحسن الشاذلي لم يؤلف كتاباً ، لكنه ترك لنا ثروة كبيرة منشورة في كتب التصوف ، حكم ووصايا ، واحزاب وادعية ، تؤلف في مجموعها كتباً عديدة رواها عنه مریدوه العلماء .

* كان العلامة الاستاذ احمد سامح الخالدي رحمه الله ، عميد الكلية العربية في القدس ، واحد اكبر علماء فلسطين وادابها وزعمائها كان قد علم (قبل انتقاله الى رحمة الله تعالى) اني اصنف كتاباً عن سيدي الوالد ، والطريقة الشاذلية ، فتكرم وارسل لي ترجمة ثلاثة وعشرين شيخاً من اهل العلم الشاذليين ، الذين ساهموا بتأليفهم في كتب التصوف والتفسير والحديث والفقه واللغة والنحو والشعر ، وكان لبعضهم دواوين شعرية . لقد نقل ذلك الأديب الكبير تلك التراجم عن كتب الطبقات ، ثم قدمها

الى الكتابة ، اينما كنت وحيثما حللت ، هنالك استخرت الله سبحانه وطلبت منه المعونة وسألته ان يهديني الى الطريق المستبين ، وها قد تم بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي ، وضع هذا الكتاب ، وغدا لسان حالي كما قال الشيخ ابن الملق رضي الله عنه :

لي سادة من عزيم اقدمهم فوق الجباه

إن لم اكن منهم فلي في حبههم عزّ وجاه

وبالهام من الله وتوفيقه ، لم اجمع بين كلام السادة الصوفية وغيرهم ، ووجدتني اضع كل ما استشهدت به ونقلته عن كتب الادباء والمؤرخين والمستشرقين على الهامش ، والله اسأل وبنبيّه ﷺ اتوسل ان يتقبل ذلي

إلي متبرعاً دون ان اطلب منه ذلك ، فقد كان مقطوراً على حب نشر العلم ومساعدة الغير .

ولما كان موضوع كتابي لا يتسع المجال فيه لتذكر هذه التراجم ، وان ما ذكرته عن اقطاب السلسلة الشريفة واشياخ الطريق كان فيه الكفاية ، على اني اعترافاً بفضل ذلك العالم الكريم اذكر ترجمة ثلاثة من اولئك العلماء .

(١) الشيخ ابو بكر بن عبد الله الشاذلي الصالح المعروف باليدروس ، مبتكر القهوة المتخذة من البن المجلوب من اليمن ، وكان اصل اتخاذها ، انه مر اثناء سياحته بشجر البن ، فاقنات من ثمره حين رآه متروكاً مع كثرته ، فوجد فيه تحفيماً للدماع ، واجتلاباً للسهر ، وتنشيطاً للعبادة ، فانخذله قوتاً وطعاماً وشراباً ، وارشد اتباعه الى ذلك ثم انتشرت القهوة في اليمن ثم في بلاد الحجاز ثم في مصر والشام ثم في سائر البلاد ، واختاف العلماء في اوائل القرن العاشر في جواز استعمالها ثم عادوا فأجازوها ، قال النجم الفزي ، واما مبتكرها (اي القهوة) صاحب الترجمة ، فانه في حد ذاته من سادات الاولياء وأئمة المارفين ، وقد الف كتاباً في علوم القوم سماه الجزء اللطيف في علم التحكيم الشريف ، ذكر فيه انه اخذ الطريقة ، عن الصوفي المارف بالله ، جمال الدين الدهماني ، المغربي الطرابلسي المالكي ، ثم ذكر سنده في الطريق الى شيخنا ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه « شذرات الذهب ج ٧ - ٣٩ » .

« ترجم له ، النجم الفزي في الكوكب ج - ١١٣ »

(١) السيد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن احمد قاسم بن علوي بن عبد الله بن علي بن عبد الله باعلوي ، امام اهل زمانه في الزهد ، ولد في مدينة قسم ونشأ بها وحفظ القرآن ، ورحل الى تريم لطلب العلم وأخذ عن عبد الرحمن العيدروس والسيد حسين الحبشي ، وحذا حذوه في العزلة وقرأة كتب التصوف ، لا سيما الكتب الشاذلية والكتب الغزالية . ثم رحل الى مكة والمدينة وتوطنها اخذ عنه الجمال الشبلي ، وبلغ من فضله ، ان طاح بعض قناديل الحجررة الشريفة على القبر الشريف

وانكساري فهو خير مأمول واكبر مسئول ، وقد كان الفراغ منه في ٢٧
من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٧٣ هـجرة نبينا محمد صلوات الله وسلامه
عليه وعلى آله واصحابه اجمعين آمين .



(قبر النبي صلى الله عليه وسلم) فاستشاروا السلطان محمد بن ابراهيم ، فأمر ان يتعاطى ذلك افضل
اهل المدينة ، فأجمعوا على صاحب الترجمة ، فرفعه على لوح ، وأنزلوه على القبر الشريف فرفح
القنديل ، فوضع في خزانة السلطان توفي سنة ١٠٨٥ .

(المحيي ، خلاصة الأثر ج ٣ - ٦٨)

(٣) الشيخ علوان ، علي بن عطية بن الحسن بن محمد ابن الحداد الهبي الحموي الشافعي الصوفي
الشاذلي الامام العلامة الفهامة شيخ الفقهاء والاصوليين ، ومن سادات الاولياء العارفين ، سمع على
شيوخه ، وأخذ طريق التصوف عن سيدي علي بن ميمون المغربي .

ومن تأليفه ، المنظومة المبية ، المسماة بالجواهر المحبوك في علم السلوك ، وكتاب مصباح الهداية
ومفتاح الدراية في الفقه ، وكتاب النصائح المهمة للولك والأئمة ، وكتاب بيان المعاني في شرح عقيدة
الشيبياني ، وكتاب عقدة مختصرة ، ثم شرحها وسماها فتح اللطيف بأسرار التصريف ، على نهج رسالة
شيخه التي في اشارات الاجرومية ، وشرح تائبة ابن الفارض ، وتائبة ابن حبيب ، وهو أشهر كتبه ،
وكتاب مجالي الحزن في مناقب شيخه السيد الشريف ابني الحسن رضي الله عنه ، والنفحات القدسية في
شرح الأبيات الششترية ، وهي التي نقلها سيدي احمد زروق في شرح الحكم العطائية ، توفي في حماء
سنة ٩٣٦ هـ . « شذرات الذهب - ٢١٤ »

فهرست الكتاب

صفحة		صفحة	
٣٤	دقة المعاني في كلام المتصوفة	٣	اهداء الكتاب
٣٥	السجود لله تعالى طوعاً او كرهاً	٧	مقدمة الكتاب
٣٦	فصول الاعتقاد	٩	ائمة التصوف ائمة في علوم الشرع الشريف
٣٨	الطريق والمراد من الطريق	٩	التصوف من ابواب الفقه
٣٩	تنوع طرق التصوف	١٠	نبذة عن بعض ائمة السادة الصوفية
	انواع الطريق في نظر ابن عباد الشاذلي	١١	جلوس كبار علماء الشرع بين ايديهم يتلقون عنهم
٣٩	وانواع السالكين فيه	١٤	الاولياء علماء مجتهدون
٤٠	الفريق الاول من السالكين	١٤	نسبة التصوف من الدين
٤٢	الفريق الثاني من السالكين	١٤	معنى الاحسان وشروط الدخول في مقامه
٤٢	انواع العلوم التي يحتاج اليها السالك	١٥	تسمية المتصوفة بالفقراء
٤٢	علم التوحيد	١٦	اشتقاق اصل كلمة التصوف
٤٣	علم الفقه		التصوف في رأي سيدي الشيخ ابن عطاء الله
٤٣	علم الحديث	١٧	الاسكندري
٤٣	علم الاحوال والتنزلات		التصوف في رأي سيدي الشيخ محي الدين
٤٤	الطريقة الشاذلية من امهات الطرق الصوفية	١٧	ابن عربي
	كامة الاجماع على استحسان طريقة مولانا	١٨	الفرق بين التصوف والفقر
٤٥	الامام ابي الحسن الشاذلي	١٩	الصحابة رضوان الله عليهم صوفيون طبعاً
٤٥	خصائص الطريقة الشاذلية	١٩	الحاجة الى الدعوة للتصوف بعد عهد التابعين
٤٦	فضل سيدي ابي الحسن الشاذلي	٢٠	ضرورة اخذ علم التصوف عن مشائخه
٤٧	نبذة عن مولده ومنشئه رضي الله عنه	٢٣	فاتحة الكتاب
	الانسان الكامل مولانا علي نور الدين البشيرطي	٢٥	ماهية التصوف
٥١	الحسيني الحسيني الشاذلي قدس الله سره	٢٦	ما يدور عليه علم الباطن
	قصيدة بان الحفاء (نهج البردة) للسيد نصوص	٢٧	مرجع المعارف الالهية صدق التوجه الى الله
٥٣	الجابري	٢٧	شرط قاعدة صدق التوجه
٥٥	مولد سيدنا المرشد الكامل علي نور الدين ومحتده	٢٨	اقسام الاعمال
٥٦	والدته السيدة مريم التاجرية	٢٩	هدف الصوفي ومقصده من العبادة
٥٧	البشائر لوالدته بولادته قدس الله سره	٣٠	العقيدة التي اجمع عليها الصوفية
٥٨	اوصافه رضي الله عنه في طفولته وقتوته		اختلاف المعنى في الاسماء المشتركة بين
٦٣	تأدبه مع اهل الله رضي الله عنه وعنهم اجمعين	٣٣-٣٢	الحق وعباده

- ٦٣ بزوغ نور المعرفة فيه قدس سره
انتسابه الى طريقة الشيخ ابن عيسى والروايات التي رآها
٦٤ اخذه الطريقة العلية عن مرشد عصره الشيخ
محمد حزة ظافر المدني رضي الله عنها
٦٦ كيفية تعرفه الظاهري بشيخه
٦٧ مكاشفة شيخه له بالروايات السابقة
٠٠ السلسلة الشريفة لأقطاب الطريقة الشاذلية
رضي الله عنهم
٧١ قصيدة تتضمن اسماء اقطاب الطريقة الشاذلية
ايات للشيخ مصطفى نجاف مفتي بيروت وأبيات
من قصيدة للشيخ مصطفى ابي ريشه ، ضمنها
اوراد الطريقة العلية ٧٣-٧٥
شيخ والدي ومراكز الطريقة الشاذلية في
بلاد المغرب
٧٦ التجريد ومقام التجريد وسلوك شيخنا المعظم
فيه - المتجرد والمتسبب
٧٨ انوار الحمي الشاذلي في مصراطة
٨٤ من هو المرید ومن هو المراد؟
٨٤ تمشق حضرة سيدنا المعظم لشيخه رضي الله
عنها وفناؤه فيه
٨٥ حياة سيدي ومولاي في مصراطة وانطباع
طباع شيخه فيه
٨٥ دقة شهوده رضي الله عنه وقدس سره
٨٦ تواضعه رضي الله عنه وأرضاه
٨٧ الحرقه (الزبي) والخيرة في اكتسابها
٨٨ التجريد ليس برهبانية
٨٩ زواج حضرة سيدنا المعظم رضي الله عنه
٨٩ زهد رضي الله عنه وظهور عطر رائحة الولاية فيه
٩٠ انطباع المرتبة الفردية فيه قبل انطواء شيخه
٩٠ باب في اولياء الله رضوان الله عليهم
٩٣ ابيات للجبلي والاسكندري رضي الله عنهما
بحق الأولياء
٩٥ رأي السادة الصوفية في الولاية
٩٦
- الفرق بين الأنبياء والأولياء
٩٦ لا تكون القطبانية في اثنين في عصر واحد
٩٧ رأي الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رضي
الله عنه في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
٩٧ قول سيدي ابي الحسن الشاذلي في الوراثة بين
الأنبياء والأولياء
٩٨ في ان مدد الأولياء مستمد من رسول الله (صلم)
تفسير الآية الكريمة : (الله نور السموات
والأرض) للعلامة الشيخ مصطفى نجاف مفتي
بيروت رحمه الله
٩٩ تفسير الحديث الشريف (العلماء ورثة الأنبياء)
لسيدي ابن عطاء الله الاسكندري
١٠٠ تقسيم الأولياء رضي الله عنهم الى اربعة اقسام
١٠١ من شروط الولي ان يكون محفوظاً
١٠٢ كلمة الامام السيوطي عن الاقطاب والابدال
١٠٢ حديث الشيخ القسطلاني عن الأولياء الداعين
الى الله
١٠٣ حديث القسطلاني عن القوم اهل الله
١٠٤ حديث الشيخ الكلاباذي صاحب كتاب التعرف
الى مذاهب اهل التصوف
١٠٤ كيفية اظهار الحق اولياءه رضوان الله عليهم
بكسوتين
١٠٥ باب في الوارث المحمدي رضي الله عنه وقدس سره
١٠٨ أوصاف حضرة سيدنا المعظم علي نور الدين
ابن يشرط رضي الله عنه وقدس سره
وسجاياه الخلقية
١١٠ علومه ومعارفه الربانية رضي الله عنه
١١١ تمبده وقيامه في طاعة الله عز وجل
١١٢ ما منحه الحق عز وجل من الفضائل
١١٣ بده عصره الارشادي رضي الله عنه
١١٤ التفاوت بين الأفراد الأقطاب
١١٥ بعض علامات الشيخ الذي يصلح الاقتداء به
كنايب عن رسول الله (صلم)
١١٥

١٢٩ عكا مقر المبعدين السياسيين
 ١٣٠ جامع الجزائر في عكا والمدرسة الأحمديّة فيه
 ١٣٠ انتشار الطريقة العلية في البلاد الشامية
 ١٣١ نزول مرشدنا الجليل في جامع الزيتونة بعكا
 السابقون من اهالي عكا في التشرف بأخذ
 الطريقة العلية من يد صاحب الوقت
 ١٣١ مرشدنا الأكمل رضي الله عنه
 ١٣١ انتشار الطريقة بين الناس بصورة سريعة عجيبة
 ١٣٢ الحقيقة غير منفصلة عن الشريعة
 علم الباحثين ومأخذهم عن الحضر عليه السلام
 ١٣٢ عن امر الله
 كيف يفوز الصوفي بمعرفة حقائق الأشياء
 ١٣٢ وأسرارها
 انحرف صحة مرشدنا الكامل في عكا
 واهتمام الناس بخدمته لفرط محبتهم إياه
 وانتقاله الى قرية [دارشعيا - ترشعيا]
 ١٣٦ حسب توصية الأطباء
 استقرار مرشدنا الجليل في ترشعيا ونشره
 الطريقة فيها وأول المتشرفين بالانتساب
 الى الطريقة العلية من سكانها
 ١٣٧ اقتران مرشدنا الجليل بزوجه الصالحة
 كريمة احمد بك توسيز
 ١٣٧ سبب كنية مرشدنا الجليل بأبي محي الدين
 ١٣٨ انتشار الطريقة العلية في مختلف البلاد الشامية
 اول الزوايا التي أنشئت في مختلف البلدان
 ١٤٠ انوار الطريقة الشاذلية البشرية
 ١٤١ بعض الانشاد التي تدل على تأثير الطريقة في
 نفوس المتشرفين بأخذها عن صاحب الوقت
 ١٤٣ السفر الى رودس
 ١٤٤ كيفية سفر مرشدنا الاكمل رضي الله عنه
 الى جزيرة رودس واسباب ذلك وانتشار
 الطريقة فيها
 ١٤٦ عودة المرشد الكامل الى ترشعيا بعد ان اقام
 معززاً مكرماً في رودس
 ١٤٦

حيازة حضرة سيدنا المعظم على هذه العلامات
 الدالة على صحة نيا بتمرضي الله عنه وأرضاه
 ١١٥ فرط محبة سيدنا المعظم لشيخه وأولاد شيخه
 ومباغتته في حرمته
 ١١٦ عزمه رضي الله عنه على السياحة الى المشرق
 للدعوة والارشاد بعد انتقال شيخه
 ووالدته، ومكاشفته وزوجه في تونس بعزمه
 على ذلك وتخييره إياها في وضعها
 ١١٦ ما اعاناه مرشدنا العظيم رضي الله عنه إبان
 رحلته من المصاعب والمشاق
 ١١٨ قيام مرشدنا المبجل رضي الله عنه بتأدية فريضة
 الحج ومجاورته في يثرب المدينة المنورة
 صحبة اثنين من رفاقه الذين هاجروا معه
 من المغرب
 ١٢١ لإشراق شمس المعارف الكبرى في الشرق
 ١٢٣ زيارة مرشدنا الجليل ضريح الامام ابي الحسن
 الشاذلي رضي الله عنه
 ١٢٦ اعترافه بزيارة المسجد الأقصى وجنوح السفينة
 به الى ما بين صيدا وبيروت حيث
 ضريح النبي يونس عليه السلام
 ١٢٦ اول رجل تشرف بأخذ الطريق من يد
 مرشدنا العظيم في بلاد الشام
 ١٢٦ مشاهدة مرشدنا الكبير رضي الله عنه حضرة
 سيدنا النبي يونس عليه السلام وتشجيعه
 إياه على اداء مهمته الروحانية في
 مدينة عكا
 ١٢٧ شعوره رضي الله عنه بنفحة الاستقرار
 الروحي امام ضريح النبي صالح عليه السلام في
 بركة عكا وزوال عبء القبود التي كانت
 تضطره الى متابعة السفر والتنقل
 الى عكا
 ١٢٨ وضع مدينة عكا
 ١٢٨ أهمية عكا الحربية واتخاذها مركزاً أعلى
 للقيادة العسكرية في الجيش
 ١٢٩

- ١٤٧ الإقامة الدائمة في عكا
١٤٧ تقريره الإقامة في عكا قدس الله سره
١٤٧ نشيد بوصف عكا وحي المرشد الكامل
١٤٧ زيارة المرشد الكامل دمشق بدعوة من
الامير عبد القادر الجزائري ١٤٧
نبذة عن الامير عبدالقادر الجزائري الحسيني ١٤٨
زيارة المرشد الكامل بيت المقدس ١٤٨
انتشار الطريقة الشريفة في القدس ١٤٩
نشيد بوصف تشرف البلاد بالمرشد الكامل ١٥٠
نشيد عكا المنى ١٥١
الطريقة الشاذلية البشروطية في عاصمة الدولة
العثمانية بواسطة علي رضا باشا ممتاز باشكاتب
المابين الهايوني ١٥٢
تبرع علي رضا باشا بالزاوية البلطجية في دمشق ١٥٤
شعر لمي رضا باشا في مدح صاحب الوقت ١٥٤
صورة رسالتين من رسائل علي رضا باشا
لمرشدنا المعظم ١٥٥
اسماء الذين تشرفوا بالطريقة العلية من
رجال الدولة العثمانية ١٨٥
بناء الزاوية الشريفة في عكا ١٨٩
الثقافة الروحية في الحمي الشاذلي ١٦١
نشيد ألا يا مظهر الاسرار ١٦٣
اقسام الزاوية ١٦٤
كيفية الحياة في زاوية عكا ١٦٥
انتقال الحركة العلمية من جامع الجزائر الى
الى الزاوية العلية ١٦٧
قصيدة يا من تحير في شدائد امره ١٦٨
حرس مرشدنا الجليل على رفع المستوى العلمي
في المريدين وتقديره مهنة التعليم ومثله الملمين ١٧٠
العلماء المشهورون الذين تلقوا العلوم مع
سيدي محي الدين نجل المرشد الكامل والذين
تجرد بعضهم في الزاوية العلية ١٧١
نشيد علم التوحيد كشف النيون ١٧٢
- تأثير الطريقة الشريفة في افهام متبعيها وفي
١٧٣ سمو افكارهم
١٧٥ رئيس المنشدين في الزاوية العلية
ما كان يردده الزائرون من اتباع الطريقة
العلية من الانشاد طرباً حين وصولهم الى
١٧٥ اعتاب الزاوية الشريفة
١٧٩ فتاوى علماء الشرع الشريف
١٨١ نشيد هيا يا اهل الوصال
الذكر ومشروعيته وما يتعلق به من
١٨١ اوضاع ولهجات
حلق الذكر والآيات الواردة بشأنها ،
والاحاديث النبوية الخاصة بها ١٨٣
تأليف الامام السيوطي بحق الذكر ١٨٣
فتاوي أكابر العلماء بجواز اقامة حلق الذكر ١٨٣
جواز رقص الصوفية هياماً ١٨٤
فتوى الحافظ الكبير المحدث ابن حجر بحق
لهجات الذكر المتنوعة وفي اوضاع الذاكرين
وفي الانشاد اثناء الذكر ٣٨٥
جواب العلامة خير الدين الرملي عما اعتاده
الصوفية في حلق الذكر ١٨٦
وجواب العالم الكبير ابي الفتح محمد وسلطان
العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام على ما
يتعلق بالموضوع نفسه ١٨٦
رسالة سيدي الشيخ ظافر المداني المسماة
بالنور الساطع ، والبرهان القاطع يرد فيها
على المعترضين على الذكر ١٨٧
معنى البدعة وانواع البدع ١٨٧
نزهة السادة الصوفية عما وصمهم به الجهال
من الخروج عن حدود الشرع الشريف ١٨٨
نشيد سبحان من قد اسقاني ١٩١
الحياة في الزاوية ايام الصوم والاعياد :
البهجة والتجليات الروحانية في الزاوية العلية
في شهر الصوم وفي ايام الاعياد ١٩٢

٢٢٥	نشيد بدر المنى لما دنا زال العنا	١٩٤	قصيدة من مثل احمد في المقام الامثل
٢٢٥	حياة الفقراء	١٩٥	تأثير الطريق على اكابر رجال الدولة في عكا
٢٢٦	فناء السالك في شيخه		ما وقع للقائد التركي الميرالاي عثمان بك
٢٢٦	الحقيقة الانسانية واماؤها		من رؤيا صادقة دلت على كرامات المرشد
٢٢٧	تطورات الروح		الكامل وصدق عثمان بك في سلوكه في
	الوصول الى الله لا ينال الا بصحبة فرد	١٩٥-١٩٧	الطريق العلية
	كامل اكمل - عدم الاجتماع بالشيخ لا يوقف		القائد مصطفى رمزي باشا وخدمته لأهل
٢٢٧	سير المرید بشرط الاقتداء والاستماع والقبول	١٩٧	الطريق وحرمة لأهل البيت الاكرام
٢٢٨	بذل العلم لاهله		محمد باشا اليوسف وتشرفه بالطريقة العلية
٢٢٩	صحبة العارفين وتأثيرها على المرید	١٩٧	وصدقه فيها
	ما يشترط وجوده لدى الشيخ من المعارف	١٩٨	تأثير الزاوية بعبادتها وانشادها على اهالي عكا
٢٢٩	والعلوم	١٩٩	نشيد يا كوكب العصر يا نور بارينا
	كون العلم لا علاقة له بالامية من حيث	٢٠٣	نشيد بك مهد كوني تمهيدا
٢٣٠	القراءة والكتابة	٢٠٤	منازل السائرين
	كون العلم وحده دون العمل لا يكفي		ايات في منازل السائرين للشيخ الاكبر
٢٣١	للارشاد والهداية	٢٠٤	رضي الله عنه
٢٣١	الفرق بين العالم والمابد والعارف		الاقسام العشرة لمقامات السالكين البالغة
	المنتسبون والمتجردون ومتجردوا الزاوية	٢٠٦	مائة مقام
٢٣٢	العية البشروطية في عكا	٢٠٧	نشيد طلعة المحبوب
١٣٣	نشيد هلال الهدى قد لاح	٢٠٨	اصطلاحات الصوفية
٢٣٥	الأوراد في الطريقة العلية الشاذلية	٢٠٩	مقام الحب الإلهي
٢٣٧	اوقات تلاوة الأوراد	١١٠	مقام الشهود
٢٣٨	الوظيفة الشاذلية البشروطية	٢١١	اقسام المشاهدة
	الاستغفار والصلاة على النبي «صلم» وكلمة	٢١١	المقامات الثلاثة التي يعول عليها في السير والسلوك
٢٤٤	التوحيد والتلقين	٢١٢	مقام الجمع واخطار التوحيد فيه
٢٤٥	الذكر الحفي باسم الله الأعظم وأصول التوجه به	٢١٣	معنى التوحيد
٢٤٧	المبايعة بالعهد	٢١٦	مقام الفرق الثاني
٢٤٨	نشيد يا علي يا غربيا	٢١٨	القول بالخلول كفر
٢٤٩	كيف تقام حلق الذكر (الحضرة)	٢١٩	نشيد لقد انا شيء عجب
٢٥١	التجريدة و (نشيد اهدي لي الشذى)	٢٣٠	الحقيقة المحمدية
٢٥٢	المقدمة والمقدمون		الوصول الى الله لا يكون الا بواسطة
	المقدمة والمقدمون في الزاوية العلية في	٢٢١	الحضرة المحمدية
٢٥٣	عكا وفي مختلف المدن والبلاد	٢٢٢	الحقيقة المحمدية اصل لكل موجود

٢٨٣	عطفه رضي الله عنه على الحيوانات الأخر	٢٥٥	تجريد السيد مصطفى سميد السمدي في الزاوية
٢٨٤	شفقته الانسانية	٢٥٧	تجريد جماعة من اكابر العلماء في الزاوية
	من كراماته رضي الله عنه قصة تحيته	٢٥٦	نشيد فاخلع رداء الانتخاب
٢٨٤	للسلطان عبد الحميد ورد التعية	٢٥٩	تجريد اخي السيد محي الدين واخي السيد ابراهيم
	ومن كراماته قدس الله سره ما جرى	٢٦٣	دقائق المشاهد الصوفية
٢٨٨	للاستاذ الشقيري اثناء مرضه	٢٦٥	نشيد يا بدر تم بدا من جانب الغرب
٢٨٩	نشيد يا الهي بهم	٢٦٧	زهده حساً ومعنى
٢٨٩	كيفية حياة المرشد العظيم في بيته واهله	٢٦٨	اكتساب الأوصاف
٢٩٠	اهتمامه برقي المرأة وبتقافتها الروحية	٢٧٠	تواضعه بالرد على من يسأله
	تهجده رضي الله عنه وقيامه الليل وشفقه	٢٧١	جواب المرشد الكامل لسانه عن الروح
٢٩٢	بالذكر والتوجه		جواب المرشد الكامل عن الفناء الذي يفناه
	الهدوء والسكينة في منزل المرشد الكامل	٢٧١	السادة الصوفية
٢٩٢	رغم كثرة الموجودات فيه		جواب المرشد الجليل لسانه عن مصير
	حرصه على تلاوة آي الذكر الحكيم	٢٧٢	الملائكة الموكلين بحفظ المبد بعد وفاته
	وتخصيصه المقربين المكفوف بصرهم للتلاوة		جواب المرشد العظيم لسانه عن معنى الآية
٢٩٢	في حرم المنزل الشريف	٢٧٣	الشريفة [فان كنت في شك مما انزلنا اليك]
	طعام المرشد الجليل وأهل البيت الأكارم	٢٧٣	جواب المرشد الكامل عن التدخين
٢٩٤	والمرادين من طعام واحد دون تمييز		رمز في السلوك وتأثير الانقياد الى الشهوة
	منحه رضي الله عنه الحرية للسيدات ضمن	٢٧٤	على السالك
٢٩٤	الآداب الاسلامية		خيه رضي الله عنه عن الدعوى وشرحه
	بعض اسماه مشاهير النساء من السالكات	٢٧٥	طباع البشر
٢٩٥	في طريق الله وفي محبة رسوله	٢٧٥	خاتم الولاية
٢٩٦	نشيد بالمشهد العالمي السني		حض المرشد الكامل مرديه على الاستفادة
	نماذج ومشاهد من كلماته ولطفه وعطفه	٢٧٦	من اخ ينهض حاله ويدلك على الله مقاله
٢٩٨	رضي الله عنه		مراتب النفس البشرية وشرحها من قبل
	اهتمامه رضي الله عنه بتنشئة كراماته وتهذيبين	٢٧٧	المرشد الاكمل رضي الله عنه
	على خطته وخصاله الشريفة من حيث		طريقة المرشد الكامل في تأديب مرديه
٢٩٨	العطف والرافة والتواضع والكرم	٢٧٨	حساً ومعنى
	تخصيصه العارف بالله الحاج سليم بليق البيروني	٢٧٩	نشيد لاح برق الذات من ذاك اللوى
٢٩٩	برعايتي منذ ان كنت طفلة		عطف المرشد الكامل على المرید الفقير
٣٠٠	نشأني بين العلماء وفي مجالس العلم نشأة صوفية	٢٨١	وجبره خاطره بالالتفات الحاس نحو
	تمويده لإيادي رضي الله عنه على قمل الخير		عطفه رضي الله عنه على الطير وعدم
٣٠٢	والشفقة والعمل الصالح	٢٨٢	رضاه بسجنه

- تشتني من قبل رضي الله عنه على العزة والكرامة ٣٠٢
شهادته قدس الله سره بصدق محبته له كما هو
- ٣٠٣ فخر لي
- عطفه قدس الله سره على الحاج سليم بليق وثقته به ٣٠٣
عناية اخي الكبير السيد ابراهيم بي ومحبته
- ٣٠٥ اياي واهتمامه برغباتي
- آل بيت المرشد الكامل الأكارم (من
٣٠٧ زوجات وأولاد)
- اثر زوجه الصالحة سيدتي خديجة توسيز في
٣٠٩ خدمة الطريقة العلية
- زواجه رضي الله عنه بوالدتي المحترمة السيدة
٣١١ رتيبة كريمة السيد احمد توسيز
- نشأة والدتي نشأة صالحة في رعاية عمته سيدتي
خديجة ام محي الدين حرم المرشد الكامل
٣١١ وتحلقها بأخلاقه العلية قدس سره
- محبة والدتي للأسرة الشريفة ورعايتها اطفالها
٣١١ بكل عطف وحنان
- مثال من إنسانيتها وشفقتها نفعنا الله ببركاتنا ٣١٢
فضل سيدتي الوالدة امد الله بجياتها عليّ
وعلى شقيقتي بتوجيهنا توجيهاً روحياً صوفياً
٣١٣ حسباً تحلت به من سجايا
- فضل والدتي المكرمة في وضع هذا الأثر ٣١٣
حياة اختي الكبرى السيدة عائشة المكرمة
٣١٣ وسجايها
- اخي الكبير السيد ابراهيم الشريفي المجل
وقيامه بوصية والده وشيخه المرشد الكامل
بي وبشقيقتي وشي من مزايه وسجايه ٣١٥
نبذة عن اخي السيد محيي الدين الشريفي
٣١٧ وعن اوصافه ومزايه
- نبذة عن شقيقتي السيدة مريم الشريفة
المكرمة وعن خصالها الحميدة ومزايها ٣٢٨
نبذة عن ابنة اخي السيدة انيسة الشريفة
المكرمة وعن خصالها الكريمة ومزايها ٣١٩
- زهـد المرشد الجليل بالمادة وبما ورثه او جاءه
٣٢٠ من المال في حياته
- تاريخ انتقال الفوت الأكبر والمرشد الأكمل
الى جوار مولاه الكريم ومرقدته في زاوية
٣٢١ عكا العلية قدس سره
- ٣٢٣ منح روحية في مراتب الطريق
- نص اجازة من المرشد الجليل للعلامة الكبير
الشيخ حسين البغدادي مفتي دير الزور في
٣٢٥ اعطاء الطريق العلية الشريفة ونشرها
- نص اجازة من المرشد الجليل الى الشيخ
محمد بن محمود سكيك في إعطاء الطريقة
٣٢٧ الشاذلية الشريفة ونشرها
- نص اجازة من المرشد الجليل الى الشيخ
يوسف الخطيب في نشر الطريقة الشاذلية العلية ٣٢٨
بعض وصايا المرشد الأكمل لمريده من حيث
٣٢٩ السير والسلوك
- رسالة المرشد الجليل للشيخ مصطفى نجما مفتي
بيروت الأكبر لاخواننا باتباع الكتاب
والسنة في السلوك في الطريق، وان كل طريقة
٣٢٩ تخالف الكتاب والسنة فهي زندقة وباطلة
- صورة كتاب من الفوت الجليل الى توفيق
٣٣٠ بك سر خزنة السلطان عبد الحميد
- ٣٣٣ نذ من وصايا قدس الله سره
- ٣٣٤ تحب إعطاء الطريق لمن لا يحفظها
- اطلاع المرشد الكامل على احوال المريدين
٣٣٤ ومراقبته ايام
- ٣٣٥ بعض احاديث من كلام المرشد الجليل
- ٣٣٦ مراتب الوجود وعددها
- الانسان في كل لحظة في خلق جديد وهو
٣٣٦ مجموعة اطوار
- ٣٣٦ اركان الطريق
- ٣٣٩ كيفية تجلي الحق على احبابه
- ٣٣٩ اقسام الحب

تصحيح اغلاط مطبعية

صفحة	سطر	صواب	خطأ
٩	٢٠	الامام الشافعي	الشافعي
٩	٢١	قوانين الاشراف	قوانين الاشراف
١٨	٢٢	بديء	بدأ
٢٢	٢١	نهي عن صحبة	نهي صحبة
٦٢	١٩	بذكر الله	يذكر الله
٦٣	٢٣	جمال الدين	جلال الدين
٧٨	١٥	لذلك	كذلك
٧٩	٩	الروثنا	الروثنا
٨٨	١٨	يلبس ملابس الفقراء	يلبس الفقراء
١٠٠	١٧	حينما	حينما
١٠٠	١٨	القامع	القاصع
١١٤	١٤	غارت	غابت
١٢١	٨	شديدة امتدت الى	شديدة الى
١٣٣	١٧	يا نسخة الاكوان	ياربة العرفان
١٣٨	١٧	وله الوقت انفرده	وله الامر انعقد
١٤٥	٦	قربة	مدينة
١٥٦	١٤	التكشّف	التكشّف
١٧١	١	دامت	دأبت
١٩١	١١	شمس الغرب	شمس القرب
٢٠٥	١٩	ابو بكر الكثاني	ابو بكر الكثاني
٢٠٨	١٤	المهترّون	المهترّون
٢٩٣	٥	صحيحة	صحيحة
٣٠٧	١٩	اليتيمين	اليتيمين

سقط هذا الحديث من الطبع في منتصف سطر ١٠ صفحة ٢٧٢ وهو « فاذا جاء الرجل ورأيت
كما ذكر لك فاذا يصير عندك ؟ : عين اليقين : »



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101007637620